دروس تربوية من السيرة النبوية

ولي أمر المسلمين

السيد علي الخامنئي

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

دروس تربوية
من السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس تربوية من السيرة النبوية

ولي أمر المسلمين
السيد علي الخامنئي
حفظه المولى

مراجعة وتعليق وتدقيق
السيد علي عاشور

الناشر
مؤسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

العنوان الجديد

بيروت - طريق المطار - خلف غولدن بلازا - هاتف ٠١/٥٤٠٠٠٠ - ٠١/٤٥٥٥٥٩ - فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Air port street - Golden plazza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، بحمد الله يفتتح الكلام، وبتوفيقه يُستنجز المطلب والمرام، ونسأله أن يصلّي على محمد خير الأنام، وعلى آله الكرام نجوم الظلام بحقّ الملك السلام.

إنّ من يطلع على شخصية القائد أدام الله عزّه وسيرته الذاتية يدرك أنّ الوقت لديه ثمين وأنه لا يضيع حتى الوقت القليل الذي قد نتهاون فيه، وقد تعرّض سماحته لكثير من المفاهيم المهمة والقضايا الحساسة في خطاباته وبياناته ولم تنظم في كتاب مستقل، إذ مسؤولية تولّي أمور المسلمين وتتبع شؤونهم وحماية مصالحم ومقدساتهم لها همّها الكبير.

لذا حاولنا من خلال دراسة ومراجعة مجموعة من محاضرات ولي أمر المسلمين حفظه المولى التي ألقاها في مناسبات مختلفة وعلى عدة سنوات (١٨ سنة)[١]، أن نستخرج منها عدة كتب وبعناوين مختلفة، وقد استطعنا ـ بعونه تعالى ـ أن ننجح في بعض هذه المواضيع وكان من جملتها هذا الكتاب.

وحاولنا قدر الإمكان إخراج الكتاب عن كونه مجموعة محاضرات وبمناسبات عدة الى كونه كتاباً علمياً مَهَنيّاً يحمل طابع التأليف والتحقيق، وذلك بحذف كل ما لا ربط له بالموضوع المبحوث، أو تقديم بعض الكلام وتأخير البعض، أو تهذيب بعض المطالب، مع الحفاظ على مصدر المحاضرة في الهامش .

وهناك شيء ملفت عند السيد في بعض المحاضرات، إذ عادة ما تكون المحاضرة

---

(١) والتي كانت تطبع مترجمة على شكل بيانات خطابية في قم المقدسة من قبل دار الولاية للثقافة والإعلام طيلة هذه السنوات.

لها طابع الخطاب الجماهيري بأسلوب يتناسب مع الحضور، بينما نجد سماحته في بعض المحاضرات ـ وهي ليست بالقليلة ـ يلقيها وعليها طابع التحقيق والتأليف، وكأنه قد كتبها على أساس أن تكون جزءاً من كتاب منهجي مهني.

نشكر كل من ساهم في نشر هذا الكتاب ونخصّ بالذكر سماحة الشيخ محمد طحيني الذي أفادنا بملاحظاته القيّمة حول الكتاب.

ونسأل الله تعالى أن يديم علينا فكر ونظريات السيد الولي وأن يلهمنا الصفاء في متابعة تهذيب وإعداد هذه النظريات إنّه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين ونشكره على ما أنعم علينا من فضله الدائم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين.

وصية القائد بالكتاب

قال السيد الخامني: حري بنا اعتبار تاريخ النبي صلى الله عليه وآله
الحقبة الاستثنائية الزاخرة بالأعمال
وأنها صاحبة التأثير على التاريخ البشري.

وإنني أوصي الأخوة والأخوات جميعاً لاسيما الشباب منهم
بمطالعة تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله والإستلهام منها.

تمهيد

نسب النبي محمد صلى الله عليه وآله

خطب رسول الله ﷺ فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار. وما افترق الناس فرقتين إلّا جعلني الله تبارك وتعالى في خيرهما؛ فأُخرجت من بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية. وأخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً وخيركم أبا» ﷺ [1].

إسماعيل بن رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «انسبوني» ثم قال: «أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي ابن غالب ابن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر ابن نزار بن معد ابن عدنان بن أُدد».[2]

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «معدّ بن عدنان ابن أُدد بن زيد بن أعراق الثرى» قالت أم سلمة: فمعد: معد، وعدنان: عدنان. وادد: أُدد، وزيد: هميسع ويرى: نبت وإسماعيل بن إبراهيم: أعراق الثرى.[3]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ١ / ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٣٠ / ٣١٣.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ١٧٨.

قال هشام بن محمد بن سائب بن بشر الكلبي قال: علّمني أبي وأنا غلام نسب النبي ﷺ : محمد الطيّب المبارك بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد ابن هاشم، وأسمُه عمرو بن عبد مناف واسمُه المغيرة بن قُصيّ واسمُه زيد بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - وإلى فهر جماع قريش وما كان فوق فهر فليس له يقال له قُرشي ويقال له كناني - وهو فهر بن مالك بن النّضر، واسمُه قيس بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة، واسمه عمرو بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد ابن عدنان.(١)

وعن ابن البرقي فرسول الله ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف [واسم عبد مناف] المغيرة ابن قُصيّ. قال أبو بكر: واسم قُصيّ زيد - فيما بلغني - ابن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن مالك بن خُزيمة بن مُدركة. واسم مُدركة عامر بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان بن [أُد، ويقال] أُدد بن مقوم بن ماخور بن يبرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام بن تارح وهو آزر بن ياخور بن شارُوخ بن راعو بن فالج بن عيبر بن شالح بن أرفخشد ابن سام بن نوح بن لامك ابن متوشلح بن خنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام فيما يزعمون، والله تعالى أعلم - وكان أول نبي أعطي النبوة وخط بالقلم - ابن يرد بن مهليل ابن قينن بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام.(٢)

---

(١) طبقات ابن سعد: ١/٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ١ - ٣.

هو محمدٌ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ﴾.(١)

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.(٢)

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾(٣).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾(٤)

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أنا مُحمّدٌ، وأنا أحمَدُ، وأنا الماحي الّذي يُمحىٰ بيَ الكُفرُ، وأنا الحاشِرُ الّذي يُحشَرُ النّاسُ على عَقِبي، وأنا العاقِبُ ـ الّذي لَيسَ بَعدَهُ نَبيٌّ ـ(٥).

وعنه صلى الله عليه وآله: أنا أشبَهُ النّاسِ بآدَمَ، وإبراهيمُ أشبَهُ النّاسِ بي خَلقَهُ وخُلقَهُ، وسَمّاني اللهُ مِن فَوقِ عَرشِهِ عَشَرَةَ أسماءٍ، وبيَّنَ اللهُ وَصفي، وبَشَّرَني على لِسانِ كلِّ رَسولٍ بَعَثَهُ اللهُ إلىٰ قَومِهِ، وسَمّاني ونَشَرَ في التَّوراةِ إسمي، وَبَثَّ ذِكري في أهلِ التَّوراةِ والإنجيلِ، وعَلَّمَني كِتابَهُ، ورَفَعَني في سَمائهِ، وشَقَّ لِي إسماً مِن أسمائهِ، فسَمّاني مُحمّداً وهُوَ مَحمودٌ، وأخرَجَني في خَيرِ قَرنٍ مِن أُمّتي، وجَعَلَ إسمي في التَّوراةِ أُحَيْدٌ(٦).

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) التوبة: ١٢٨.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الأحزاب: ٤٥، ٤٦.

(٥) انظر صحيح مسلم: ٢٣٥٤ والطبقات الكبرىٰ: ١ / ١٠٤.

(٦) قال شارح الشِّفاء للقاضي عياضٍ: أُحَيد بضمّ الهَمزة، وفتح المُهمَلة، وسُكون التَّحتيّة، فدال
=

فبالتَّوحيدِ حَرَّمَ أجسادَ أُمَّتي علَى النّارِ، وسَمّاني في الإنجيلِ أحمَدَ، فأنا محمودٌ في أهلِ السَّماءِ، وجَعَلَ أُمَّتي الحامِدِينَ. وجَعَلَ إسمي في الزَّبورِ ماحي، مَحا اللهُ عَزَّوجلَّ بي مِن الأرضِ عِبادَةَ الأوثانِ. وجَعَلَ إسمي في القرآنِ مُحمّداً، فأنا مَحمودٌ في جَميعِ القِيامَةِ في فَصلِ القَضاءِ، لا يَشفَعُ أحدٌ غيري. وسَمّاني في القِيامَةِ حاشِراً، يُحشَرُ النّاسُ علىٰ قَدَمي، وسَمّاني المُوقِفَ، أُوقِفُ النّاسَ بَينَ يَدَيِ اللهِ عَزَّوجلَّ، وسَمّاني العاقِبَ، أنا عَقِبُ النَّبيِّينَ لَيس بَعدي رَسولٌ، وجَعَلَني رَسولَ الرَّحمَةِ ورَسولَ التَّوبَةِ ورَسولَ المَلاحِمِ والمُقتَفِي، قَفَّيتُ النَّبيِّينَ جَماعَةً، وأنا المُقيمُ الكامِلُ الجامِعُ. ومَنَّ علَيَّ رَبِّي وقالَ لي: يا مُحمّدُ صلّىٰ اللهُ علَيكَ فَقَد أرسَلتُ كُلَّ رَسولٍ إلىٰ أُمّتِهِ بِلِسانِها، وأرسَلتُكَ إلىٰ كُلِّ أحمَرَ وأسوَدَ مِن خَلقي، ونَصَرتُكَ بالرُّعبِ الّذي لَم أنصُرْ بِهِ أحَداً، وأحلَلتُ لَكَ الغَنيمَةَ ولَم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبلَكَ، وأعطَيتُ لَكَ ولأُمّتِكَ كَنزاً مِن كُنوزِ عَرشي: فاتِحَةَ الكِتابِ، وخاتِمَةَ سُورَةِ البَقرَةِ، وجَعَلتُ لَكَ ولأُمّتِكَ الأرضَ كُلَّها مَسجِداً وتُرابَها طَهُوراً، وأعطَيتُ لَكَ ولأُمّتِكَ التَّكبيرَ، وقَرَنتُ ذِكرَكَ بِذِكري حتّىٰ لا يَذكُرَني أحَدٌ مِن أُمّتِكَ إلّا ذَكَرَكَ مَعَ ذِكري، فطُوبىٰ لكَ يامُحمّدُ ولأُمّتِكَ.[1]

وعنه صلى الله عليه وآله ـ لَمّا سألَهُ يَهوديٌّ عَن وَجهِ تَسمِيَتِهِ بمُحمّدٍ وأحمَدَ وأبي القاسِمِ وبَشيرٍ ونَذيرٍ وداعٍ؟ ـ: أمّا مُحمّدٌ فإنّي مَحمودٌ في الأرضِ، وأمّا أحمَدُ فإنّي مَحمودٌ في السَّماءِ، وأمّا أبو القاسِمِ فإنَّ اللهَ عَزَّوجلَّ يَقسِمُ يومَ القِيامَةِ قِسمَةَ النّارِ؛ فمَن كَفَرَ بي مِن الأوَّلينَ والآخِرينَ ففي النّارِ، ويَقسِمُ قِسمَةَ الجَنّةِ؛ فمَن آمَنَ بي وأقَرَّ بِنُبُوَّتي ففي الجَنّةِ. وأمّا الدّاعي فإنّي أدعُو النّاسَ إلىٰ دِينِ ربِّي عَزَّوجلَّ، وأمّا النَّذيرُ فإنّي أُنذِرُ بالنّارِ مَن عَصاني، وأمّا البَشيرُ فإنّي أُبشِّرُ بالجَنّةِ مَن أطاعَني[2].

= مُهمَلة، وقيل: بفتح الهمزة، وسُكون المُهمَلة، وفتح التَّحتيّة، قال: سُمّيتُ أحيَدَ لأنّي أحيدُ بأُمّتي عَن نارِ جَهَنَّمَ، أي أعدِلُ بِهِم، انتهىٰ. البحار: ١٦ / ٩٣ / ٢٧.

(١) علل الشرائع: ١٢٧ / ٣.

(٢) معاني الأخبار: ٥٢ ح ٢.

ولادة النبي صلى الله عليه وآله[1]

أهمية الولادة والمولود

إنّ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يُمثّل نقطة بارزة في التاريخ بالنسبة لكل مسلم، فهذا

---

(١) ولد النبي الأعظم يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول عند طلوع الفجر من يوم الجمعة. انظر شرح أصول الكافي: ٧ / ١٣٩ .

وقيل: ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال. وكان مولده قبل أن يبعث بأربعين سنة. وحملت به أمّه في أيّام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطّلب وولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدّار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّرته مسجداً، يصلّي الناس فيه. وبقي بمكّة بعد مبعثه ثلاثة عشر سنة، ثمّ هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين، ثمّ قبض صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل يوم الإثنين وهو إبن ثلاث وستّين سنة، وتوفّي أبوه عبد الله بن عبد المطّلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وماتت أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو صلى الله عليه وآله ابن أربع سنين، ومات عبد المطّلب وللنبي صلى الله عليه وآله نحو ثمان سنين، وتزوّج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة، فولد له منها قبل مبعثه صلى الله عليه وآله القاسم ورقيّة وزينب وأُمّ كلثوم وولد له بعد المبعث الطيّب والطاهر وفاطمة عليها السلام، وروي أيضاً أنّه لم يولد بعد المبعث إلّا فاطمة عليها السلام وأنّ الطيّب والطاهر ولدا قبل مبعثه. وقيل أنّ فاطمة عليها السلام ولدت قبل البعثة بستة أشهر، وقيل بخمس سنوات وقيل بسبع، وقيل باثنتي عشرة سنة قبل البعثة. وماتت خديجة عليها السلام حين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الشعب وكان ذلك قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة، فلمّا فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شنأ المقام بمكّة ودخله حزنٌ شديد وشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام فأوحى الله تعالىٰ إليه: اخرج من القرية الظالم أهلها، فليس لك بمكّة ناصرٌ بعد أبي طالب وأمره بالهجرة. انظر الكافي: ٧ / ١٣٩ - ١٤٠، والصحيح من سيرة النبي للسيد جعفر مرتضى: ٢ / ١٧٧، والسيدة فاطمة للبيومي: ١٠٧ .

المولد هو الذي أدّى فيما بعد الى حدوث حركة عملاقة في تاريخ البشرية، وإنّ كل فضيلة موجودة في العالم اليوم منشؤها ـ ولو بشكل غير مباشر ـ تلك البعثة المباركة وإقامة مكارم الأخلاق من قبل ذلك النبي العظيم صلى الله عليه وآله، وهذا أمر يشعر به كل إنسان مسلم.

وليس هناك نقطة تتمحور عندها عواطف الأمة الإسلامية ومشاعر الطوائف الإسلامية المختلفة أفضل من الشخصية المقدّسة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأنّ جميع المسلمين يكنّون المودة الشديدة لذلك الإنسان العظيم، فهو محور الأمة الإسلامية طوال التاريخ، ولهذا فإن لهذا المولد أهمية بالغة عندنا(١).

أهمية إحياء ولادة النبي صلى الله عليه وآله

إنّ تخليد ذكرى ولادة الرسول الكريم ليست مجرّد مراسيم شكلية. وحتى إن كانت هذه المراسيم بين الشعوب الإسلامية فرصة ثمينة بل وواجبة، إلّا أنّ القضية أكبر من ذلك. فالعالم الإسلامي أحوج ما يكون اليوم، وأكثر من أي وقت مضى لإحياء ذكرى الرسول، والبشرية كلها بحاجة اليوم أيضاً لهذا الإسم المبارك وهذه الذكرى الميمونة وهذه التعاليم النبيلة.

ولكن قبل الانطلاق نحو البشرية بأسرها، لابدّ للعالم الإسلامي من استئناف معرفة هذه الجوهرة المعنوية من جديد. ومثل العالم الإسلامي الذي يعاني من مشاكل كثيرة إلى جانب ما لديه من ذخائر معنوية عظيمة ومنابع كبرى يمكن أن تعينه وتنقذه، كمثل الشعوب التي بقيت قروناً طويلة تنام جائعة على ما لديها من ثروات مجهولة إلى أن جاء الآخرون ونهبوها منها(٢).

---

(١) من خطاب لولي أمر المسلمين حفظه الله في ١٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ.
(٢) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

النبي المولود الأكثر بركة في تاريخ الإنسانية

إنّ بركة أيّ مولود أو أيّة ولادة إنّما تقاس في المعايير البشرية بالآثار المترتّبة عليها مباشرة أو على نحو غير مباشر؛ فإذا ما كان هذا المعيار سليماً ـ وهو سليم طبعاً ـ ينبغي القول إنّ المولود الذي اقترن وجوده بأكثر البركات على امتداد تاريخ الإنسانية هو الرسول الكريم ﷺ؛ حيث ابتدأت هذه البركات منذ لحظة ولادته.

وليس هذا بمستغرب لأن عيسى (عليه الصلاة والسلام) قال في بداية ولادته: ﴿**وجعلني مباركاً أين ما كنت**﴾[١]، فهو قد أعلن بركة ولادته منذ ساعاته أو أيامه الأولى.

وهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله؛ إذ نقلت التواريخ أن برج قصر كسرى قد انهار، ومعبداً قديماً للنار خبت ناره، وغير ذلك من العلائم والدلالات التي جاءت كبشائر لبركات هذا الموجود العظيم[٢]. [٣].

التبرك بالنبي هو تبرك عملي

إنّ تسمية هذا العام بالاسم المبارك للنبي الأكرم ﷺ يحمل في طياته نداءً، علينا

---

(١) سورة مريم : ٣١.

(٢) روي أن إيوان كسرى إرتج يوم ولادته حتى سقط منه أربع عشرة شرافة، وغوص بحيرة ساوه، وخمود نار فارس ولم تخمد قبل بألف سنة، واضطراب الرهبان والأحبار، وتنكست الأصنام على وجهها في آفاق الأرض، وسقوط إبليس، ورمي الشياطين بالشهب، وفاض وادي السماوة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلّا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة. انظر أمالي الصدوق: ٣٦١ ح ٤٤٤، وكشف الغطاء: ٣٨٦، وهامش شرح الأزهار: ١ / ١٢٠.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٧ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ـ طهران.

أن نتلقّاه بكل ما نمتلك من قدرة ووعي، وننطلق على وفقه، لا أن نقتصر فقط على التبرّك بهذا العام بالإسم المبارك للرسول صلى الله عليه وآله.

هذا النداء مفاده: إنّ على مجتمعنا ـ على مستوى الفرد والجماعة ـ أن يقترب يوماً بعد الآخر من الأمر الذي من أجله شمّر الرسول صلى الله عليه وآله عن ساعده، وسعى وجاهد من أجله[1].

معرفة النبي صلى الله عليه وآله بالنورانية

الشخصية المقدّسة لرسول الله صلى الله عليه وآله يجب القول في حقّها: إنّ معرفتها بالنورانية لا تتيسر لأمثالنا، وحقيقة الوجود المعظم والمكرّم لأشرف موجود بشري على مدى التاريخ ولأعز إنسان في عالم الوجود، أسمى من الأبعاد الماديّة. وكل ما يتاح للإنسان ذي الحِجا والتجربة والمعرفة من معاني النبوغ والعقل والعلم والخبرة والوصول بشخصيته إلى مكانة رفيعة ومنزلة سامية، يبقى يجد من هو أسمى منه، ثم يجد ثانياً من هو أسمى من الأول؛ وتلك الشخصية الكريمة أرفع من كل هذه المراتب.

ولو لم تكن هناك أيّة رواية أو آية أو أي أثر شرعي آخر، لاستطاع المرء أن يدرك هذه الحقيقة بالدلائل والإمارات. وهذا المعنى معنى سامٍ يستطيع من يفهمه أن يدرك قبساً من ذلك النور، ونحن نستطيع بحواسنا الظاهرية هذه وبإدراكاتنا المحدودة أن نرى ونشعر بهذا الوجود العزيز والعظيم.

هذه الشخصية العظيمة لا يمكن مقارنتها بأية شخصية كبيرة أُخرى حتّى في الأبعاد التي يفهمها جميع الناس. لاحظوا مثلاً أن شخصية أميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام اجتذبت إليها في الماضي والحاضر أنظار الكثير من نوابغ العالم حتى اعتبروه

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٥/١/٦هـ. ش الموافق ٢٥/صفر/١٤٢٧هـ. ق الموافق: ٢٠٠٦/٣/٢٦م ـ طهران.

شخصية كبرى ووصفوه كأشبه ما يكون بالأساطير، إلّا أن هذا الوجود المبارك، مع آفاقه العظيمة هذه، كان في أزاء شخصية الرسول المقدّسة تلميذاً وابناً صغيراً ولم يكن يرى لذاته أي شأن في أزاء عظمته.(١)

لاحظوا أن شخصية أميرالمؤمنين متناهية في المحيط المترامي لشخصية النبي الكريم، ومن هنا يتسنّى تخمين أبعاد تلك العظمة(٢).

مقام وكنه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

لقد كان النبي الأكرم ﷺ شخصية مثالية تحتل مكانها السامي في ذروة عالم الخليقة، سواء في الأبعاد التي بوسع البشر إدراكها، كالمعايير الإنسانية الشامخة، من قبيل العقل والتدبير والفطنة والكرم والرحمة والعفو والحزم وسواها، وسواء على نطاق الأبعاد التي لا يطالها الإدراك الإنساني، كالأبعاد التي تشير إلى تجلي الإسم الأعظم للحق تعالى في وجود النبي الأكرم ومنزلة قربه من الله المتعال، وهي من الصفات التي لا نسمع إلّا بها ولا ندري إلّا رسمها، ولا يعلم كنهها وحقيقتها إلّا الله جل وعلا وأولياؤه العظام(٣).

كما أن رسالة هذا النبي العظيم هي من أسمى وأفضل الرسالات التي جاءت من أجل سعادة الإنسان، فهي رسالة التوحيد، ورسالة سمو المنزلة الإنسانية، ورسالة تكامل الوجود البشري.

ومع أن البشرية لم تستطع حتى الآن العمل بهذه الرسالة بشتى أبعادها على نطاق

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد» انظر الكافي: ١ / ٩٠ ح ٥، والبحار: ٣ / ٢٨٣.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ

(٣) قال رسول الله ﷺ: «يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا» مدينة المعاجز: ٢ / ٤٣٩، مستدرك سفينة البحار: ٧ / ١٨٢.

الحياة العملية، إلّا أنها ستحقق ذلك يوماً ما طبقاً لحركة تعالي ورقي الإنسان.

إنها درجة الأوج والتعالي بالنسبة للبشر. وعلى افتراض أن البشرية حيّة بفكرها وفهمها وإدراكها الإنساني السامي وعلمها وتوجّهها المطرد نحو التقدم والرسالة الإسلامية، فلا شك أن هذه الرسالة ستأخذ مجالها يوماً ما في عمق الحياة البشرية.

إن حقانية الرسالة النبوية والتوحيد الإسلامي، والتعاليم الإسلامية من أجل الحياة، وطريق الإسلام من أجل سعادة وتقدم الإنسان هي التي ستبلغ بالبشرية إلى تلك المكانة فتتلمس بأقدامها هذا الطريق الواضح والممهّد وتخطو عليه في مسيرتها نحو التقدم والتعالي والتكامل.

إنّ المهم بالنسبة لنا نحن المسلمين أن ننمّي معرفتنا بالإسلام وبرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله ، فإنّ التفرقة والتمزق لمن أشد ما يعاني منه العالم الإسلامي في يومنا هذا، وإن محور الوحدة الإسلامية يمكن أن يكون هو الوجود المقدس للرسول صلى الله عليه وآله الذي يؤمن به الجميع والذي تتمحور حوله كافة المشاعر الإنسانية.

وهذه نقطة ليس لدينا ما هو أوضح ولا أشمل منها نحن المسلمين، حيث يؤمن كافة المسلمين بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فضلاً عن ذلك الرباط العاطفي والمعنوي الذي يؤلف بين قلوب ومشاعر المسلمين التي تنبض بحبّها وولائها للنبي صلى الله عليه وآله، وهو أفضل محور للوحدة[١].

بركات ولادة النبي صلى الله عليه وآله

إنّ يوم ولادة نبي الإسلام العظيم هو يوم التدبر في البركات اللامتناهية لهذا المولود المكرّم. ويمكن أن يُدّعى أنّ أعظم بركات هذه الولادة العظيمة عبارة عن تقديم

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ ـ طهران .

التوحيد والعدالة كهدية للمجتمعات البشرية.

إنّ البشر في مجال الاعتقاد يتخبطون في شباك الشرك حتى في عصرنا الراهن الذي هو عصر التقدم العلمي والرقي الفكري البشري الهائل، ومن المعلوم حتى على مستوى الدول المتطورة مادياً أنّ عقيدة التوحيد مع كل ما يتبعها من بركات محتاجة الى نورانية لا يمكن التوفر عليها إلّا من طريق عقل يهتدي بالوحي الإلهي.

ولقد أهدى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذا الأمر للبشرية كما فعل من سبقه من الأنبياء عليهم السلام.

إنّ الإيمان بالتوحيد له بركات وآثار على صعيد روح الإنسان وقلبه وحتى حياته بحيث يجب أن يتفكر فيها ويتحرك نحو الحصول عليها[1].

والمعجزات التي رافقت ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله [2] هي بالحقيقة نواقيس إنذار للبشرية والتاريخ؛ فالتصدّع الذي حلّ ببلاط كسرى وانطفاء نيران المعابد تحمل في طياتها جليّ المعاني، والمعنى الواضح الذي تحمله هذه الوقائع والأحداث يُنبئ عن انفتاح طريق أمام البشرية مع ظهور هذا الوليد المبارك، ولابد أن تنعتق البشرية من حنادس الأوهام ونير الأنظمة الظالمة.

أما من هم الذين يختارون هذا الطريق ويسلكونه بكل اقتدار، ومَنْ هم الذين يُعرضون عنه ولا ينالون مواهبه، فذلك منوط بإرادة بني الإنسان ورغبتهم، فهم الذين يختارون مستقبلهم ويقررون مصيرهم بأنفسهم، غاية الأمر أن الطريق مفتوح أمامهم.

وبالإضافة إلى ما قررته السنن الإلهية من أن تتخذ الحركة العامة للبشرية مسيرها باتجاه هذه الأهداف، وأن هذه الأهداف هي المقاصد التي يسير المجتمع نحوها

(١) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ طهران.

(٢) التي ذكرناه سابقاً.

بشكل طبيعي وقهري، فإن وقائع التاريخ أثبتت أن الرقي العلمي الذي تنشده البشرية والتطور المعرفي الذي يصبو إليه الإنسان، إنما يكمن في السير باتجاه تعاليم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وغذّ السير صوب نهاية هذا الطريق(١).

مولد النبي مبدأ التاريخ البشري

إنّ اليوم الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله وازدهرت الدنيا الحالكة بنور هذا الوجود المقدس، هو - باليقين - مبدأ للتاريخ البشري. وكما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في كلماته، يومها كان نور السعادة قد أفل من بين المجتمعات البشرية نتيجة لسيادة القوانين والدول الجائرة قال عليه السلام: «**أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعه من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظ من الحروب، والدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها، وأياس من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهدى، وظهرت اعلام الردي**»(٢)، فانبلج النور النبوي ليُفصح عن معالم حاكمية الحق وتجليات البراهين الربانية في أوساط الإنسانية(٣).

بركة العدالة من ولادة النبي صلى الله عليه وآله

وإحدى الهبات الإلهية العظيمة التي جاء بها هذا المولود المكرّم هي العدالة. الإنسان الذي كان يعاني من انعدام العدالة من أول يوم سجله التاريخ لا يزال اليوم يعاني من نفس المشكلة ألا وهي فقدان العدالة، هذه هي المعضلة الكبرى لدى البشرية، إنّ الدين الذي عرضه هذا المولود المكرّم على البشرية يدعو الناس الى

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة: مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ١٧ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - طهران.
(٢) نهج البلاغة: ١ / ١٥٧ خطبة رقم ٨٩.
(٣) من كلمة ألقاها بمناسبة: مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ١٧ ربيع الأول ١٤٢٢هـ - طهران.

النقاط البارزة والحساسة في حياتهم من قبيل التوحيد والعدل، أحد خصوصيات هذا اليوم هو كونه مرتبطاً بالبشرية جمعاء، وكل من أراد يستطيع الإعتراف منه، والخصوصية الأخرى أنه لا يختص بزمان معين بل يتعلق بكل الأزمنة.

واليوم يحتاج البشر الى العودة الى التوحيد الخالص وقانون العدالة الإسلامية، إنّ الوصفة التي قدمها الإسلام للبشرية لضمان العدالة هي قانون ﴿**إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم**﴾[1].

فكان يدعو الى التقوى والورع ونبذ بذور التمييز بين البشر على أساس القومية والعرق والدم واللون وما شابه ذلك.

ولا تزال الدول المتقدمة في العالم والمتطورة من الناحية المادية تكابد من مسألة الأبيض والأسود، للأسود ضوابط معينة وللأبيض مميزات خاصة ولا زالت الحرب قائمة عندهم على أساس العرق والدم والقومية.

كم من البشر زهقت أرواحهم في نيران حرب أشعلوها على خلافات قومية ووطنية مفتعلة. يُقتلون وتذهب حقوقهم أدراج الرياح.

اليوم البشرية في أمس الحاجة الى نداء الوحدة والتوحيد والعدل، ولا ينادي بهما غير الإسلام والمسلمين تبعاً لنبيهم الكريم صلى الله عليه وآله[2].

آيات ولادة النبي دليل على المشيئة والسنة الإلهية

إنّ اليوم العظيم الذي يصادف فيه ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء بواحدٍ من المقاطع العظمى في التاريخ البشري؛ ففي مثل هذا اليوم وهب الباري تعالى لعالم الوجود

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ طهران.

أعظم ذخيرة إلهية وهي الوجود المقدس للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فكان منطلقاً لمقطع حساس في مصير البشر، ولقد جاء بشأن آيات ولادة النبي أنه صلى الله عليه وآله لمّا ولد تهدمت شرفات إيوان كسرى وخمدت نيران آذرگشسب التي كانت مندلعة قروناً؛ وجفّت بحيرة ساوه المقدسة من قبل جماعة من أهل ذلك الزمان، وتساقطت الأوثان التي كانت معلّقة على الكعبة.

وتلك الآيات التي كانت رمزية وظاهرية دليل على المشيئة والسنّة الإلهية في إسباغ خلعة الوجود على هذا الكيان العظيم وهذه الشخصية السامية الفريدة، وإن المغزى من هذه الأحداث هو حتمية اقتلاع بساط الذل عن البشرية، سواء كان بسبب تسلط الجبابرة والمستبدين من الحكام من قبيل ما كان قائماً يومذاك في إيران والروم، أو وليد عبادة غير الله تعالى، وذلك ببركة هذه الولادة.

ولابد أن ينعتق البشر على يدي هذا الوليد المبارك سواء من قيود الظلم الذي فرضه حكام الجور على المظلومين من البشر على مر التاريخ أو قيود الخرافات والعقائد الخاطئة المهينة التي تجعل من الإنسان خاضعاً ذليلاً أمام مخلوقات هي أدنى منه أو أمام غيره من البشر. لذا تقول الآية بشأن بعثة النبي الأكرم **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾**[1]، ولا وجود لتحديد زماني، وهذا يشير إلى أن وجوب تحرك البشرية عبر هذه الواقعة صوب الحرية المعنوية والاجتماعية والحقيقة والعقلائية، وهذا ما كان قد انطلق وهو بأيدينا نحن البشر؛ وهذه سنّة أخرى في عالم الخلقة.

لو ضاعف البشر من سعيهم وجهودهم وهمتهم فسرعان ما يبلغون الأهداف الإلهية المحددة في الرسالة الإلهية؛ أما إذا تقاعسوا وبدا عليهم الضعف فإنهم سيراوحون في هذا المسير سنوات طوالا، كما في التيه الذي أصاب بني إسرائيل

---

(١) سورة الفتح : ٢٨.

﴿أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾[١]، إذ أن بني إسرائيل إنّما أصابهم التّيه والضياع في الصحراء بما كسبت أيديهم، ولقد كان بمقدورهم الحيلولة دون وقوع تلك الشدة والمرارة، أو تقليص مدّتها، وكذلك كان بوسعهم إطالة مدتها بضعفهم، وهكذا هو مآلنا؛ ولقد بيّن وحدّد الباري عزّ وجلّ للمسلمين العلّة من خلق البشر والفلسفة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، والبشر هم الذين بإمكانهم إطالة هذا الطريق أو اختصاره، بالإسراع أو الإبطاء في بلوغ الهدف.

تعلّق السنة الإلهية بإرادة الإنسان

على صعيد السنّة الإلهية فإن إرادة الإنسان هي الحاسمة، وإن دعوة الإسلام الناسَ إلى الجهاد **﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾**[٢]، أو **﴿وجاهدوا في سبيله﴾**[٣] إنما تعني: وظّفوا كافة قابلياتكم في سبيل الجهاد. لذا فإننا إذا ما عملنا بهذا الأمر الإلهي سنبلغ الهدف الإلهي بسرعة.

إنّ الهدف الإلهي ثابت وقطعي ولا مناص منه، فإن لم نعمل جاء آخرون وعملوا به: **﴿من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقومٍ يُحبهم ويحبونه﴾**[٤]، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا السبيل وهذا الهدف وهذا المصير حتمياً، وما هو ليس بحتمي عبارة عن الزمان والبشر الذين عليهم أن يقطفوا السعادة في التنافس في هذا الميدان، وهذا ما يتوقف على إرادتنا أنا وأنتم.

لقد شحذ الشعب الإيراني همته بقيادة الإمام العظيم واستطاع المضي خطوة إلى

(١) سورة المائدة: ٢٦.
(٢) سورة الحج: ٧٨.
(٣) سورة المائدة: ٣٥.
(٤) سورة المائدة: ٥٤.

الأمام ورفع راية الإسلام عالياً هنا؛ فاليوم ترفرف راية الشريعة المحمدية في هذا البلد، وربما كان ممكناً أن لا يقع هذا حتى عشرة أعوام أو مئة عام أخرى، لكن ما حققه هو إرادة هذا الشعب وتصميمه على التضحية والإقدام على الجهاد، وهذا ما يسري ويعم في كل مكان[١].

البشرية بحاجة اليوم إلى تعاليم نبي الإسلام الوضاءة

إنّ البشرية تشعر اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجتها لتعاليم نبي الإسلام الوضاءة، وإن الفخر يوشّح شعبنا في عزيمته وإرادته وصموده وثباته واختياره هذا الطريق عن وعي أولاً، واستقامته وصموده على سلوكه ثانياً؛ وللشعب الإيراني عظيم الفخر أن يدعي حمل راية الرسالة النبوية في شتى ميادين الحياة، فلم يأتِ الإسلام ليخلق معتقداً في ثنايا قلوب بني الإنسان وعقولهم وإن كان هذا الاعتقاد غير ذي أثرٍ في أفعالهم وحياتهم، بل إنه جاء لإحداث التغيير في الحياة وتصحيح مسار البشرية؛ والإيمان بالإسلام هو مصدر عمل للبشرية، والأحكام والقوانين الإسلامية تتميز بشموليتها لكافة مجالات الحياة الإنسانية، إجتماعية كانت أم فردية، سياسية أم اقتصادية، فللإسلام برامجه وتوجيهاته التي تطرق هذه الجوانب بأسرها، والشعب الإيراني يكلّله الفَخار اليوم لخضوع كافة مرافق حياته للتعاليم الإسلامية.

وبطبيعة الحال فإن ثمة هوّة شاسعة تفصل واقعنا الحياتي الراهن عمّا يصبو إليه الإسلام، بيدَ أن توجهات النظام الإسلامي تسير باتجاه تقليص هذه الهوة[٢].

(١) من كلمة ألقاها المناسبة مولد النبي الأكرم ﷺ في ١٧ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ـ طهران.
(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة: مولد النبي الأكرم ﷺ في ١٧ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ـ طهران.

ولادة النبي محمّد: رحمة مستمرة للبشرية

لقد كانت هذه الولادة الكبرى، ولادة أسمى مثال للرحمة الإلهية للبشرية؛ لأنّ وجود ذلك النبي الكريم وإرساله بالنبوّة كان رحمة من الحقّ تعالى لعباده، فكانت هذه الولادة ولادة للرحمة.

وعلى العالم الإسلامي أن يدرك هذه النقطة وهي أنّ هذه الرحمة ليست رحمة منقطعة، بل هي رحمة مستمرة.

لقد حارب الكثير من أبناء البشرية يومذاك مظهر النور والهداية هذا بسبب الجهل أو التعصب الذاتي، على الرغم من أنّه صلوات الله عليه جاء لرفع الأغلال عن كاهل البشرية: ﴿**ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾[1].

فيا لها من أغلال ثقيلة، ويا لها من أحمال ثقيلة أُلقيت على عاتق البشرية حينذاك.

واليوم الوضع كذلك، فما قال جزافاً امرؤ ادّعى أنّ البشرية اليوم ترزح تحت وطأة أغلال أثقل مما كانت على كاهل الناس الجهلاء في جزيرة العرب في ذلك العصر، فهذا الظلم الذي يتعرّض له أبناء البشرية، وهذا الجور الذي تتعرّض له المجتمعات الإنسانية، واستحواذ الدوافع المادّية على الحياة الإنسانية، وإبعاد الجوانب المعنوية عن آفاق الحياة الإنسانية التي تفرض اليوم بالقوّة وبشتّى الأساليب على بني الإنسان، كلّها أثقال على كاهل البشرية. وما تستشعره البشرية اليوم في ظلّ التطوّر الصناعي، وفي ظلّ بريق المادّية الأخّاذ والخدّاع إنّما هو أشدّ وأثقل مما كانت تعانيه في ظلمات الجاهلية عند ظهور الإسلام.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

قبول غير المسلمين على مستوى العالم رسالة النبي

إذا التفتت البشرية اليوم إلى هذه الرحمة ـ رحمة وجود الإسلام، ورحمة التعاليم النبوية، وهذا النبع الفيّاض للوحدة ـ وأدركتها وارتوت من معينها، فسوف تزول أكبر معضلة يواجهها الإنسان. وعلى الرغم من أنّ حضارات العالم اليوم قد استفادت ـ بلا شك ـ من تعاليم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، ولا ريب في أنّ الكثير من الصفات الحميدة والخصال الرفيعة والمفاهيم السامية السائدة بين الناس مستقاة من الأديان الإلهية وتعاليم الأنبياء والوحي السماوي، ويعزى قسم كبير منها إلى الإسلام، إلّا أنّ البشرية بحاجة اليوم إلى المعنوية والصفاء والمعارف الواضحة والحقّة والسمحاء للإسلام التي يفهمها ويميل إليها كلّ قلب منصف، ولهذا السبب وجدت الدعوة الإسلامية أنصاراً كثيرين لها في العالم، واستجاب لها الكثير من غير المسلمين.

إنّ القبول بدعوة الإسلام لا يعني بالضرورة اعتناق الدين الإسلامي، بل ذلك مرحلة من ذا، والمرحلة الأخرى تتمثّل في قبول الناس على مستوى العالم رسالة الإسلام ومعارفه وحقائقه ورأيه في مسألة معيّنة.

واليوم هو ذلك اليوم الذي إذا تطلّع الشعوب على الإسلام تلمس فيه ما ينفعها ويملأ فراغ حياتها.

رسالة الإسلام وأهداف الإنسان

إنّ ما يطرحه الإسلام من قيم بشأن أهمّية الإنسان وأهدافه، وما يعرضه بشأن الأسرة والمرأة وهدف العلم وعلاقات المجتمعات البشرية مع بعضها، وبشأن العلاقات الإجتماعية بين الأقوياء والضعفاء، حينما تنظر إليها الشعوب التي تعيش في ظلّ مختلف الحضارات تشعر أنّ جميع معضلات حياتها يمكن حلّها وإزالتها

بواسطة هذه التعاليم.

ومعنى هذا أنّ رسالة الإسلام شديدة الجاذبية؛ ولهذا السبب نرى أنّ موقف الإستكبار العالمي والأجهزة الإعلامية في العالم ـ المرتبطة بمحافل الهيمنة والظلم والعداء للإنسان ـ من رسالة الإسلام موقف غاشم وشديد العداء.

منذ أن تحقّق نظام الجمهورية الإسلامية ـ الذي يعكس تطبيق الإسلام على مستوى الدولة ويثبت تطبيق الأُطروحة السياسية للإسلام ـ في العالم وقامت الجمهورية الإسلامية في إيران تضاعف عداء القوى المستكبرة والظالمة للإسلام والقيم الإسلامية على النطاق العالمي.

فمادام الإسلام محصوراً في المساجد وفي خزائن القلوب، وحتّى الوقت الذي لم يكن الإسلام قد وضع قدمه في ساحة السياسة والمواجهة والحكومة والميادين الدولية الكبرى، لم تكن مراكز الظلم والطغيان الدولي تشعر بخطورته لكي تصارعه وتنشب أظفارها فيه.

ولكن منذ أن رفع النظام الإسلامي لواء الحكومة في هذا البلد، واستجاب المسلمون في أقطار العالم لنداء إمامنا الراحل (رضوان الله عليه)، وأعلنوا عن انقيادهم ومحبّتهم له، وتحرّكت فئات كثيرة في هذا الإتجاه وأضحى شعار إحياء الإسلام شعار العصر بالنسبة للمسلمين، ازداد حينها العداء أيضاً[1].

واجبنا تجسيد رسالة الإسلام

ويتركز واجبنا ـ نحن المسلمين ـ في أن نجسد هذه الرسالة أمام أنظار شعوب العالم من خلال سلوكنا وأقوالنا وعزمنا وإرادتنا؛ فحيثما اقترن تحرك المؤمنين

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٧ هـ.

بالإسلام في أوساط الأمة الإسلامية بالفضيلة، ازداد الإسلام تألّقاً في أعين الناس وازدادت الرغبة فيه، وحيثما ظهرت على المسلمين معالم الضعف والذلة والصغار والانحطاط والتخلف، فإن ذلك سيكون من دواعي الإساءة للإسلام.

إنّ كل ما يصدر اليوم عن أبناء الأمة الإسلامية وذوي القدرة فيها ـ أي من لديهم الإمكانية على التأثير ـ من أفعال وأقوال، إذا ما بدت عليها ملامح الانحطاط، فإنه إهانة للإسلام أمام أنظار الشعوب.

من هنا فإن مسؤولية زعماء المسلمين وعلماء الإسلام ومثقفي المسلمين وفنانيهم وكتّابهم وأدبائهم جسيمة للغاية.

ومسؤولية أبناء الدول الإسلامية ممّن لهم التأثير في المحيط الذي يحيون فيه جسيمة للغاية؛ فاليوم هو اليوم الذي يمكن أن تُشهر فيه رسالة الإسلام أمام الإنسانية المعذبة والحيارى من بني الإنسان والادّعاء بأنها سبيل النجاة لهم، وفيها تكمن الحقائق[١].

رسالة الأنبياء عليهم السلام

إنّ قادة الأديان والمذاهب يعتبرون أنفسهم اليوم ممثّلين عن الأنبياء وسائرين على نهجهم ومكملين لطريقهم.

فماذا كان هدف الأديان؟ وما هي رسالة الأنبياء الإلهية إلى البشرية؟

الجواب عن هذا السؤال يجب أن يوضحه منهج وأسلوب كل الذين يرفعون لواء الدين في هذا اليوم.

بلاشك إنّ كافة الأديان تنشد فلاح الإنسان وإنقاذه، ولكل دين منهجه وأسلوبه في

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤٢١هـ ـ طهران.

مخاطبته الأمم والتعامل معها بما يتناسب وظروفها المكانية والزمانية. وقد خاض الأنبياء والرسل عليهم السلام على طريق نشر الرسالة الإلهية جهاداً شاقاً وطويلاً، وقدموا نماذج ممتازة للتضحية في سبيل العقيدة والدين بقيت خالدة في الأذهان.

ترك المفاسد

كان هذا الجهاد والسعي المخلص لأجل سعادة الإنسان وفي سبيل الله، وبشكل عام في قبال الرغبات والمصالح الفاسدة أو مقابل تجهيل أصحاب هذه المصالح للآخرين؛ وقد حفل تاريخ العالم والكتب المقدسة للأديان بذكر هذه المجاهدات وتعظيم هؤلاء المجاهدين.

إنّ الدين الإلهي لا يطلب السعادة لعدد خاص من الناس في زمان معين وفي منطقة معينة، ولا يكره الناس على قبوله، ولا يختص ببعض جوانب الحياة، وإنما كان الناس جميعاً على اختلاف أماكنهم وأزمانهم مخاطبين من قبل الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا يعملون عن طريق غرس الإيمان فيهم وتنمية عقولهم وشحذ هممهم لهدايتهم إلى الصراط المستقيم ليتوجهوا نحو الفلاح والصلاح.

التطور العلمي وحدهُ عاجز عن تحقيق السعادة

إنّ تجارب القرون الأخيرة لا سيما القرن العشرين أثبتت أن التطور العلمي بمفرده لا يمكن أن يحقق السعادة والسلام للإنسانية، فإن العلم لا يخدم البشرية ما لم يكن مشفوعاً بالهدف والإيمان، وهذه الضالة لا يمكن العثور عليها إلّا في الأديان.

من غير اللائق حصر ما جاء به الرسل في إطار الممارسات الفردية للإنسان وعلاقته الروحية مع الخالق تعالى، وتضييق دائرة هذه الرسالة العظيمة إلى الحد الذي لا تشمل علاقة الإنسان مع الإنسان وعلاقة الفرد مع المجتمع ومع البيئة وبناء نظام

اجتماعي وسياسي.

إننا نعتقد بأن جميع الأنبياء عليهم السلام ساروا على هذا النهج الواضح، ونحن نؤمن بهم كافة ﴿**لا نفرّق بين أحدٍ من رسله**﴾[1].

إنّ الأديان الإلهية تعتبر الدنيا دار تربية وامتحان للإنسان، وترى أن طريق التكامل المعنوي للبشرية يكمن في بناء عالم سالم ونزيه، بعيد عن إفرازات طغيان وأنانيات وضيق أفق السلطويين وضعف وانفعال وجهل قصيري النظر، وقد جاهدت من أجل إيجاد مثل هذا العالم.

فإهمال وتجاهل الطبيعة والقوى والقوانين التي تم إيداعها لسمو الإنسان أمر مرفوض، شأنه شأن التصرف فيها بالظلم والفساد.

إنّ سلامة البيئة التربوية للإنسان تعني أن يتعاطى الإنسان مع ربّه وذاته وابن جلدته والطبيعة من حوله بسلام ووئام. إن السلام بهذا المعنى العام يعدّ من أكبر احتياجات البشرية وصولاً إلى التكامل والفلاح.

حقيقة رسالة الأديان السماوية

إنّ هذا السلام ينبغي أن يكون وليد الإيمان والفكر، وقد حرص الأنبياء عليهم السلام على إخراج هذه الحقيقة إلى أرض الواقع. وإن أجواء الصمت والسكون الناجمة عن لغة القوة والرعب والخداع لحكام المال والقوة في بعض بقاع العالم تناقض تماماً السلام الذي ينادي به مبشّرو الفلاح للإنسان.

إن السلام ينبغي أن يقوم على أساس العدل واحترام كرامة الإنسان ويكون بعيداً عن أطماع السلطويين في العالم. وإن فرض الصمت والخنوع على شعب نهض

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

للدفاع عن حقوقه المهضومة لا ينسجم مع السلام الذي نادى به حملة رسالة السلام السماوية.

لقد حاولت القوى الطامعة، التي لا تفكّر إلّا في إشباع رغباتها، على مدى التاريخ استغلال الدين ورجال الدين لتحقيق أهدافها السلطوية، إلّا أن الأديان الإلهية كانت ترفض مثل هذه الخدعة الكبرى. وإن الكثير من الحروب التي أجّجت باسم الدين كانت منطوية على مثل هذه النوايا السيئة.

لا يمكن أن يكون الدين في خدمة السياسات السلطوية، بل يعتبر شؤون السياسة وإدارة المجتمعات البشرية جزءاً من صلاحياته ووظائفه، وهو يحارب هذه السياسات اعتماداً على حب وإيمان الناس بنظامه السياسي.

وإن الكثير من السياسيين والسلطويين يحذرون من تدخل الدين بالشؤون السياسية[1]، ويضعون خطوطاً حمراء بين الدين والسياسة يصعب اجتيازها، وإن كانوا لا يلتزمون هم بهذه الحدود أبداً، بل يتدخلون في الدين ويستغلونه لأغراضهم.

إنّ عالمنا المعاصر بات يعاني اليوم من الفساد الأخلاقي، والأديان هي القادرة على الوقوف بوجه هذه الحالة بقوة ووضع الحلول لها، شريطة أن يسمح لها أن تسجّل حضورها الفاعل في مختلف مرافق الحياة، وأن تتدخل في تطهير وتعديل الدوافع الاقتصادية التي تكرس الفساد الأخلاقي.

إنّ العالم يشهد اليوم تجربة ناجحة في إيران الإسلام لإقامة نظام سياسي على أسس التعاليم الدينية السماوية ، إلّا أنّ أكبر تحدّ تواجهه الجمهورية الإسلامية اليوم هو إفشال مخططات كبار سلطويي العالم الذين لا يرغبون في أن يروا عقبة أمام أطماعهم في هذه البقعة من العالم أيضاً.

---

(١) لقد ذكر سماحته ذلك مفصّلاً في كتابه «حاكمية الإسلام».

أيّها الأصدقاء والضيوف الأعزاء، إذا قبل قادة الأديان الإلهية بأنهم يقومون مقام الأنبياء، فطريق مبلّغي الفلاح وسعادة الإنسان واضح أمامهم، وهو طريق ذو عقبات كثيرة وتتطلب جهوداً حثيثة. إلّا أنه طريق يحقق البهجة والرضا لسالكه، وبالتالي رضا الباري عزّ وجلّ. ولينصرنّ الله من ينصره ورسله. (١)

الإسلام كدين سماوي: مشعل هداية

يجب فهم الإسلام فهماً إنسانياً صحيحاً مثلما ورد في مصادره الاصيلة والانتفاع منه بالهداية القرآنية.القرآن نفسه تبيان لكل شيء(٢). فهو نهج وبيان ومسار، على العكس مما يلقّن الى أصحاب الفكر والرأي في المجتمعات الإسلامية ـ وهذا التلقين جاء نتيجة للتسلط الفكري والثقافي الغربي الذي يخشى سيادة الفكر الإسلامي ـ من وجوب فهم الإسلام في ضوء الأدوات والمعارف الغربية. من الطبيعي أنّ المعارف كلها توعّي الإنسان وتعينه على استحصال فهم أفضل، بيدَ أنّ الإسلام يجب استقاؤه من الإسلام ذاته؛ الحقائق الإسلامية ينبغي استخلاصها من النصوص الإسلامية ويجب فهمها وتطبيقها في ضوء المصطلحات الإسلامية.

الإسلام ذاته مشعل هداية ينير الأفكار والعقول ويهدي الناس، والقرآن كتاب هداية وكتاب نور. ومن يرجع الى القرآن ويتدبّر معانيه ويُوجِد الأرضية والاستعداد اللازمين في ذاته لاكتساب نصيب أكبر من معارف القرآن، بإمكانه الاستفادة من القرآن. ونحن يجب أن لا نكترث بمدى الوقع الذي يتركه فهمنا للإسلام على من لاصلة لهم به ولا يستسيغونه وينظرون إليه كمصدر إزعاج لهم ـ سواء في المجال الاقتصادي أم في المجال السياسي ـ وهل يتقبلون فهمنا هذا أو يستنكرونه.

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢١هـ.

(٢) قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون) سورة الأنعام: ٣٨.

لقد جاء الإسلام هادياً للبشرية واتخذ له حيّزاً في عقول الناس في وقت تعالت ضده صيحات التكذيب والإنكار. وحتى رسول الإسلام كالوا له أنواع التهم، والقرآن طافح بالتعابير التي كان أعداء الرسول يستخدمونها ضده، وهي تعابير لو أنّها استخدمت ضد إنسان ضعيف لدمّرته ولحطّمت إرادته ولأزالت جرأته على الافصاح بما يريد، إلّا أنّ الرسول لم يكترث لكل ذلك، وبيّن كلمة الله التي كانت قد جرت على لسانه، وأُلهم بها في قلبه، وفعلت نورانية الكلام الإلهي فعلها.

كل ما لدينا بفضل الإسلام والقرآن

لقد بدأنا مسيرتنا بفضل الإسلام، وتقدّمنا بفضل الإسلام، وصنعنا لأنفسنا أفق مستقبل مشرق بفضل الإسلام، وزرعنا اليأس في قلوب العدى بفضل الإسلام، وكشفنا عن الكثير من أحابيلهم بفضل الإسلام، وقطعنا شوطاً بعيداً على طريق إعمار هذا البلد مادياً ومعنوياً بفضل الإسلام، ولا زلنا على هذا النهج سائرين، وقدّمنا في مسيرتنا هذه إنجازات جمّة.

فكل ما لدينا من الإسلام وكل ما لدينا من القرآن، وكل ما لدينا جاء بفضل إرشادات ذلك القائد الكبير، ونحن على ثقة بأنّ مواصلة السير على هذا الطريق ستقود هذا الشعب إلى السعادة وستروي ظمأه المادي والمعنوي، وستحلّ جميع مشاكلنا بفضل التمسك بالإسلام والسير على هذا الطريق باستقلالية؛ وجميع المسؤولين يواصلون العمل الدؤوب وبذل الجهود، وهم على اعتقاد تام بهذه الحقيقة.

كلما اقترب مسلمو العالم نحو الإسلام أكثر، تذوّقوا طعم هذا الدين أكثر فأكثر، وكلّما ازدادوا تلاحماً، جنوا فوائد من الإسلام أكثر. والمسلمون مطالبون اليوم بتجاوز اختلافاتهم الفرعية والطائفية والتاريخية والمذهبية، ومدّ يد الإتحاد بعضهم إلى بعض. وستجتاز هذه الأمة الكبرى في جميع البلدان الإسلامية كل العقبات الكبرى

التي تعترض طريقها، وسيكون مستقبل الأمة الإسلامية ـ بإذن الله ـ أفضل من ماضيها بكثير(١).

كيفية التعامل مع الأنبياء عليهم السلام

فهل يَجدر بنا أنْ نتعامل مع هذه الشخصية العظيمة كما نتعامل مع الأشياء الأثرية ونحتفظ بها في متحف التاريخ كي نتمتّع مع الآخَرين بالنظر إليها ونكتفي بالتمجيد والثناء عليها؟! إنّ حجم نبيناصلى الله عليه وآله أكبر من ذلك بكثير! إنّ هَويةَ الأنبياء لا تنحصر بمدّة حياتهم، وإنما تمتد عبر التاريخ، حيث يمتد بهم الوجود بعد موتهم بوجود تعاليمهم ورسالتهم ومناهجهم، وإلّا فإنّ حياة الأنبياء لا تختلف عن حياة غيرهم من بني البشر حيث يعيشون خمسين أو ستين أو مئة سنة، ويقومون بأعمال جليلة، ثم تُطوى صفحاتهم.

وعليه فالمسألة لا تقف عند هذا الحد.

وإلّا لَمَا بَقي لدينا من تعاليم الأنبياء شيء، في حين أنّ الأمر على العكس من ذلك، فإنّ جميع المعارف البشرية السامية حالياً وليدة تعاليم الأنبياء (عليهم السلام) ولَوْ بالواسطة.

فهم الذين رَفعوا راية العدل والأخلاق وعبادة الله والتنكر للذات، والتضحية من أجل الآخَرين، وغير ذلك من الفضائل الّتي يجمع على استحسانها جميع أبناء البشر مع اختلاف قومياتهم وأديانهم وإلّا كانت الدنيا بيد المستكبرين والطغاة.

فما هو السبب وراء بقاء العدالة وحرية التفكير والإخاء والتضحية والإيثار بوصفها قِيَماً حيّة؟ إنّما كان ذلك بفضل تعاليم الأنبياء، فهم الذين بلّغوا هذه التعاليم قبل أنْ

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٩ هـ ـ طهران.

يرتحلوا، إذ لم تقتصر حياتهم على تلك السنوات الخمسين أو الستين.

فإنّ حياتهم عبارة عن امتداد تلك المعارف عبر التاريخ بغية هداية الإنسان[١].

أثر الأنبياء عليهم السلام على تغيير المجتمعات

إنّ عباد الله الصالحين وهبوا التاريخ نفحات روحية. وإن التاريخ المعنوي الإنساني الحقيقي هو الذي خطّه عباد الله الصالحين.

وكما ترون فإنّ المفاهيم الّتي قدّمها أنبياء الله إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هدية للإنسانية، لا تزال رُغم مُضي آلاف السنين عليها تُعتبر من أسمى المفاهيم الإنسانية السائدة.

فإذا كان الحديث عن الحرية والكرامة الإنسانية، وإذا كانت حقوق الإنسان في المجتمعات مطروحة، وإذا كان العَدل ورَفع الحيف لا يزال شعاراً خلّاباً في الدنيا، وإذا كانت مُكافحة الفساد والمفسدين والظلم والظالمين، وإذا كان الإيثار والتضحية في سبيل الحق موضع اهتمام الإنسان، فإنّما يعود الفضل في ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام وعباد الله الصالحين الذين قدّموا هذه المفاهيم للتاريخ ووضعوها في متناول البشرية.

وعليه فإنّ عباد الله الصالحين يُغيّرون وجه التاريخ، ويُحوّلون المستحيل إلى ممكن، من خلال تَوكّلهم على الله وخشيته.

إذ لا يمكن تغيير الإنسان والإنسانية عن طريق الرجاء والخوف المادّي.

إنّ خَشية عباد الله ورجاءهم ليست كخَشية عبيد الدنيا ورجائهم، إذ أنّهم يتمسكون بالله ويتوكّلون عليه، وتتلخص خَشيتهم من معصيته، ويَرون جميع

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٣/١٠هـ‍ش الموافق ٢٢/ربيع الثاني/ ١٤٢٦هـ الموافق ٣١ مايو /٢٠٠٥م ـ طهران.

القوانين الطبيعية ـ الّتي تمسك يدُ القدرة الإلهية بأطرافها ـ فـي خدمة أهدافهم، ويتحرّكون بالتوكّل على الله، ولذلك يستطيعون تغيير العالم[1].

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٣/١٤هـ.ش. ـ الموافق ٢٦/ ربيع الثاني/ ١٤٢٦هـ ـ الموافق ٢٠٠٥/٦/٤م. ـ طهران.

الحياة الشخصية للنبي الأكرم ﷺ

صفات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

إنّ نبي الإسلام المكرّم، وفضلاً عن مناقبه المعنوية وخصاله النورانية واتّصاله بعالم الغيب وما يتميز به من درجات ومراتب يعجز أمثالي عن إدراكها، فإنه كبشر وكإنسان يعتبر شخصية ممتازة من الطراز الأول لاندّ لها ولا نظير.

لقد سمعتم الكثير حول أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يكفي للقول بأن أبرز شيء في شخصيته أنه كان تلميذاً وتابعاً للرسول ﷺ.

إن نبينا الأكرم ﷺ يتصدّر قائمة الأنبياء والأولياء بشخصيته العظيمة وحلمه اللامتناهي وخُلقه الفريد، ممّا يوجب علينا نحن المسلمين الاقتداء به إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿**لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[1] ليس فيما نؤديه من صلوات معدودة فحسب، بل في سلوكنا أيضاً وأقوالنا وحسن عشرتنا ومعاملتنا، وهو ما يستدعي منّا حقّ المعرفة له.

مرحلة الصبا

لقد ربّى المولى سبحانه وتعالى نبيّه الأكرم ﷺ وأدّبه روحيّاً وأخلاقيّاً بما يجعله قادراً على حمل تلك الأمانة الكبرى. وما علينا سوى إلقاء نظرة عامة على حياة النبي

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

الأكرم صلى الله عليه وآله في طفولته: لقد رحل والده عن الدنيا قبل ميلاده طبقاً لإحدى الروايات[١]، أو بعد ميلاده ببضعة أشهر طبقاً لرواية أخرى[٢]، فلم يره. وكان من تقاليد العوائل النبيلة والأصيلة في الحجاز آنذاك أن تتخيّر لأبنائها من السيدات العفيفات والأصيلات والشريفات من ترضعه وتقوم بتربيته في أوساط القبائل العربية في البادية. فكان هذا الوليد العزيز من نصيب سيدة أصيلة وشريفة من قبيلة بني سعد تسمى «حليمة السعدية»، فأخذته حيث تعيش قبيلتها، وظلت نحو ستة أعوام ترضعه وتربّيه، حتى نشأ النبي صلى الله عليه وآله وشبّ عن الطوق في البادية[٣].

وكانت حليمة تأخذه أحياناً إلى أمّه ـ السيدة آمنة ـ لتراه، ثم ما تلبث أن تعود به إلى حيث كانت تعيش. وبعد ستة أعوام، ولما صار هذا الصبي في حالة مقبولة من النمو الجسمي والروحي، وبات قوي البنية، جميلاً، ونشيطاً، ونبيهاً، وبرزت فيه صفات الصلابة والصبر وحسن الخلق والسلوك وسعة الأفق، والتي هي من لوازم الحياة في تلك الظروف، فإن السيدة حليمة أعادته إلى أمّه وقبيلته.

وعندئذ أخذته أمّه إلى يثرب لزيارة قبر أبيه عبدالله الذي مات ودفن هناك. حتى إن النبي صلى الله عليه وآله لمّا جاء إلى المدينة المنورة بعد ذلك قال لدى مروره بذلك المكان: هاهنا قبر والدي، ومازلت أتذكر أنني كنت قد قدمت مع أمي إلى هنا، غير أن أمّه

(١) انظر طبقات ابن سعد: ١ / ٩٩.

(٢) انظر الكافي: ٧ / ١٣٩.

(٣) لقد شرف الله تعالى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وخصها بتربيته وكانت ذات عقل وفضل فروت من آياته ما يبهر عقول السامعين واغناها الله ببركته في الدنيا والدين وكان لا يرضع إلا من ثديها اليمين، قال ابن عباس رضي الله عنه الهم العدل حتى في رضاعه لأنه علم أن له شريكا فناصفه عدلاً منه صلى الله عليه واله. قالت حليمة: فكان ثديي اليمين لرسول الله واليسار لولدي ضميرة وكان ولدي لا يشرب حتى يراه قد شرب. قالت: ولم أر قط ما يرى للأطفال طهارة ونظافة وإنما كان له وقت واحد ثم لا يعود الى وقته من الغد، وما كان شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفاً فكنت إذا كشفته يصيح حتى استر عليه. (انظر كنزالفوائد - أبو الفتح الكراجكي: ٧٢).

توفيت أيضاً في طريق عودتهما من يثرب في مكان يدعى «الأبواء» فغدا هذا الصبي يتيم الأب والأم.

وبهذا أخذت روح هذا المولود الصبي في النضج والنمو يوماً بعد آخر وهو الذي سيصبح عليه أن يربّى البشرية على صفاته وخصاله الأخلاقية ويأخذ بيدها نحو التقدم في غد الأيام.

وفي تلك الأثناء عادت به أم أيمن إلى مكة وسلّمته إلى جدّه عبد المطلب الذي ظل يسبغ عليه من عطفه ورعايته[1]. حتى إنه لَيقول في شعر له ما معناه إنه له بمنزلة الأم من الولد[2].

ولقد كان هذا الشيخ البالغ من العمر نحو مائة عام ـ والذي كان رئيساً لقريش مع ما له من شرف وعزّة ـ يحنو على هذا الصبي بكل ما لديه من عطف ومحبة فشبّ سويّاً

---

(١) روي أن عبد المطلب أتي آمنة رضوان الله عليها فسألها عن حالها فاخبرته بولادتها والآيات التي رأتها فقال لها: أريني المولود. فقالت: لا سبيل لأحد الى رؤيته حتى تمضي ثلاثة أيام، فعند ذلك جرد سيفه ليقتل نفسه. فقالت: هو في ذلك البيت ادخل إن أحببت أن تراه، فلما دخل عبد المطلب تراءى له رجل وقال: إليك يا عبد المطلب لا سبيل لك الى رؤيته حتى تنقطع عنه زيارة الملائكة (كنزالفوائد - أبو الفتح الكراجكي: ٧٢).

(٢) عن محمد ابن إسحاق، قال:.. فقام عبد المطلب يدعُو الله تعالى ويشكر الله عز وجل الذي أعطاه إياه فقال:

الحـمدُ للهِ الذي أعـطاني ... هـذا الغـلام الطّـيّب الأردان
قـد سـاد فـي المـهد على الغلمان ... أُعـيذه بـالله ذي الأركَـان
حـتى يكـون بَـلغة الفـتان ... حـتى أراه بـالغ البـنيّان
أعـيذه مـن كـل ذي شـنآن ... مـن حـاسد مـضطرب العنان
ذي هـمة ليس له عَـينان ... حـتى أراه رَافـع البـنيّان
أنت الذي سـميت فـي القـرآن ... فـي كـتبٍ ثـابتة المـثان
أحـمد مكـتوب عـلى اللسّان ... أحـمد مكـتوب عَـلى اللسّان

تاريخ دمشق: ٢ / ٤٨.

دون أن يشعر بمرارة اليتم وافتقاد حب الوالدين.

والمدهش في الأمر أن هذا المولود الصبي شب يتيماً وتحمل متاعب فقدان الوالدين حتى تتكامل شخصيته وتنمو كفاءاته دون الشعور بأدنى قدر من النقص الذي يمكن أن يصاب به بعض الأبناء في مثل هذه الأحوال.

لقد كان عبد المطلب شديد الحب له والتقدير ممّا أثار دهشة الجميع. وتروي كتب التاريخ والحديث أن عبد المطلب كان يُبسط له فراش وتوضع له وسادة بجوار الكعبة فيجتمع حوله أبناء وشباب بني هاشم في تبجيل واحترام.

وعندما كان عبد المطلب يغادر المكان أو يدخل إلى الكعبة فإن ذلك المولود الصبي كان يجلس على الفراش متكئاً على الوسادة. وما إن يعود عبد المطلب حتى يطلب شباب بني هاشم من الصبي فسح المجال للأب الشيخ، ولكن عبد المطلب كان يقول لهم: دعوه، فإن هذا مكانه الذي ينبغي له الجلوس فيه، فكان يجلس بجواره دون أن ينحّيه عن مجلسه وهو يوليه المزيد من العزّة والشرف والتبجيل(١).

ولكن عبد المطلب توفي هو الآخر بينما كان الصبي مازال في الثامنة من عمره.

---

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إنّ ربّك يقرئك السّلام ويقول: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطّلب والبطن الّذي حملك فآمنة بنت وهب وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب ـ وفي رواية ابن فضّال ـ وفاطمة بنت أسد ـ الكافي: ١ / ٤٤٦ ح ٢٢.

وعنه عليه السلام قال: يبعث عبد المطّلب أمّة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء وذلك أنّه أوّل من قال بالبداء.

قال: وكان عبد المطّلب أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رعاته في إبل قد ندّت له، فجمعها فأبطأ عليه فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: «يارب أتهلك؟ ألك إن تفعل فأمر ما بدا لك» فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالإبل وقد وجّه عبد المطّلب في كلّ طريق وفي كلّ شعب في طلبه وجعل يصيح: «يا ربّ أتهلك آلك إن تفعل فأمر ما بدا لك» ولمّا رأى رسول الله ٩ أخذه فقبّله وقال: يابنيّ لا وجّهتك بعد هذا في شيء فإنّي أخاف أن تغتال فتقتل ـ الكافي: ١ / ٤٤٧ ح ٢٥.

وجاء في الروايات أن عبد المطلب أخذ العهد من ابنه أبي طالب ـ وهو من أعز أبنائه وأرفعهم درجة لديه ـ وأوصاه خيراً بالصبي قبيل وفاته، طالباً منه أن يعامله كما كان يعامله ويحميه كما كان يحميه، فقبل أبو طالب ذلك وعاد به إلى منزله وهو يحنو عليه كفلذة كبده ويرعاه بكل وجوده.

وظل أبو طالب[١] وزوجته ـ فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين ـ يوليان هذه الشخصية الرفيعة الكثير من الحماية والعون كما والديه طوال نحو أربعين عاماً[٢].

وفي مثل هذه الظروف أمضى النبي الأكرمصلى الله عليه وآله فترة صباه وشبابه.

إنّ كل الخصال الأخلاقية المتعالية والشخصية الإنسانية الكريمة والصبر والتحمل الشديد والاندكاك بالآلام والشدائد التي يمكن أن تلمّ بالإنسان في طفولته مهدت لتشكيل الشخصية السوية العظيمة والعميقة في هذا الطفل؛ لقد اختار النبيصلى الله عليه وآله أن يرعى غنم أبي طالب في عهد صباه، فكان هذا من العناصر التي كوّنت شخصيته.

كما اختار هو بنفسه في تلك السن أن يرافق عمّه أبا طالب في تجارته خارج مكة، وقد تعددت أسفاره في التجارة حتى بلغ سن الشباب والزواج بالسيدة خديجة والوصول إلى سنّ الأربعين عندما نزل عليه الوحي.[٣]

(١) وعنه عليه السلام قال: إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف، أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين ـ الكافي: ١ / ٤٤٨ ح ٢٩.
وعنه عليه السلام قال: لمّا توفّي أبو طالب نزل جبرئيل على رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أخرج من مكة، فليس لك فيها ناصرٌ، وثارت قريش بالنبيصلى الله عليه وآله، فخرج هارباً حتى جاء إلىٰ جبل بمكّة يقال له: الحجون فصار إليه ـ الكافي: ١ / ٤٤٩ ح ٣٠.
(٢) لقد كفله أبو طالب أحسن كفالة ولم يكن له يومئذ ولد وكانت امراته فاطمة بنت أسد بن هاشم المعروفة بسودة الفاضلة فتولت معه تربيته واحسنا جميعاً حياطته ورعايته واتخذاه لأنفسهما ولداً ولم يؤثرا في المحبة عليه أحداً وقد شغفا بواضح دلالته وذهلا من ظاهر حجته (لنظر كنز الفوائد – أبو الفتح الكراجكي: ٧٢).
(٣) من كلمة ألقاها في: ٧ صفر ١٢٤١هـ ـ طهران.

سلوك النبي صلى الله عليه وآله الشخصي

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل أكل العبد ويجلس جلسة العبد لا كمثل النبلاء؛ ومع أن الرسول صلى الله عليه وآله كان ينتمي للأشراف والنبلاء إلّا أنه كان يتعامل مع الناس بتواضع وينظر إليهم باحترام بعيداً عن الغرور والخيلاء، غير أن أباطرة ذلك الزمان كانوا يرتعدون من مجرد إشارته أو نظرته في السنوات الأخيرة من حياته، وهذه هي العزّة[1].

إنّ الإسلام يصف سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وخلقه الشخصي، فيقول ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾[2] كما يقول القرآن الكريم في موضع آخر مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**﴾[3] فالجذر الثلاثي «غلظ» الذي ورد في الآية السابقة جاء في هذه الآية أيضاً، سوى أن الآية الأولى تتحدث عن طبيعة التعامل مع المؤمنين وعن السلوك الفردي، وأما الثانية فتدور حول تطبيق القانون وإدارة المجتمع واستقرار الهدوء والنظام؛ فالغلظة في الأولى أمر سيّئ، لكنها أمر جيد في الثانية، أي أن العنف سيّئ في الأولى وجيد في الثانية.

لقد دخل الرسول صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، والتقى أولئك الذين آذوه وكذبوه على مدى ثلاثة عشر عاماً وجرّوا عليه كافة أنواع الويلات، ولكنه خاطبهم قائلاً: اذهبوا فأنتم الطلقاء .. ولم ينتقم منهم. وفي نفس الوقت فإنه صلى الله عليه وآله ذكر جماعة بالاسم وقال اقتلوهم حيث ثقفتموهم! وكان من بينهم أربع نساء وأربعة رجال. فهاهنا كان يلزم

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة التوبة: ٧٣.

العنف، وأما هنالك فالرفق واللين.

إن الإسلام يوضح الآثام والذنوب، فيقول لا تتجسسوا، ولا تتبعوا عورات الآخرين وخطاياهم، ولا تتهموهم ظلماً وعدواناً. ولكن عندما تثبت الجريمة فإنه يقول: **﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾**(١) (٢).

أخلاق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

لقد اجتمعت فيه كافة صفات الإنسان الكامل، ولسوف أتحدث عن جانب من مميزاته الأخلاقية باختصار إلّا أن المرء يحتاج إلى ساعات وساعات ليدخل إلى العالم الأخلاقي الذي تفرد به الرسول صلى الله عليه وآله. ولهذا فإنني سوف أقتصر هنا على الحديث في هذا الموضوع بغية التعبير عن إخلاصي، وحتى أكون قد عرضت على الخطباء والكتّاب بشكل عملي ضرورة بذل المزيد من الجهود لمحاولة الإحاطة بأبعاد شخصية النبي صلى الله عليه وآله والتي تمثل بحراً عميقاً.

إن العديد من الكتب والمؤلفات تزخر بالقدر الوافر من الحديث حول أخلاق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ والذي سأورده هنا اقتباس من مقالة لأحد العلماء المعاصرين ـ وهو المرحوم آية الله الحاج السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني ـ بصورة مختصرة ومفيدة.

دعونا نقسّم أخلاق النبي باختصار إلى «أخلاق شخصية» و«أخلاق حكومية»، أي أخلاقه كإنسان وأخلاقه ومميزاته وسلوكه كحاكم. وهذا بالطبع غيض من فيض، لأن شخصيته تشتمل على الكثير من المميزات البارزة والجميلة والتي ليس بوسعي الآن إلّا الاقتصار على بعضها.

---

(١) سورة النور: ٢.

(٢) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

الأخلاق الشخصية

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله رجلاً أميناً وصادقاً وصبوراً وحليماً، كما كان شهماً وحامياً للمظلومين على الدوام؛ فمن حيث الصدق كان سلوكه مع الناس قائماً على الصدق والإخلاص والوفاء. كما كان طيّب القول، وكان يتجنب الإساءة والتجريح. وكان عفيفاً ومعروفاً لدى الجميع بالعفّة والحياء والنجابة في ذلك الجوّ الأخلاقي الفاسد الذي كان يخيم على الحجاز قبل الإسلام، فلم يقترب من الخبائث في مرحلة شبابه.

ثم إنه كان من المتميزين بنظافة الظاهر، حيث كان نظيف الملبس والرأس والوجه، وامتاز بحسن السلوك. كما كان النبي صلى الله عليه وآله شجاعاً لا تفتّ من عضده كثرة العدو، وكان صريحاً لا يقول إلّا الصدق، وكان زاهداً وحكيماً في حياته، كما كان رؤوفاً متسامحاً كريماً يتجنب الثأر والانتقام، وكان من صفاته الرحمة والمداراة، كما كان ذا أدب جمّ لا يمدّ رجله أبداً في محضر الآخرين ولا يسخر منهم. كما كان الحياء صفته، فكان يستحي من ملامة الناس ويطأطئ رأسه خجلاً وحياءً، ومواقفه في ذلك تشرق بها صفحات التاريخ.

وكان رحيماً وغايةً في التسامح والعبادة. وكانت كل هذه الخصال متجسّدة في شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في شتى مراحل حياته منذ صباه وحتى وفاته في الثالثة والستين من عمره. وسأبسط الحديث في بعض هذه الخصال.

أمانة النبي صلى الله عليه وآله

لقد كان شديد الأمانة حتى لقّبه الناس في الجاهلية بلقب «الأمين» فكانوا يودعون لديه أماناتهم المهمة وهم على ثقة بردّها إليهم دون إصابتها بسوء. لدرجة أنهم كانوا يحفظون أماناتهم عنده حتى بعد بداية الدعوة الإسلامية وتأجج نار العداء والبغضاء

مع قريش، وهم أعداؤه! ولهذا فإنكم سمعتم بأن الرسول صلى الله عليه وآله ترك أمير المؤمنين عليه السلام في مكة عند هجرته إلى المدينة لكي يؤدّي للناس أماناتهم. ومن المعروف أن بعض الكفار والذين ناصبوه العداء كانوا قد استأمنوه على أموالهم حينذاك مع أنهم لم يُسلموا..!

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله شديد التحمل لدرجة أن الآخرين كانوا يغضبون عند سماع ذلك، وهو الذي لا تنال منه الشدائد ولا تستفزّ غضبه. وكان الأعداء يؤذونه في مكة لدرجة أن أبا طالب استشاط غضباً منهم وجرّد سيفه ذات مرة وتوجّه إليهم مع أحد مواليه وفعل بهم ما فعلوه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وتهدّد كلّ من يعترض سبيله بضرب عنقه[1]، بينما كان النبي صلى الله عليه وآله قد تحمل كل ذلك بحلم وأناة.

وذات يوم آخر وجّه إليه أبو جهل إهانة شديدة إثر نقاش حادّ بينهما، فقابلها الرسول صلى الله عليه وآله بالحلم والسكوت. وعندما أخبر أحدهم حمزة قائلاً بأن أبا جهل أساء إلى ابن أخيك فإنه تميّز غيظاً وقصد أبا جهل فضربه بالقوس على رأسه حتى شجّ رأسه، ثم أسلم حمزة بعد ذلك جرّاء هذا الحادث.

وأمّا بعد الإسلام فقد كان بعض المسلمين يوجّه إلى الرسول صلى الله عليه وآله أحياناً كلمات تؤذيه غفلةً أو جهلاً فيما يخص بعض الأمور، لدرجة أن إحدى أزواجه ـ وهي زينب بنت جحش التي كانت من أمّهات المؤمنين ـ خاطبته بالقول: إنك لا تعدل وأنت نبي!

---

(١) في بعض الروايات: بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلىٰ ناقة فملأوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلىٰ أبي طالب فقال له: يا عمّ كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذاك يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلىٰ، ثمّ توجّه إلىٰ القوم والنبيّ معه فأتى قريشاً وهم حول الكعبة، فلمّا رأوه عرفوا الشرّ في وجهه، ثمّ قال لحمزة: أمرّ السلىٰ على سبالهم ففعل ذلك حتّى أتى على آخرهم، ثمّ التفت أبو طالب إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا ـ الكافي: ١ / ٤٤٩ ح ٣٠.

فابتسم النبي صلى الله عليه وآله دون أن يعقّب[١].. فقد كانت تنتظر منه أمراً في الحياة الزوجية دون أن يجيبها إليه.

كما كان البعض يأتون أحياناً إلى المسجد فيمدّون أرجلهم قائلين للرسول صلى الله عليه وآله: قلّم لنا أظفارنا! ـ حيث جاء الحث على تقليم الأظافر ـ ولكن الرسول صلى الله عليه وآله كان يتحمل كل هذا التجاسر وسوء الأدب بحلم تام.

وأمّا نبله وشهامته فقد وصلت إلى الحد الذي يعفو فيه عن أعدائه. كما كان لا يرى مظلوماً إلّا وهبّ للدفاع عنه حتى يستردّ حقّه.

حلف الفضول

ففي الجاهلية كان النبي صلى الله عليه وآله شريكاً في حلف يُدعى «حلف الفضول»[٢] وهو غير

---

(١) انظر الكافي: ٦ / ١٣٩ ح ٥، ومناقب أمير المؤمنين للكوفي: ٢ / ٣٢٤.

(٢) قال ابن هشام: وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد ابن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الاسلام لاجبت (سيرة النبي صلى الله عليه وآله لابن هشام الحميري: ١ / ٨٧).

وروي أنهم تحالفوا على أن لا يسالموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بل بحر صوفه، وأن ينصر المظلوم، وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيبا فغمسوا أيديهم فيه فسموا المطيبون، سمي هذا الحلف حلف الفضول، شهد رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الحلف وهو ابن عشرين سنة، وكان صلى الله عليه وآله يقول بعد مبعثه: حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت =

ما كان بين أهل مكة من تحالفات أخرى كثيرة؛ إذ جاء رجل غريب وباع تجارته في مكة لرجل من أهلها يسمّى «عاص بن وائل» الذي كان من أشراف مكة المتغطرسين دون أن يعطيه ثمن ما اشتراه. وكلّما قصد الرجل واحداً من أهل مكة عجز عن مساعدته في أخذ حقّه. فوقف على جبل أبي قبيس وصاح قائلاً: يا أبناء فهر، لقد ظُلمت! فلمّا سمع الرسول ﷺ هو وعمّه الزبير بن عبدالمطلب استغاثة المظلوم إنضمّا إلى الجمع الذي قرر نصرته والدفاع عنه كي يستعيد حقّه، فذهبوا إلى عاص بن وائل وطالبوه بمال الرجل، فخشيء بطشهم وأعطى للرجل ماله.

وظلّ هذا الحلف قائماً، إذ قرر أعضاؤه نصرة كل غريب يعتدي عليه أهل مكة ـ الذين كانوا غالباً ما يظلمون الغرباء من غير أهل مكة ـ والدفاع عنه حتى أخذ حقّه. وحتى بعد مجيء الإسلام بسنوات طويلة كان الرسول ﷺ يقول إنني مازلت أعتبر نفسي ملتزماً بذلك الحلف.

حلم النبي صلى الله عليه وآله

وكم كان يعامل أعداءه المقهورين بسلوك لم يكونوا قادرين على فهمه وإدراكه؛ ففي السنة الثامنة للهجرة، وعندما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً بكل عظمة واقتدار فإنه

= إليه لأجبت . واجتمع بنو عبدالدار وبنو مخزوم وسهم وجمح وبنو عدي بن كعب فتحالفوا فسموا الأحلاف .

وجعل النبي صلى الله عليه وآله المطيبين تبعا لخزاعة ولعله لسبق خزاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبلهم ، والسابق من سبق إلى الدين ، والقريب من وصله الإسلام ، قال شيخ الأباطح أبو طالب رحمة الله عليه في وصيته لقريش : «كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش أذنابا ، ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا» .

(مكاتيب الرسول – الأحمدي الميانجي : ٣ / ١٣٣.

قال: «اليوم يوم المرحمة» ولم يثأر من أهلها. وهذه هي شهامته صلّى الله عليه وآله وسلم.

أخلاق النبي صلى الله عليه وآله

كما كان الرسول صلى الله عليه وآله مُعتَمداً حيث كان يعمل بالتجارة في الجاهلية ـ كما ذكرنا ـ وكان يسافر إلى الشام واليمن ويسهم في قوافل التجارة ويشارك الآخرين. ويقول أحد الذين شاركوه في زمن الجاهلية لقد كان أفضل شريك لي، فلم يكن يعاند ولا يجادل ولا يلقي بعبئه على كاهل الآخرين، ولا يتعامل مع الزبائن بسوء، ولا يبيع لهم بثمن باهظ، ولا يكذب عليهم؛ فقد كان صادقاً أميناً، ولهذا أعجبت به السيدة خديجة عليها السلام وهي السيدة الأولى في مكة وكانت شخصية بارزة في الحسب والنسب والثراء.

نظافة النبي صلى الله عليه وآله

كما كان نظيفاً في طفولته على عكس الكثيرين من أطفال مكة والقبائل العربية، فقد كان نظيفاً حسن الهندام منذ طفولته. كان يمشط شعره أثناء فتوته وكذلك في شبابه كان يمشط شعره ولحيته، وحتى بعد الإسلام. عندما جاوز مرحلة الشباب وبلغ الخمسين أو الستين من عمره فإنه ظلّ ملتزماً بنظافته حتى إنه كان دائماً ما يسوّي لحيته وشاربه وشعره كلّما طال ويحافظ عليه نظيفاً ومعطّراً.

وقد قرأت في إحدى الروايات أنه كان لديه إناء في ماء في بيته، حيث لم تكن المرآة واسعة الانتشار آنذاك، وأنه صلى الله عليه وآله كان يسوّي عمامته ولحيته إذا أراد أن يخرج إلى أصحابه. ودائماً ما كان معطّراً، حتى في أسفاره، فمع أنه كان زاهداً في حياته ـ كما

سأبيّن فيما بعد ـ إلّا أنه كان يحمل معه العطر[١] والكحل حتى يكحل عينيه على ما كان سائداً بين الرجال في ذلك الزمان. كما كان يستخدم السواك مرات عديدة كل يوم، ويدعو الناس إليه. ويحثهم على النظافة وحسن الظاهر[٢].

إنّ البعض يخطئون عندما يظنون بأن المظهر الحسن لابدّ وأن يكون مقترناً بالفخامة والإسراف. كلاّ، فبوسع المرء أن يرتدي لباساً مرقّعاً مع الحفاظ على الهندام الحسن والنظافة.

لقد كانت ملابس رسول الله ﷺ مرقّعة وقديمة ولكنها كانت نظيفة كرأسه ووجه ولحيته. وإن لمثل هذه الأمور تأثيراً كبيراً في العشرة والسلوك والشكل الظاهري والحالة الصحية. وإنها أمور تبدو وكأنها صغيرة في ظاهرها ولكنها كبيرة في معناها ومضمونها وباطنها.

طلاقة وجه النبي صلى الله عليه وآله

وكان يعامل الناس معاملة حسنة؛ فقد كان دائماً طلق الوجه أمام الناس، ولم يكن يبدي لهم ما يعتمل صدره من هموم وأحزان. كما كان يسلّم على الجميع، وعندما كان يؤذيه أحد، فإنه لم يكن يشتكي مع ظهور آثار الأذى على ملامحه.

وكان لا يسمح لأحد أن يسبّ الآخرين في مجلسه، ولم يكن هو نفسه يسبّ أحداً أو يتحدث بما يسي الآخرين.

وكان يداعب الأطفال، ويعطف على النساء، ويحنو على الضعفاء، ويمازح

(١) حتى أنه روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله ﷺ ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام» انظر الكافي: ٦ / ٥١٢ ح ١٨.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «النظافة من الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة» انظر البحار: ٥٩ / ٢٩١.

أصحابه ويجاريهم في سباق الخيل.

زهد النبي وتواضعه

وكان فراشه ووسادته جلداً محشوّاً بألياف النخيل. وكان أغلب طعامه خبز الشعير أو التمر. ولقد كتبوا بأنه لم يُشبع بطنه أبداً من خبز القمح ـ الذي كان يعد في ذلك الزمان من أفضل أنواع الأطعمة ـ وتقول عائشة أم المؤمنين: «**إن كان يمرّ على آل محمد الشهر ولم يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله نار**»(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله يركب الدابة بلا سرج ولا ركاب، وفي زمن كان القوم يتفاخرون بالخيل المطهمة ذات الأثمان الغالية كان يمتطي الفرس العادي، وكان متواضعاً، حيث كان يصلح نعله بيده ويرقعه بنفسه. وهذا ما كان يفعله تلميذه البارز أمير المؤمنين عليه السلام كما نُقل عنه كثيراً في الروايات(٢).

يجب علينا الترفع عن أمور كثيرة لا عن المحرمات فحسب، بل عن المحللات ايضاً. أنا لا أدعي أن نكون مثل النبي صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان تلميذه، فإنّ الإنسان يرتعد فرقاً حين يطالع سيرتهم. فهذا أمير المؤمنين قد أصبح زهده مضرباً للأمثال لدى المسلمين وغيرهم وعندما يصف النبي صلى الله عليه وآله يقول: «**قد حقر الدنيا وصغرها وأهونها وهوّن بها**»(٣).

وقد جاءوا الى النبي صلى الله عليه وآله ذات مرة بطعامين أحدهما عسل والآخر شيء خليط بماء (بلبن)، فقال صلى الله عليه وآله: «**إني لا أحرمهما لكني لا آكلهما جميعاً إما العسل وإما الماء**»(٤)؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ٧ / ٩٢.

(٢) من كلمة ألقاها في: ٧ صفر ١٢٤١هـ ـ طهران.

(٣) نهج البلاغة: ١ / ٢١٤ خ ١٠٧.

(٤) بتفاوت في كنز العمال: ١٢ / ٤١٦ ح ٣٥٤٥٤.

لكنهم لم يريدوا منا هذا. ولو طلبوه منا لهلكنا فهل نطيق العيش هكذا؟ إذ من الواضح أنّ تلك النفس القدسية الملكوتية أمر آخر: يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه:

إنّ الله سبحانه وتعالى أعلم النبي صلى الله عليه وآله أن سيأخذ منه الدنيا ليبدله بما هو أحلى فذلك الأحلى يراه الأولياء لا أنا وأنتم، لكن يجب علينا مواصلة السير في هذا الطريق والتقليل من نفقاتنا وتجنب التبذير والترفع وعدم الاهتمام بكثير من أمورنا الخاصة.

فأنا وأنتم لا زلنا أولئك الطلبة الذين كنا قبل الثورة فالبعض منكم كان معلماً أو طالبا جامعياً أو من أهل المنبر أو من طلبة العلوم الدينية، هكذا كنا، فما بالنا تجري عندنا الحفلات والأعراس كما تجري عند الاعيان؟ وما بال بيوتنا قد صارت كبيوت المترفين ولماذا حين نمشي في الشارع نمشي كمشية المترفين؟ حسناً فمن هم المترفون؟

أو يكفي فارقاً بيننا وبينهم أننا أطلقنا لحانا وحلقوها؟ لا يا سادة فنحن قد نكون مترفين. والله إنه قد يوجد في هذا المجتمع الإسلامي مترف أيضاً. وعندئذ نخشى من الآية الكريمة القائلة **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا﴾**[1] فالمترف يأتي معه الموت بالفسق أيضاً[2].

عبادة النبي صلى الله عليه وآله[3]

ومع أنه كان لا يرى غضاضة في كسب المال عن طريق الحلال وكان يقول: «نعم

(١) سورة الإسراء: ١٦.

(٢) من كلمة ألقاها في ٣ صفر ١٤١٢هـ.

(٣) روي عن حليمة السعدية أنها قالت: سمعته لما تمت له سنة يتكلم بكلام لم أسمع أحسن منه سمعته يقول: «قدوس قدوس نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم». (انظر كنزالفوائد – أبو الفتح الكراجكي: ٧٢).

العون على تقوى الله الغنى» إلّا أنه كان يتصدق على الفقراء بكل ما يصل إليه من مال، وكان قدوة في العبادة لدرجة أن قدميه كانتا تتورمان من طول الوقوف في محراب العبادة.

وكان يقضي القسم الأكبر من الليل في العبادة والتضرع والبكاء والاستغفار والدعاء ومناجاة الله تعالى.

وكان يصوم شهري رجب وشعبان فضلاً عن شهر رمضان في ذلك الحرّ القائظ، إضافة إلى الكثير من أيام السنة كما سمعنا. وعندما كان أصحابه يقولون له: يا رسول الله، لماذا كل هذا الدعاء والاستغفار والعبادة وقد غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟! فإنه كان يجيب «أفلا أكون عبداً شكوراً»[1] ؟!

إستقامة النبي صلى الله عليه وآله

وكانت استقامته صلى الله عليه وآله بلا نظير في تاريخ البشرية، وهو ما جعله قادراً على ترسيخ هذا الكيان الإلهي الخالد والعظيم. وهل كان ذلك ممكناً بلا استقامة؟! فباستقامته بات واقعاً ملموساً؛ لقد ربّى أصحابه الكبار وأعدّهم باستقامته. ورفع عماد فسطاط المدينة الإنسانية الخالدة وسط صحراء الحجاز المقفرة ﴿**فلذلك فادع واستقم كما أُمرت**﴾[2] [3].

ويقول الله تعالى لرسوله في سورة هود: ﴿**فاستقم كما أُمرت و من تاب معك و لا تطغوا**﴾[4].

(١) انظر الكافي: ٢ / ٩٥ ح ٦.

(٢) سورة الشورى: ١٥.

(٣) من كلمة ألقاها في: ٧ صفر ١٢٤١هـ ـ طهران.

(٤) سورة هود: ١١٢.

وجاء في رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**شيّبتني سورة هود**»[١] أي شيّبتني سورة هود نتيجة ثقل الأمر الذي تحمله في آية من آياتها؟ وروي أنّ المراد هو هذه الآية ﴿فاستقم كما أمرت﴾.

لماذا شيّبت هذه الآية الرسول صلى الله عليه وآله؟ لأنّ الله تعالى يقول في هذه الآية: عليك بالإستقامة والثبات والتحلّي بالصبر في هذا الطريق كما أمرناك.

إنّ هذه الإستقامة عمل شاق، إنّه الصراط؛ أي حبل الصراط، الذي ضُرِب لنا مثله في يوم القيامة، وهو حقيقة عملنا وسلوكنا في الدنيا، نحن الآن نعبر على حبل الصراط، فعلينا أن نتوخّى الحذر والدقة، ولو أن إنساناً أراد أن يُطبّق هذه الدقة على جميع سلوكه؛ فسوف يشيب بسببها، إلّا أنّ الأهم من ذلك ـ كما أظن ـ هي العبارة التالية: ﴿ومن تاب معك﴾، فليس الرسول صلى الله عليه وآله وحده مأمور بالإستقامة، بل عليه أن يهدي جمعاً كبيراً من المؤمنين الى الإستقامة في هذا الطريق.

إنّ الأفراد الذين يكونون عُرضةً للهجوم من قبل آفات الحياة ومفاسدها ـ كالأعداء والمتآمرين والظلمة وقوى التسلط ـ من جهة، ومن قبل أهوائهم النفسية ـ الرغبات النفسية والقلوب التي تستميلها زخارف وبهارج الدنيا، وتنجر وراءها ـ من جهة أخرى، سوف ينحرفون يميناً أو يساراً عن جادة الإستقامة، وإنّ كلاً من حبّ الذهب والفضة والأموال والرغبات الجنسية والرئاسة وغيرها، يمثل أحبولةً تلقى في قلب الإنسان لينجر وراءها، وإنّ المقاومة والثبات للحيولة دون أن تنزلق قدم الإنسان نحو ذلك، هو المراد من عبارة ﴿ومن تاب معك﴾.

إنّ المؤمنين يقعون تحت تأثير هذين المؤثرين القويين ـ ضغط العدو، والضغط الداخلي للقلب المصاب بالهَوَس ـ وأغلب الظن، أنّ ما شيّب النبي صلى الله عليه وآله هو همّ هداية

(١) كنز العمال: ١ / ٥٧٣ ح ٢٥٩٠.

هؤلاء المؤمنين نحو الصراط المستقيم، والمحافظة عليه مع تأثير هاتين القوتين الجاذبتين.

ألا تعلمون أنّه برغم كثرة المخاطر والصعاب إستطاع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يتجاوز بالمسلمين ـ سواءً في العهد المكي الذي دام ثلاث عشرة سنة، أو في عهد تأسيس الدولة في المدينة المنورة ـ وأن يوصلهم الى القمم الشامخة؟

إنّ مثل هذه النهضة العظيمة لم تكن بمقدور أي إنسان أن يقوم بها، إلّا أنّه مع ذلك إستطاع الرسول صلى الله عليه وآله القيام بتغيير أفراد ذلك المجتمع ـ المجتمع الذي لم يكن يفقه شيئاً، ولم يتذوّق طعماً للأخلاق الإنسانية ـ الى أشخاص تتصاغر أمام عظمتهم ونورانيتهم ملائكة السماء، هذه هي الإستقامة التي نحتاجها اليوم.

نحن ـ أيضاً ـ مبتلون بتعلّق قلوبنا وأهوائنا بجاذبية الحياة ذات الألوان المختلفة، فما أكثر الأشخاص الذين رأيناهم في عهد الثورة وقد كانوا يمتلكون قلوباً صالحة، وعقائدَ صحيحة، إلّا أنّهم لم يصمدوا بعد ذلك في مواجهة الخلود للدعة والشهوات، و حبّ التسلط والرئاسة، والمدح من قِبل هذا وذاك، وتهديد العدو، فمالوا الى هذه الجهة أو تلك، وأصبحوا معارضين، وأحياناً معاندين للخط الإلهي.

بناءً على ذلك فإنّ الثبات أمرٌ لازم، فعلينا أن نثبت أمام العدو؛ لأنّه يهدد ويتوعّد، و يحاولُ أن يبرز عظمته ويستعرضها أمام المجتمع الإسلامي، ويتكلّم بمنطق القوّة، وأحياناً يمزج منطق القوّة بشيءٍ من عذوبة الوعود الكاذبة، ليُوهِم القلوب بمكره.

إنّ التصدي لخدع العدو وتهديداته فنٌ عظيم، ولو أن شعباً استطاع أن يحصل على هذا الفن فسوف يكون مدعاةً لبلوغه القمم الشامخة، بحيث يكون في مكانة لا تجدي معها تهديدات العدو؛ فيكون مضطراً لمصانعته أو التسليم قِباله[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٥/١/٦هـ. ش الموافق ٢٥/صفر/١٤٢٧هـ. ق الموافق: ٢٠٠٦/٣/٢٦م ـ

فهذه أخلاقيات الرسول ﷺ الشخصية.

الأخلاق الحكومية للنبي الأعظم

وأما خُلُقه كحاكم، فقد كان عادلاً ومدبّراً؛ فالذي يقرأ تاريخ هجرته إلى المدينة، وتلك الحروب الشعواء بين القبائل، وتلك الغزوات الوحشية القبلية، وإخراج العدو من مكة إلى الفيافي، وتلك الضربات المتوالية، وذلك الصراع مع العدو المعاند، فإنه سيلاحظ مدى ما كان يتّصف به من تدبير شديد وحكيم وشامل بما يبعث على الدهشة، ممّا لا مجال لديّ الآن للإسهاب فيه.

كان ﷺ شديد الرعاية والحفاظ على القانون، ولم يكن يدع أحداً ينقض أحكام الشريعة أو يفرّط بالقانون، فضلاً عن نفسه، وكان يعتبر نفسه خاضعاً للقانون كما ينصّ القرآن على ذلك، فكان يطبق القانون على نفسه كما يطبقه على من هم سواه بلا أدنى تجاوز.

وعندما غزا المسلمون بني قريظة فأسروا رجالهم وقتلوا خائنيهم وغنموا أموالهم ومتاعهم، فإن بعض أمّهات المؤمنين ومنهن زينب بنت جحش، وعائشة، وحفصة، قلن للنبي ﷺ: يا رسول الله، لقد غنمنا كل هذه الأموال من اليهود فاجعل لنا نصيباً فيها، إلّا أنه لم يذعن لقولهن مع حبه واحترامه لهن، ومع أن أحداً من المسلمين لم يكن ليعترض عليه.

فلمّا زاد إلحاحهنّ فإنه ﷺ اعتزلهنّ شهراً كاملاً على غير ما يُتوقع منه. ثم لم يلبث أن نزلت آيات سورة الأحزاب الشريفة: **﴿يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء﴾**[1] **﴿يا أيّها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ**

= طهران.

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.

سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾(١) فدعاهنّ الرسول ﷺ إلى الزهد واحترام القانون.

ومن خلقه أيضاً كحاكم ﷺ، إنه كان يرعى العهود، ولم ينقض عهداً له أبداً. وعندما نقضت قريش عهده فإنه ظل راعياً له، وكذلك كان الحال مع اليهود الذين نقضوا عهده غير مرة.

كما كان ﷺ حافظاً للسر؛ فعندما خرج لفتح مكة فإنه لم يُعلِم أحداً بوجهته، فعبّأ الجيش بأجمعه ثم أمرهم بالخروج. وعندما سألوه: إلى أين؟ فإنه أجابهم: سيتضح ذلك فيما بعد. فلم يُخبر أحداً بأنه قاصد مكة، لدرجة أن أهل مكة لم يعلموا بقدومه حتى اقترابه منها!

ومن أهم مميزات سيرة النبي ﷺ أنه لم يكن ينظر إلى أعدائه نظرة واحدة؛ فالبعض كانوا له أعداءً ألدّاء، لكنه كان لا يمسّهم بسوء إذا لم يجد منهم خطراً. وأمّا الذين كان يلمس خطراً فيهم فإنه كان يراقبهم ويقف منهم على حذر كعبد الله بن أبيّ.

فلقد كان عبد الله بن أبيّ منافقاً من الطراز الأول، وكان يتآمر على الرسول ﷺ، لكنّ الرسول ﷺ اكتفى بوضعه تحت الرقابة حتى آخر حياته. وقد مات ابن أبيّ قبل وفاة النبي ﷺ بفترة وجيزة، لكنه ﷺ تحمله حتى النهاية.

لقد كان أولئك من الذين لا يشكلون خطراً شديداً على النظام والحكومة والمجتمع الإسلامي، ولكنه ﷺ كان شديداً على من يشكلون خطراً جسيماً.

إن ذلك الرجل الرحيم المتسامح هو الذي أمر بقتل الخائنين من بني قريظة ـ وكانوا عدّة مئات ـ في يوم واحد، وهو الذي أخرج بني النضير وبني قينقاع وفتح خيبر، وذلك لما كانوا يمثلونه من خطر.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩.

لقد عاملهم الرسول صلى الله عليه وآله برفق لدى قدومه إلى المدينة، لكنهم خانوه وطعنوه من الخلف وتآمروا عليه وهدّدوه.

إن الرسول صلى الله عليه وآله تحمل عبد الله بن أبيّ، وتحمل يهود المدينة، وفتح صدره لمن استجار به ومن لم يؤذِهِ من قريش، كما عفا عن أهل مكة عند الفتح وفيهم أبو سفيان وأمثاله من كبار رجال مكة، حتى إنه أعطى بعضهم شيئاً من الإمتيازات لأنهم لم يعودوا يشكلون خطراً[١].

ولكنه مع ذلك تعقّب فلول الأعداء الألدّاء الذين لمح فيهم الغدر والخطر والخيانة وقمعهم بشدّة. وقد كان هذا خلقه صلى الله عليه وآله كحاكم وقائد؛ فكان شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين[٢]، وخاضعاً ومطيعاً لأمر الله وعبداً له بمعنى الكلمة، وكان حريصاً على مصالح المسلمين.. ولم يكن ما تقدّم سوى خلاصة من أخلاقه صلى الله عليه وآله[٣].

(١) كأبي سفيان حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» انظر الوسائل: ١١ / ١٨ باب ٥، والبحار: ٢١ / ١٠٤ ـ ١١٧ .

(٢) قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) سورة الفتح: ٢٨.

(٣) من كلمة ألقاها في: ٧ صفر ١٢٤١هـ ـ طهران .

رأي النبي صلى الله عليه وآله في الشباب

إنّ رأي الإسلام حول الشباب ينطبق تماماً مع ما نراه اليوم بالنسبة للشباب وما نرجوه منهم ولهم.

ولقد أوصى الرسول صلى الله عليه وآله بالشباب، وكان يحبهم ويستخدم طاقاتهم في الإنجازات الكبرى.

لا تنظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام كشخصية في الأربعينات أو الخمسينات أو الستينات من عمره فحسب، بل إنه شخصية متألقة أيضاً في شبابه ويمثل نموذجاً خالداً يجدر بالشباب جميعاً أن يجعلوه أسوة لهم؛ ففي مرحلة شبابه في مكة كان عنصراً مضحّياً وذكيّاً ونشطاً وشجاعاً ومقداماً وكان يزيل العقبات العسيرة من أمام الرسول في كل المجالات ويعرض نفسه للمخاطر ويقوم بأشقّ الأعمال، وقد فدى الرسول بنفسه ليلة هجرته إلى المدينة المنورة، وكان قائداً لجيشه بعد الهجرة وزعيماً للمجموعات النشطة وعالماً وواعياً وشهماً ومتسامحاً، وكان جنديّاً شجاعاً وقائداً مقداماً في عرصات القتال، كما كان كفوءاً في مجال الحكومة وشابّاً متقدماً بمعنى الكلمة على صعيد القضايا الاجتماعية.

ولم يكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يستفيد فقط من شخص مثل عليّ، بل إنه كان يستفيد من فئة الشباب والطاقات الشابة بقدر الاستطاعة في فترة حكومته البالغة عشرة أعوام وبضعة أشهر.

لقد ألقى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بإحدى المسؤوليات الكبرى على عاتق شاب في الثامنة عشرة من عمره في لحظة من أشد لحظات حياته حساسية؛ فالرسول صلى الله عليه وآله كان يتولّى أمر القيادة في الحروب، ولكنه أثناء الأسبوع الأخير من حياته وعندما شعر بقرب رحيله عن هذه الدنيا وليس بوسعه قيادة الجيش الذي وجّهه إلى الأمبراطورية

الرومانية ـ لما في هذا الأمر العظيم من مشقّة، وكان من اللازم إسناده إلى طاقة قوية لا تثني عزيمتها العقبات ـ فإنه أسند هذه المسؤولية إلى شاب في الثامنة عشرة من عمره. وكان بإمكان الرسول صلى الله عليه وآله إسناد هذه المسؤولية إلى رجل في الخمسين أو الستين من عمره من أصحاب التجارب في الحروب والجبهات ولكنه اختار لذلك شاباً في الثامنة عشرة من عمره هو «اسامة بن زيد». كما كان الدافع إلى ذلك أيضاً هو الإيمان وأن والد أسامة كان من الشهداء.

فالرسول صلى الله عليه وآله بعث أسامة على رأس البعث الذي كان على رأسه والده «زيد بن حارثة» منذ عامين والذي استشهد أيضاً في تلك المنطقة. وكان هذا البعث الذي ترأسه أسامة بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله بعثاً عظيماً وجيشاً جرّاراً يضم كبار الصحابة من الشيوخ والقادة ذوي التجارب، في حين كان أسامة شاباً في الثامنة عشرة. وقد قال له النبي صلى الله عليه وآله سأبعثك إلى تلك الأرض التي استشهد فيها أبوك ـ أي «مؤتة» التي كانت جزءاً من الأمبراطورية الرومانية حينذاك، وتقع الآن في أرض الشام ـ لتعسكر هناك، ثم أصدر إليه أوامر القتال. وكذا كانت طاقة الشباب على هذا القدر من الأهمية لدى الرسول صلى الله عليه وآله [1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٥ محرم ١٤٢١هـ ـ مصلى الإمام الخميني (قده) بطهران.

مختصات النبي صلى الله عليه وآله

قال تعالى للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[١].

وهذا من مختصات النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لأننا دون هذا المستوى، ولأن الله سبحانه وتعالى يريد إعداده كي يتحمل ذلك القول الثقيل، والحمل الثقيل يحتاج إلى استعداد روحي، لا يحصل اعتباطاً ولا يتأتى بمجرد الصلاة والتضرع والإكثار من الأذكار، وإنما يتأتى من خلال البكاء في جوف الليل وقراءة القرآن بتعمق وتدبر، وقراءة الأدعية الموجودة في الصحيفة السجادية ، وبذلك يتوصل الإنسان إلى صقل نفسه وجلاء قلبه[٢].

قصة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

في أيام اندلاع الثورة ـ وقبل انتصارها ـ كنت في المنفى في مدينة «إيرانشهر» وكان في إحدى المدن القريبة منها عدّة أشخاص من بينهم سائق، كان هؤلاء الأشخاص من ذوي الثقافة والمعرفة، رغم أنهم يصنّفون ظاهرياً في عداد العوام، إلّا أنهم في الحقيقة كانوا من الخواص؛ كانوا يأتون للقائنا في إيرانشهر بشكل منتظم، وينقلون لي حوارهم مع عالم الدين في مدينتهم، وقد كان الآخر رجلاً طيّباً إلّا أنه كان من العوام!

لاحظوا، سائق الشاحنة من الخواص، بينما ذلك العالم المبجّل إمام الجماعة كان من العوام! كان العالم يقول: لماذا حينما يذكر إسم النبي تصلّون عليه مرّة واحدة، في

---

(١) سورة المزمل: ٢ ـ ٥ .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٦/٨ هـ ش الموافق ٢٤/رجب/١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/٣٠م ـ طهران.

حين إذا ذكر إسم السيد الخميني تصلّون على النبي ثلاث مرّات؟ ألا تفهمون؟! فكان السائق يرد عليه بالقول: يوم نفرغ من المجابهة، يوم يكون الإسلام قد ساد كل الأرجاء، وإذا انتصرت الثورة فإنا سنترك الصلاة عند ذكر إسم الخميني، ثلاث مرّات، بل لا نصلي ولا مرّة واحدة[١]؛ هذه الصلوات الثلاثة أسلوب من أساليب المجابهة.

لاحظوا أنّ هذا الرجل يفهم مع أنه سائق، لكن ذلك العالم لا يفهم[٢].

السكينة عند النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾

عجيب تعبير «السكينة» الوارد في سورة الفتح وقد تكرر عنوان «إنزال السكينة» على قلوب المؤمنين ثلاث مرات في هذه السورة[٣] ، فمن الاختبارات المرة والصعبة التي تعرض لها المسلمون كانت هذه القضية المتصلة بسورة الفتح حيث قرر النبي الأكرم ـ وفي ضوء سياسة سليمة وإلهية ـ التوجه نحو مكة التي كان أهلها ـ وقبل سنتين من هذه الواقعة ـ قد حاصروا المدينة محاولين الفتك بأهلها ووقعت معركة الأحزاب بظروفها الصعبة حيث كانوا متعطشين لدماء النبي وأصحابه .

---

(١) أقول: وكأنه يوجد مغالطة عند من يعترض على تكرار الصلاة عند ذكر بعض علماء أمة النبي محمد ﷺ إذ يصور أن ذلك إهانة للنبي مع أن المصلي يصلي على نفس النبي صلى الله عليه وآله لا على العالم، وبعبارة أخرى: فضل الصلاة المكررة عند ذكر العالم يعود على النبي نفسه بزيادة مقامه عند الله، لا على العالم.

(٢) من كلمة ألقاها في ١ محرم ١٤١٧ هـ.

(٣) وهي: (هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ) (لَقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً) الآيات: ٤ ـ ١٨ ـ ٢٦.

قال النبي ﷺ إننا نريد العمرة وخاطب المسلمين داعياً إياهم للذهاب، فخاف البعض وقالوا إنّ النبي لن يعود للمدينة وهو محكوم بالفناء والإبادة، وبهذه الواقعة تتعلق قضية «إنزال السكينة» إذ أن الله سبحانه وتعالى قد بعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين بحيث ذهبوا وواجهوا العدو ثم عادوا مكللين بنصر مؤزر وتحقق ما كان يبتغيه النبي ﷺ.

إن السكينة إنما تنبثق عن الثقة وحسن الظن بالله ، فإذا ما انتخبتم الهدف الصحيح وعملتم في سبيله فإن الله في هذه الحالة قد وعد بالنصر وهذا مما لا رجعة فيه، فلربما أخطأتم انتخاب الهدف والغاية أو أحسنتم انتخاب الهدف لكنكم لم تقوموا بأية حركة أو سعي أو جهاد، حينها يكون عبثاً انتظار المدد الإلهي ، ونظراً لأن المسلمين كانوا على مدى قرون يسعون نحو أهداف وغايات صالحة لكنهم لم يبدو تحركاً نحوها فقد انكفأوا ، وكذا الآن فأينما كان الهدف صحيحاً ومقروناً بالجهاد فإن النصر الإلهي قطعيّ أيضاً ، وبطبيعة الحال إنّ النصر الإلهي لا يعني عدم وجود الإبتلاءات الصعبة ﴿**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات**﴾[1].

فهذه أمور تعترض طريق الجهاد، ولكن ﴿**وبشر الصابرين**﴾ والصبر يعني الثبات ومواصلة الطريق ، وهذا ما يحظى بالبشارة الإلهية أي بلوغ النصر.

لقد كان الكثير منكم في الساحة خلال فترة الجهاد، وكان الجميع يقولون إنكم ثلة طموحه، لِمَ تناضلون وتجاهدون فلا جدوى من ذلك . والحقيقة أنّ الجهاز البوليسي للنظام الطاغوتي لم يكن بذلك الجهاز الذي تسهل مقارعته ، فما أكثر المدّعين من الشيوعيين وأدعياء التنوّر الذين ما إن رأوا السجون ـ ولم يتجرع الكثير منهم التعذيب فيها بل سمعوا به فقط ـ لكنهم تراجعوا في منتصف الطريق واستسلموا ، غير أنّ

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥ .

هنالك الكثيرين واصلوا تحركهم، فأول البركة كان في حركتهم، حيث أظهر الله سبحانه وتعالى صدقهم أمام الجماهير وأبرز خطهم فواكبتهم الجماهير، والآن إذا تحققت مواكبة الجماهير سيصلح كل شيء ، فالمهم أن تبرهن الفئة المجاهدة المصممة صدقها في سلوك طريقها وتثبت أنها تسعى بهذا الإتجاه بكل صدق إذ ذاك سينزل الله عزّ وجلّ نصره ، فقد ورد في نهج البلاغة « **فلما رأى الله صدقنا**» أي عندما وجد الله فينا الصدق في القول وإننا لا نسعى وراء الدنيا والأموال والأهواء « **أنزل علينا النصر وأنزل بعدونا الكبت** »[١] .

وهذا ما شهده جهادنا في السنوات البضع وعشرين حيث لم تكن البلاد والحكومة بعيدة عن الضغوط في أي وقت .

السكينة وأثرها في النفس

السكينة معناها الطمأنينة والاستقرار بعيداً عن الاضطراب، ويتجسد أثرها لدى المسؤولين في اتخاذ القرار الصائب بكل هدوء وروية عند حدوث أية مشكلة، وعدم الوقوع في ارتباك واضطراب وضياع في حالة حصول أي أمر طارئ: «**وقار عند الهزائز**»[٢]. والوقوف أمام الأحداث الصعبة والعسيرة كالصخرة بل كالجبل، وإذا لاقى من الدنيا رخاءً ورغداً لا يلفّه الضياع. وهذا خطر آخر يقع فيه الإنسان وذلك أنه بمجرد أن تنبسط يده ويرى أمامه المجال مفتوحاً واستشعرت نفسه الراحة والسعة يلفّه الضياع ويسارع إلى اتخاذ قرارات عاجلة ولا يتورع عن الاستهانة بالآخرين، وتتسع نوازعه الأنانية فيرخي لها الزمام.

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٠٥ الكلام: ٥٦ .

(٢) الحديث للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله في خصال المؤمن، انظر مستدرك سفينة البحار: ١ / ٥٢٨، والهزائز: الحروب والشدائد.

أما إذا اتصف بالسكينة ـ بما تعنيه من وقار وطمأنينة ربّانية ـ فهي كفيلة بلجم تلك النوازع، ومنع الإنسان من الإتيان بأعمال تنمّ عن ضآلته وتفاهة قدره، أو تظهره وكأنه ريشة في مهب الريح تميل حيث ما مالت.

أمّا ذو السكينة فهو ـ في هذا التشبيه ـ كبحر بعيد الغور لا يمكن لأية نسائم أو أية ريح أن تثير أمواجه. والسكينة تنفع الإنسان عند الفقر وفي الغنى، وفي حالة الوحدة أو عند الكثرة.

تحدث القرآن في مواضع متعددة عن السكينة، وأنا أيضاً قد تحدثت في العام الماضي قليلاً حول هذا الموضوع. إن سكينة المسؤولين هي التي أظهرت نفسها؛ ففي هذا العام الذي شارفنا على نهايته مرّت بنا حوادث نفعت فيها سكينة المسؤولين حيث واجهنا انخفاضاً في المداخيل، ومرّت بنا مشاكل سياسية ومشاكل أمنية. وأنتم رأيتم أن الأعداء خلقوا لنا في صيف هذا العام بعض الحوادث في طهران. فإذا لم يكن المرء يتحلّى بالسكينة والطمأنينة والاتكال على الله والثقة بالمستقبل والاعتماد على ما لديه من مبادئ الحق فلا يتمالك نفسه في مقابل مثل هذه الحوادث، خاصة إذا توفّرت لديه قرائن دالة على وجود مخطط مرسوم من الأعداء لتلك الحوادث.

الشعب أيضاً بحاجة إلى الاستقرار والسكينة؛ فكيف يمكن إشاعة السكينة التي تتحلى بها النخبة بين عموم أبناء الشعب؟ لاشك في أن الكثير من أبناء الشعب على درجة عالية من الإيمان، وقد أبدى عموم أبناء الشعب مقدرة فائقة على تحدّي المشاكل؛ مقدرة منبثقة من الدين والإيمان، ولكن حينما تتصدى جماعة ما لحمل أعباء مسؤولية إدارة شؤون البلد والشعب، لا يمكنها أن تعتبر نفسها في معزلٍ عن هذه القضية.

إنّ واجباتنا لا تنحصر في الشؤون الاقتصادية والسياسية فحسب، وإنّما نتحمل مسؤولية أزاء الشؤون المعنوية لأبناء الشعب أيضاً.

وإذا كان المجتمع يتقهقر نفسياً وأخلاقياً فلا يمكننا القول بعدم وجود شخص مسؤول عن ذلك.

وإذا كان هناك شخص مسؤول عن ذلك، فمن هو؟ من الطبيعي أن مسؤولي البلاد لا يمكنهم التنصّل عن هذه القضية، بل إن كل واحد منهم مسؤول بنحو وشكل ما؛ إذ أن مسؤولية الشؤون المعنوية للناس تقع على كاهل الجماعة المتصدية لإدارة شؤون البلاد في شتى المستويات من الأعلى إلى الأدنى.

وهنا يبرز عنصر آخر. وكان مرادي من الآية التي قرأتها هو الإشارة إلى هذا العنصر الذي له علاقة بالسكينة، وذلك هو التقوى؛ ففي هذه الآية نوع من المقارنة بين جبهة الكفر وجبهة الإيمان؛ فجبهة الكفر تستشعر الحمية والتعصب الجاهلي.

وهذه الأمور تتعلق بصلح الحديبية وما تلاه من اختبارات مهمة وذات مغزى عميق حصلت في عهد الرسول ﷺ؛ فبعد أن سار الرسول إلى الحديبية قاصداً مكّة، وعند توقّفه في الحديبية حاول المشركون فرض الحرب عليه، غير أن التدبير الإلهي للنبي الأكرم ﷺ حال دون ذلك، وعاد المسلمون دون أن يدخلوا في الحرب، وتمكن الرسول من عقد معاهدة مع المشركين، كانت على درجة من الأهمية بحيث أشارت إحدى الروايات إلى أن سورة الفتح نزلت بشأن هذه المعاهدة وعبّرت عنها بالفتح، وذلك قوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾ وقد استطاع الرسول أن يشرح الأوضاع للمسلمين من خلال الآيات الشريفة ويعيّن لهم مواقع الجبهات[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ ـ طهران .

عالمية رسالة النبي صلى الله عليه وآله(١)

إنّ القبول بدعوة الإسلام لا يعني بالضرورة اعتناق الدين الإسلامي، بل ذلك مرحلة من ذا، والمرحلة الأخرى تتمثّل في قبول الناس على مستوى العالم رسالة الإسلام ومعارفه وحقائقه ورأيه في مسألة معيّنة. واليوم هو ذلك اليوم الذي إذا تطلّع الشعوب على الإسلام تلمس فيه ما ينفعها ويملأ فراغ حياتها.

إنّ ما يطرحه الإسلام من قيم بشأن أهمّية الإنسان وأهدافه، وما يعرضه بشأن الأسرة والمرأة وهدف العلم وعلاقات المجتمعات البشرية مع بعضها، وبشأن العلاقات الاجتماعية بين الأقوياء والضعفاء، حينما تنظر إليها الشعوب التي تعيش في

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سبأ: ٢٨.
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. الأعراف: ١٥٨.
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. الأنبياء: ١٠٧.
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. التوبة: ٣٣.
قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَن بَلَغَهُ القرآنُ فكأنّما شافهتُهُ بهِ، ثُمَّ قرأ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾. الدرّ المنثور: ٣ / ٢٥٧.
وعنه صلى الله عليه وآله: أنا رَسولُ مَن أدرَكتُ حَيّاً ومَن يُولَدُ بَعدي.
وعنه صلى الله عليه وآله: أُرسِلتُ إلَى النّاسِ كافّةً، وبِي خُتِمَ النَّبِيُّونَ. الطبقات الكبرى: ١ / ١٩١ و ص ١٩٢.
وعنه صلى الله عليه وآله: بُعِثَ كلُّ نَبيٍّ كانَ قَبلي إلىٰ أُمَّتِهِ بِلِسانِ قَومِهِ، وبَعَثَني إلىٰ كُلِّ أسوَدَ وأحمَرَ بالعَرَبيّةِ. البحار: ١٦ / ٣١٦ / ٦.
وعنه صلى الله عليه وآله: أُعطيتُ خَمساً لَم يُعطَهُنَّ نَبيٌّ كانَ قَبلي: أُرسِلتُ إلَى الأبيَضِ والأسوَدِ والأحمَرِ. أمالي الطوسي: ٤٨٤ / ١٠٥٩.
قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: إنّ اللهَ تبارَكَ وتعالىٰ أعطىٰ محمّداً صلى الله عليه وآله شَرائعَ نُوحٍ وإبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ... وأرسَلَهُ كافّةً إلَى الأبيَضِ والأسوَدِ، والجِنِّ والإنسِ. المحاسن: ١ / ٤٤٨ / ١٠٣٥.

ظلّ مختلف الحضارات تشعر أنّ جميع معضلات حياتها يمكن حلّها وإزالتها بواسطة هذه التعاليم. ومعنى هذا أنّ رسالة الإسلام شديدة الجاذبية؛ ولهذا السبب نرى أنّ موقف الاستكبار العالمي والأجهزة الإعلامية في العالم ـ المرتبطة بمحافل الهيمنة والظلم والعداء للإنسان ـ من رسالة الإسلام موقف غاشم وشديد العداء(١).

البشرية مدينة لشخص الرسول صلى الله عليه وآله في كل تقدم أحرزته

لم يكن المسلمون وحدهم هم الذين استفادوا من التعاليم النبوية، بل إنّ كل حضارة اليوم وكل العلوم الموجودة في العالم، وكل تقدّم أحرزه ركب الحضارة البشرية مدين لشخص الرسول. وهذا المعنى ليس من مزاعمنا نحن المسلمين، فكل المؤرخين والمنصفين يقرّون أنّ النهوض العلمي الذي حصل في العالم الإسلامي قد انتقل إلى بقاع العالم الأخرى عن طريق الذهاب والإياب وحتى عن طريق الحروب والفتوحات. وحتى المعارف والأفكار البشرية التي أصبحت اليوم موضع اهتمام من قبل الإنسان، من قبيل الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والإخاء، كلّها في الحقيقة هدية قدّمها لنا هذا الإنسان العظيم.

وفي العالم الإسلامي تمخّض عن تلك الحركة الكبرى قيام نظام إسلامي؛ إذ لم تكن الغاية من تعاليم هذا الدين محددة في إطار إرشاد الناس ووعظهم، وإنّما جاءت لصياغة قالب النظام البشري بالشكل الذي يسهّل الحركة في هذا القالب باتجاه تلك الأهداف ويزيل أيّة معوّقات تقف في هذا السبيل. وهذا هو ما يعرف بالنظام الإسلامي(٢).

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٧هـ

(٢) من كلمة ألقاها في ١٧ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ـ طهران .

مكارم أخلاق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

أثر مكارم الأخلاق في المجتمع

لا يمكن لنا أن ندرج الأهداف السامية لرسول الإسلام صلى الله عليه وآله في جملة واحدة، إلّا أننا نستطيع أن نجعل بعض عناوينها قدوةً لأعمالنا في غضون سنة أو عقد أو على مدى سني العمر.

إنَّ أحد هذه العناوين هو عبارة عن إتمام مكارم الأخلاق: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**(١)

إنَّ المجتمع الذي لا يتعامل أفراده بالأخلاق الحسنة، لا يمكن له بلوغ الأهداف السامية لبعثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ الأخلاق الحسنة هي التي توصل الإنسان الى المقامات الإنسانية العالية، ولا يقتصر معنى هذه الأخلاق على إظهارها عند التعامل مع الناس وحسب، بل يتعدى الى تنمية الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة في قلوبنا وأرواحنا وترجمتها على مستوى أعمالنا.

وإنَّ المجتمع الذي يبتلي أفراده بالتحاسد، والعداوة، والخداع، والحرص على الدنيا والبخل بمالها، والتحاقد، لا يمكن له أن ينال السعادة، ويصل الى مستوى المجتمع الإنساني المطلوب، حتى وإن طُبّق فيه القانون بصورة دقيقة، أو تقدم من الناحية العلمية ووصلت به الحضارة الظاهرية الى منتهى ذروتها.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٨، والبحار: ١٦ / ٢١٠.

إنَّ المجتمع الذي لا يأمن أفراده بعضهم البعض، ويكون كل فرد فيه معرّضاً للحسد وللضغينة والحقد والمؤامرات والطمع بما يملك من قِبَل الآخرين، لا يشعر بطعم الراحة.

أمّا إذا كانت الفضائل الأخلاقية في المجتمع حاكمة على قلوب وأرواح الأفراد، وتعاطف الناس بعضهم مع البعض الآخر، وتحلّوا بروح الصفح والعفو والتسامح، ولم يحرصوا على مال الدنيا، أو يبخلوا بما يملكون، ولم يتحاسدوا فيما بينهم، ولم يتبع عثرات بعضهم البعض، وتجمّلوا بالصبر والسماحة؛ فإنّ ذلك سيؤدي بأن يشعر أفراده بالطمأنينة والراحة والسعادة ـ وإن لم يكن متقدماً تقدماً كبيراً على الصعيد المادي ـ هذه هي النتيجة المتوخاة من الأخلاق، وهذا ما نحن بحاجة إليه؛ لذا علينا أن ننمّي الأخلاق الإسلامية في قلوبنا يوماً بعد الآخر، فمما لا شك فيه أنّ قانون الإسلام الشخصي والإجتماعي هو وسيلة لسعادة البشر؛ إذا ما طُبّق في المكان الذي خُصص له، إلّا أنّ تطبيق هذه القوانين يحتاج الى الأخلاق الحسنة أيضاً.

كيف نكمل مكارم الأخلاق

إننّا نحتاج الى أمرين من أجل ترسيخ الأخلاق في المجتمع: أحدهما التمرين والمجاهدة من قِبَلنا، والآخر الدروس الأخلاقية التي لابد أن يتلقاها المجتمع بجميع طبقاته، من قِبَل المؤسسات المتكفّلة للقيام بهذه المهام، كوزارة التربية والتعليم، والمؤسسات التربوية والتعليمية الأخرى.

هذا جانب من الوظائف التي يجب أن نلتزم بها في عام النبي الأكرم ﷺ؛ والتي تتمثل في تحلّينا بالإيمان والإسلام وإلتحاقنا بأتباع الرسول ﷺ على مستوى الأخلاق الفاضلة فيه.

ينبغي لنا أن نجعل فهرساً خاصاً لإدراج الصفات الرذيلة والقبيحة، ومن ثم عرضها

على سلوكنا وأخلاقنا للتعرّف على وجود شيء منها في نفوسنا أم لا، والعمل على إزالة الموجود منها، وكذلك إعداد فهرسٍ آخر للصفات الحسنة، والسعي للحصول عليها من خلال التربية والتعليم.

من الطبيعي أنّ الأمر الذي يقود للتقدم في هذا المجال هو المحبة، المحبة لله ولرسوله، والمحبة لحَمَلة الأخلاق ومعلميها ـ أي الرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام ـ هذه المحبة هي التي تجعل الإنسان يتقدم بسرعة في هذا الطريق، وينبغي لنا أن نعمّق هذا الحبّ في أنفسنا يوماً بعد آخر، **(اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصلني الى قربك)**[١].

علينا أن ننمّي في قلوبنا حبّ الله، وحبّ أحباء الله، وحبّ الأعمال التي يحبها الله تعالى، فهذا جانب من تعليمات الرسول ﷺ باعتبار أنّ هذا العام هو عام النبي الأكرم ﷺ[٢].

قمّة اقتدار الأنبياء عليهم السلام

عندما تُعرض على النفس لذّة مخالفة للشرع تميل النفس إليها، فهذا من مواضع الإمتحان والاختبار، وعندما يعرض على الإنسان مال يستطيع الحصول عليه خلافاً للشرع والتشريع الإلهي فهذا موضع آخر للامتحان الإلهي، وعندما يتحدّث الإنسان بحديث يستبطن مصلحة شخصيّة لكنّه حديث باطل في الحقيقة، وحين يصبح الكلام واجباً شرعياً على الإنسان رغم ما يتبعه من مخاطر ومتاعب أخرى فهذا اختبار آخر للإنسان.

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٢ ح ١١٤.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٣٨٥/١/٦هـ. ش الموافق ٢٥/صفر/١٤٢٧هـ. ق الموافق: ٢٠٠٦/٣/٢٦م ـ طهران.

وحينما نقيس هذه القضية بمقياس الشعوب والأمم فالنتيجة مماثلة لذلك أيضاً، فعندما تحصل أمّة على الثروة والرفاه وتكسب القوة والنصر وتحقّق التقدّم العلمي فهذا امتحان واختبار لتلك الأمّة. وإذا استطاعت الأمم صيانة نفسها من الانحراف وهي في قمّة اقتدارها فإنها ستخرج من الاختبار مرفوعة الرأس.

وأمّا إذا أُصيبت الشعوب والمجتمعات بالغرور والابتعاد عن الله سبحانه نتيجة لحصولها على الراحة والرخاء فستخرج خاسرة من الامتحان الذي تتعرّض له؛ لذلك فإنّ القرآن يخاطب النبي ﷺ في سورة «النصر» القصيرة، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إذا جاء نصر اللّه والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين اللّه أفواجاً**﴾[1] هذه هي قمّة اقتدار نبي من الأنبياء عندما ينزل الله عليه النصر والفتح ويدخل الناس أفواجاً في دينه، هنا يجب على الإنسان أن يراقب نفسه؛ لذلك فإنّ القرآن يقول: ﴿**فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّاباً**﴾[2]، يعني عليك أن تذكر اللّه في ساعة النصر وتحمده وتسبّحه لأنّ هذا النصر كان من اللّه وليس منك.

لا تنظر الى نفسك بل أنظر الى قدرة اللّه سبحانه، فقائد إلهي وحكيم كالنبي الأكرم ﷺ يسعى في مثل هذه الظروف أن لا تخرج الأمّة عن الطريق القويم، وهنا يأتي دور التقوى التي تستطيع أن تنقذ الأمة من الضلال والانحراف.

وإذا كانت الأمّة تقيّة فإنّها ستواصل مسيرتها في طريق التقدّم والإيمان وطريق العبودية للّه سبحانه. ولكن إذا ابتعدت الشعوب عن طريق التقوى فإنّها ستبتلى بما ابتليت به الأمم السابقة عندما أُصيبوا بالاستكبار والغرور والظلم والطغيان والانحراف، فأضلّوا الناس وخرّبوا الدنيا وأفسدوها وأخيراً سقطوا هم أيضاً، كما نجد ذلك في أماكن عديدة من التاريخ، وكنموذج لذلك ما حدث لبعض الأمبراطوريات العظيمة

(١) سورة النصر: ١ ـ ٢.

(٢) سورة النصر: ٣.

في السنوات الأخيرة كنتيجة طبيعية لانحرافها عن طريق التقوى.

إنّ كلّ البعيدين عن طريق التقوى في العالم سواء كانوا أفراداً أو شعوباً يجب عليهم أن ينتظروا سقوطهم الحتمي الذي لابدّ له أن يتحقّق، فالسقوط هو النتيجة الحتمية للابتعاد عن طريق التقوى، ومن الطبيعي فإنّ السقوط يسبقه الانحراف والخراب والفساد.

قصة النبي نوح عليه السلام

والآن أتعرّض لجزء يسير من التجربة القرآنية الخاصة بأصحاب نوح النبي عليه السلام والمؤمنين به؛ لأنّ المؤمنين بنوح عليه السلام كانوا من الصفوة المختارة بالتأكيد. وقد أمعنت النظر في الآيات الواردة في سورة هود والتي تحدّثت طويلاً عن النبي نوح عليه السلام وعن أصحابه[١].

(١) ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَ مَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ لَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ * وَ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَ لَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ * وَ أُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحْيِنَا وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ * وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
=

لقد دعى نوح قومه تسعمائة وخمسين سنة فكانت النتيجة لهذه السنوات الطويلة من الدعوة والتبليغ إيمان عدد قليل من أفراد ذلك المجتمع الجاهل والطاغي فقط **﴿وما آمن معه إلّا قليل﴾**(١) إنّ ساعة البلاء «الطوفان» كانت قد اقتربت من ذلك المجتمع.

بدأ نوح عليه السلام بصنع السفينة في اليابسة فكان ذلك سبباً لسخريّة كلّ الذين كانوا يمرّون عليه؛ لأنّ المفروض أن تُصنع السفينة قريباً من ساحل البحر وليس في اليابسة التي كانت تفصلها مسافة بعيدة عن البحر. إذ كيف يُعقَل أن تُصنع سفينة كبيرة يُراد لها أن تحمل جماعة من الناس بعيداً عن ساحل البحر.

﴿وكلّما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾(٢)، ولكن المؤمنين بنوح عليه السلام تحمَّلوا كلّ هذا الاستهزاء والسخرية من غير أن يعرفوا الغاية التي من أجلها تُصنع السفينة، ولم يكن أحد يعرف ما سيحدث من طوفانٍ وفوران الماء من الأرض والسماء.

فهؤلاء المؤمنون كان إيمانهم من القوة بحيث استطاعوا الصمود أمام كلّ ذلك الاستهزاء والسخرية وضغط الرأي العام الذي كان يوجّهه المتسلّطون في ذلك المجتمع، وكان أُولئك المؤمنون من الطبقة السفلى في المجتمع **﴿هم أراذلنا بادي**

= يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ * حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ * وَ قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(١) سورة نوح: ٤٠.

(٢) سورة نوح : ٣٨.

الرأي﴾[١] ولعلّهم كانوا يعتبرون من مواطني الدرجة الثالثة أو الرابعة لذلك المجتمع.

الآن أنتم تصوّروا فئة قليلة مستضعفة تقف مقابل فئة كبيرة تمتلك جميع وسائل القوّة والاقتدار من ثروةٍ وقوّة ووسائل إعلام.

كانت الإهانة والسخرية توجّه الى هذه المجموعة الصغيرة المحيطة بالنبي نوح عليه السلام ولكنّها كانت تصبر وتتحمل وكان هذا يتطلب إيماناً قوياً من الإنسان، وعندما جاءت مسألة صنع السفينة تبيّنت قوّة إيمانهم أكثر من السابق فلم يأتوا الى نبيّهم ويعترضوا عليه لأنّه يصنع السفينة في اليابسة بعيداً عن البحر وأصبح بذلك سبباً للسخرية منهم بل تحمّلوا ذلك وصبروا عليه.

تصوّروا شخصاً يريد أن يصنع سفينة في إحدى الساحات العامة لإحدى المدن الكبرى مثل طهران التي يفصلها مئات الفراسخ عن ساحل البحر فهل هناك تبرير لهذا التصرف الغريب.

لقد كان يبدو أنّ الحقّ مع الذين كانوا يستهزئون من هذا التصرّف، لكن الذين آمنوا بنوح عليه السلام تحمّلوا هذا الاستهزاء الذي كان يبدو منطقياً، وهذا كان يتطلّب إيماناً قوياً وثابتاً.

وبعد كلّ ذلك بدأت الأمطار تهطل من السماء وتفجّرت الأرض عيوناً، أمر نوح عليه السلام أصحابه بركوب السفينة، فأركبوا الحيوانات أوّلاً وركبوا هم بأسلوب يوحي بأنّ المياه سوف تُغرِق الدنيا بأجمعها ﴿**قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين وأهلك**﴾[٢]، فقد كان من الواضح أنّ البلاء في هذه الحادثة سوف لا يرحم أيّ شيء في الدنيا. ركبوا في السفينة فجرت بهم وقد عمّ الماء جميع أرجاء الكرة الأرضية، فأغرق الناس وجميع الحيوانات، ولم يبقَ سوى هذه المجموعة الصغيرة التي آمنت بنوح عليه السلام.

---

(١) سورة نوح : ٢٧.

(٢) سورة نوح : ٤٠.

وبهذا فإنّ امتحان الكفّار كان قد انتهى. بينما امتحان المؤمنين قائم ومستمر. كانت تلك الفترة فترة امتحان وتحمّل المتاعب والسخرية والاستهزاء والصبر على ما كانوا يتعرّضون له في عهد النبي نوح عليه السلام.

كان هذا امتحان فترة الشدة والعسرة وقد تجاوزوه بسهولة، فامتحان مرحلة الشدة يكون أهون من مرحلة الرخاء والرفاهية في بعض الأحيان، وقد تجاوز البعض بنجاح مرحلة المواجهة الصعبة مع إسرائيل الغاصبة وبعد مرور عدّة سنوات على هذا الاختبار الصعب وبفضل بعض المواقف استطاع هذا البعض كسب احترام الأمة والحصول على الأموال الطائلة، ولكنّهم فشلوا في اختبار المرحلة الأخرى وهي مرحلة الراحة والاسترخاء وإلقاء السلاح وابتعاد خطر الموت، وتراجعوا تراجعاً خطيراً أفقدهم كلّ مصداقيتهم.

لقد شاهدتم فضيحة بيع فلسطين ـ ويوجد العديد من القضايا من هذا القبيل ـ، وقد شاهدت بنفسي بعض المناضلين ممّن تجاوز مرحلة الشدّة بكلّ نزاهة لكنّه سقط وانحرف بعد ذلك في مرحلة الرفاه والاسترخاء.

إنّ مستنقع الاختبار يصعب عبوره، فنفس الثلة القليلة التي آمنت بنوح عليه السلام وتحمّلت تلك الشدائد والمصائب تدخل الآن مرحلة الرخاء ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك**﴾[1] انتهى الطوفان ورست السفينة وكان من المقرّر أن ينزلوا الى دنيا خالية من الشرك والطغيان وهذا عكس ما حدث للجمهورية الإسلامية تماماً.

بدأ أصحاب نوح حياتهم الإسلامية والإلهية في عالم خالٍ من المستكبرين والمترفين. يقول القرآن الكريم: ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منّا وبركاتٍ عليك وعلى أمم ممن معك**﴾ عجباً، فهذه التحية وهذا اللطف الإلهي لا يشمل كلّ المؤمنين الذين

(١) سورة نوح: ٤٨.

خرجوا بنجاح من امتحان هذه المرحلة، فهذا السلام الإلهي يشمل البعض منهم فقط: ﴿**وأمم سنمتّعهم ثمّ يمسّهم منّا عذاب إليم**﴾، وأمّا بعض من كان معك فسوف نمتّعهم وبعد هذا التمتّع وبعد أن يذوقوا طعم الأمن والرفاه ﴿**يمسّهم منّا عذاب أليم**﴾، سوف نعذّبهم عذاباً أليماً وذلك يعني أنّهم سيفشلون في الامتحان الإلهي ويتراجعون في مرحلة الرخاء.

الإختبار الإلهي

إذن من يستطيع أن يخرج مرفوع الرأس من هذا الاختبار الإلهي:

انّهم الناس المتّقون كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**من فارق التقوى أغري باللذات والشهوات ووقع في تيه السيّئات ولزمه كثير التبعات**»[1].

فحينما تُعدم التقوى وتُفقد مراقبة النفس وحينما نغضّ النظر عن أعمالنا وأقوالنا ونتهاون في المسؤوليات الإسلامية التي تحمّلناها في ميدان الثورة وفي مجال الخدمة في أجهزة الدولة فإنّ الإنزلاق في الهاوية سوف يكون بانتظارنا.

ولا تتصوّروا أنّ الإنزلاق يخصّ صنفاً خاصّاً من الناس، وليست شهوة حب المال تخصّ البعض دون البعض الآخر، لا ليس كذلك فكلّ إنسان يبتلى بالشهوات لكن شهوة البعض غالية الثمن وشهوة البعض رخيصة الثمن، شهوة البعض فاخرة، وشهوة الآخرين حقيرة وصغيرة، فاللذة هي اللذة على كلّ حال. واللذة المحرمة؛ محرّمة، ليس هناك فرق بين لذةٍ صغيرة وكبيرة فكلاهما حرام. وتُحرم أيضاً على الإنسان الشريف والوضيع ولا تفاوت بينهم في ذلك أبداً.

والإمتحان امتحان يشمل جميع طبقات المجتمع، لكنّه أشقّ على من يفترض بهم

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٥٤.

تقديم خدمات أكبر للمجتمع (لأجل زيهم أو منصبهم أو ظاهرهم أو حديثهم)، فيجب على هؤلاء مراقبة أنفسهم أكثر من الآخرين لأنّ انحرافهم أقبح وآلم للمجتمع، لكنّ هذا الامتحان يشمل الجميع على أيّة حال. وكما يُمتَحن الفرد تُمتحن الأمّة أيضاً كما اُمتحِنت في عهد النبي نوح عليه السلام.

وقد رأيتُ رواية عن النبي صلى الله عليه وآله يشرح فيها لأميرالمؤمنين عليه السلام معالم انحراف الأمّة الإسلامية وفي آخر الرواية يدور محور الكلام حول التقوى.

وفي نفس الآيات الواردة في قصّة النبي نوح عليه السلام بعد الآية التي قرأتها يقول الله تعالى: **﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك فاصبر إنّ العاقبة للمتّقين﴾**[1] فالعاقبة الحسنى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة التقوى، وفي قصة نوح كانت الآية تشير الى أنّ العلّة الأساسية لسقوط أولئك الذين سقطوا هي ابتعادهم عن طريق التقوى[2].

أنس النبي صلى الله عليه وآله بالله

نرى في حياة النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة المعصومين عليهم السلام أنهم كانوا يمدّون يد التوسّل والدعاء ويلتجئون الى الله سبحانه وتعالى في الحروب وفي ساحات الخطر وعند القيام بالأعمال الكبيرة وعند اتّخاذ المواقف المهمة. فهل بإمكان أحد أن يقول بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمسلمين في الصدر الأول لم يبذلوا الجهود المضنية من أجل أداء مسؤولياتهم؟ وهل توجد مساعٍ وجهود أكبر من المساعي والجهود التي بذلها أولئك المؤمنون؟ فالعشر سنوات التي تولّى فيها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم زمام الأمور في المجتمع الإسلامي كانت

(١) سورة نوح: ٤٩.

(٢) من كلمة ألقاها في ٧ رمضان ١٤١٤ هـ - طهران.

مليئة بالجهود الجادّة والمساعي الحثيثة.

وإلى جانب تلك الجهود والمساعي التي كان يبذلها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والمسلمون، كان للدعاء والتوسّل والاستغفار والإنابة مكانة خاصّة في حياتهم. إذن فالسبيل الوحيد الذي تستطيع الأمة من خلاله تحقيق النجاح في حياتها هو تعزيز وتوطيد العلاقة مع الله سبحانه وتعالى.

فإذا أرادت الأمّة إنجاز الأعمال الكبيرة لابدّ لها من طلب العون والمدد من الله، وإذا ما أرادت إزالة الخوف من الأعداء فيجب عليها أن لا تخشى أحداً إلّا الله؛ لأنّ مصائب الشعوب ناشئة ـ كما تعرفون ـ من خشيتها وخوفها من القوى الاستكبارية والأشقياء وقطّاع الطرق الدوليين، والأمّة تبدأ بالسقوط في منزلق الذلّة والهوان عندما يتسرّب الخوف إلى قلبها من أصحاب القوة والأشقياء في العالم.

وهذا الأمر لا يقتصر على أبناء الأمّة فحسب، بل إذا تسرّب الخوف من القوى الكبرى إلى قلوب مسؤوليها وأولياء الأمور فيها، فسوف تكبّل أيديهم وأرجلهم ولا يستطيعون القيام بأيّ تحرّك من أجل خدمة شعوبهم. والسبيل الوحيد لتقدّم أيّ شعب وتمكينه من الاستغلال الصحيح لقابلياته وطاقاته الذاتية ينحصر في عدم خوفه وخشيته من القوى الطاغوتية وقطاع الطرق الدوليين.

الخوف من الله لا من الناس

ولكي لا يخشى الإنسان من القوى الكبرى يجب عليه تركيز الخوف من الله تبارك وتعالى في نفسه. فالقلب الملي بالخوف من الله والعامر بحبّ الله (عزّ وجلّ) لا يتسرّب إليه الخوف والرعب من أيّة قوّة في العالم مهما تعاظمت. وهذه هي الفائدة الحقيقية المترتّبة على الدعاء والتوسّل إلى الله.

والسرّ الكبير في نجاح إمامنا الراحل (رض) الذي وقف كالجبل الشامخ بوجه

القوى الكبرى ـ كما كنتم ترون ـ يتمثّل في علاقته الوطيدة مع الله سبحانه وتعالى. وما يجعلني أُركِّز على أهمّية الدعاء والتضرّع ـ ولاسيّما بالنسبة لكم أنتم أيّها الشباب ـ هو أنّ مستقبل هذه البلاد ومصير هذا الشعب سيكون بأيدي الشباب الأعزّاء.

فيجب على الشباب أن لا يسمحوا للخوف من القوى الكبرى أن يتسلّل إلى قلوبهم، وأن لا ينبهروا بالمظاهر التي تمتلكها تلك القوى. وهذا لا يتحقّق إلّا عن طريق الأنس مع الله والدعاء والتضرّع والتوسّل إليه تبارك وتعالى.

الإسلام لا يجيز للإنسان الاعتراف بالذنوب والخطايا أمام الآخرين، أمّا بين يدي الله سبحانه وفي خلواتنا مع أنفسنا فلابدّ لنا من الاعتراف بقصورنا وتقصيرنا وأخطائنا وذنوبنا التي تكبّلنا وتعوّقنا عن التحرّك وتكون سبباً لاسوداد وجوهنا أمام الله. وإذا ما أراد الإنسان أن يسير في طريق الخير والصلاح فلابدّ له من الاعتراف ـ بينه وبين ربّه ـ بذنوبه وعيوبه. أمّا الذين يتصوّرون أنّهم مبرّؤون من كلّ عيب ونقص فلن يتمكّنوا من السير في هذا الطريق أبداً.

وهذا الأمر لا يقتصر على الفرد فقط بل ينطبق على المجتمع أيضاً. فإذا أراد المجتمع أن يسير في طريق الرشاد لابدّ له من معرفة مواضع أخطائه وانحرافاته، ومعرفة ما هي تلك الأخطاء التي ارتكبها؟ ويعترف بذنوبه بين يدي الله.

ولذا يجب على الأمّة الإسلامية اليوم أن تعترف بتهاونها في أداء مسؤولياتها تجاه الإسلام العظيم، وعلى المسلمين في العالم أن يعترفوا بأنّ متابعة القوى المعادية للإسلام والقبول بالثقافة الغربية الفاسدة والمبتذلة هو انحراف عن الطريق السوي. وإذا ما اعترفت الشعوب الإسلامية بهذه الأمور فإنّ الطريق سيفتح أمامها وتكون قادرة على إصلاح نفسها[1].

(١) من كلمة ألقاها في ٧ ذي الحجّة ١٤١٤هـ.

النبي صلى الله عليه وآله والعون الإلهي

وقد رأيت في رواية أنّ عرفات سُمّيت عرفات لأنّ هذا المكان وهذا اليوم هما فرصة للإنسان كي يعترف بذنوبه بين يدي الباري (عزّ وجلّ).

إنّ من المستحيل على المرء أن يخطو خطوة واحدة لولا العون الإلهي. وإن هذا العون الإلهي لا يأتي مصادفةً أو اعتباطاً وبلا تقدير، ولا يتأتّى إلّا طبقاً لرجاء الإنسان وسعيه الدؤوب والاستعانة بالله جلّ جلاله على منحه العون والمساعدة.

إنّ نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله ـ الذي هو أسوة وقدوة لكافّة المؤمنين والمسلمين، والذين نحتفل هذه الأيام بذكرى ميلاده السعيد ـ كان يتضرع إلى الله تعالى ويستمد منه العون في الظروف الحالكة دون الإيحاء للمخاطبين والحضور أن بإمكانه عمل كل شيء بقدرته الذاتية والإتيان به من عنده، بل كان يقول بصراحة إنه لا يستطيع القيام بأيّ أمر دون عون الله تعالى ومساعدته؛ ففي غزوة الأحزاب، وعندما ضرب الأعداء الحصار على المدينة والرسول وجموع المؤمنين طمعاً في اجتثاث جذور الإسلام والقرآن والرسالة الجديدة، فإن النبي صلى الله عليه وآله كان يطيل السجود لله تعالى على مشهد من العيان، فضلاً عن تجهيز العسكر واتخاذ التدابير الصارمة وحثّ المؤمنين على المقاومة؛ وقد تكرر منه هذا العمل كما ورد في كتب السيرة. كما كان الرسول صلى الله عليه وآله يرفع يديه للسماء ويتضرع إلى الله تعالى ويبكي قائلاً: «**اللهمّ أعنّا ولا تخذلنا وانصرنا على عدونا ووفقنا**»[1].

إننا لن نستطيع إنجاز أي عمل دون العون الإلهي الذي لا يتحقق هو الآخر ولا تنزل الرحمة الإلهية إلّا بالتوجه إلى الله والتوسل به وتطهير القلوب وخلوص النية وتجاوز

---

(١) انظر البحار: ٣٢ / ٤٨٩ ح ٤٢١.

الأهداف الشخصية التافهة والوضيعة، وهو ما لم تنتصر الثورة الإسلامية إلّا بـه، ولم يتشكل مجلس الشورى الإسلامي ـ الذي يعد من مفاخر نظام الجمهورية الإسلامية ويُعتبر صفحة ذهبية في بطاقة ثورتنا ونظامنا ـ إلّا به[1].

دعاء النبي صلى الله عليه وآله وتوسله بالله

الدعاء يعطي للإنسان القوّة والقابلية، ويجعله قادراً على مواجهة المشاكل؛ ولهذا عُبّر عن الدعاء في الرواية بأنّه سلاح، فقد نقل عن الرسول الأكرمﷺ أنّه قال: (ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، تدعون ربّكم بالليل والنهار فإنّ سلاح المؤمن الدعاء).

إنّ الاستعانة بالله هو كالسلاح القاطع في يد الإنسان المؤمن؛ ولهذا فإن الرسول الأكرم ﷺ مع ما كان يمارسه من أعمال في ساحة الحرب، كتجهيز الجيش، وتعديل الصفوف، وتوفير الإمكانات اللازمة له؛ كان يسجد في وسط الميدان رافعاً يديه بالدعاء والتضرع الشديد، يناجي الله عزّ وجلّ ويستمد منه العون.

إنّ هذا الارتباط بالله يبعث على القوة في قلب الإنسان.

إنّ إحدى مكتسبات الدعاء هي قضاء الحوائج التي يطلبها الإنسان من الباري عزّ وجلّ.

إنّ قضاء الحوائج ليس هو الهدف الوحيد للدعاء؛ بل هو أحد فوائد الدعاء، يُذكر الى جانب الفوائد الأخرى كما قال تعالى: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[2]، التي تظهر نتيجته في دعاء أبو حمزة الثمالي المنقول عن الإمام السجاد(عليه السلام) حيث قال فيه: (وليس من صفاتك يا سيّدي أن تأمر بالسؤال وتمنع العطيّة وأنت المنّان

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٥ ربيع الأول ١٤٢١هـ ـ طهران.

(٢) سورة النساء: ٣٢.

بالعطيّات على أهل مملكتك).

عندما يأمرنا الله تعالى أن ندعوه ونسأله قضاء الحوائج، فهذا يعني أنّه عازم على أن يعطينا ما نريد؛ ولهذا جاء في الرواية: (**ما كان الله ليفتح لعبدٍ الدعاء فيغلق عنه باب الإجابة والله أكرم من ذلك**)(١).

ما هو الدعاء المستجاب؟ أحياناً يدعو الإنسان ويشعر أن حاجته لم تتحق بحسب الظاهر.

إنّ الشرط المهم لاستجابة الدعاء هو أن يكون دعاءً صادقاً بمعنى الكلمة ومتضمناً لشرائطه(٢).

تكرار سبيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

إنّ النهضة الإسلامية في إيران بقيادة منقذ العصر الأكبر سماحة الإمام الخميني رضوان الله عليه وتبعاً لأسلوب النبي الأعظم والرسول الخاتم وقمة الخلقة العالمية والآدمية الرسول الأكرم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم تجلّت في شكل ثورة تامّة المعالم وتلك هي طبيعة الثورة.

فهي قامت على أساس منطقي متين انطلقت كبركان وزلزلت كلّ أركان البيئة، وأصابت بحرارتها ولهيبها كلّ مكان وكل شخص.

وإننا نجد المصلحين الإسلاميين والمفكرين الذين ثاروا في المائة والخمسين سنة الأخيرة بدوافع متعددة وحملوا لواء الدولة الإسلامية وإحياء الفكر الإسلامي من أمثال السيد جمال الدين ومحمّد إقبال والآخرين رغم ما حملوا من قداسة ثمينة غالية ابتلوا

---

(١) ميزان الحكمة: ٢ / ٨٧٣، ونهج البلاغة: ٤ / ١٠٢ رقم ٤٣٥ .

(٢) من كلمة ألقاها في ١٧/ رمضان المبارك ١٤٢٦هـ الموافق ١٣٨٤/٧/٢٩هـ . ق. الموافق ٢٠٠٥/١٠/٢١م ـ طهران.

بنقص كبير في عملهم يتلخص في أنهم بدلاً من إشعال ثورة إسلامية اكتفوا بدعوة إسلامية، وراحوا يبتغون إصلاح المجتمعات المسلمة لا بالقوة والقدرة الثورية وإنما بالسعي التوعوي وبمجرد الوسائل القلمية والخطابية، وهو أُسلوب محمود ومثاب عليه إلّا أننا يجب أن لا نتوقع منه نتائج كتلك التي أنتجها عمل الأنبياء أُولي العزم الذين صنعوا المنعطفات الأصلية للتاريخ.

إنّ أسلوبهم في حالة صحته وتخلصه من العيوب السياسية والنفسانية إنما يستطيع فقط أنّ يشكّل أرضية لحركة ثورية لا أكثر. ولذا يلاحظ أنّ سعي المخلصين من هذه المجموعة الدائب واللامحدود لم يستطع مطلقاً أن يوقف الحركة المعاكسة والمتجهة نحو انحطاط الشعوب المسلمة، أو يرجع للمسلمين العزّة والعظمة اللتين ذكرهما هؤلاء وذرفوا الدموع على أمل تحققهما دون جدوى، بل حتى لم يستطع ذلك السعي أن يقوّي من عقيدة الجماهير المسلمة، ويسخّر طاقاتها لخدمة الهدف الكبير أو يوسع من المساحة الجغرافية الإسلامية، وهو أمر يبتعد كلياً عن أُسلوب الرسول العظيم (صلّى الله عليه وآله وسلم) كما هو واضح لكل من امتلك بعض الاطلاع على تاريخ البعثة والهجرة النبوية الشريفة[1].

---

(١) بيان قائد الثورة الإسلامية آية الله الخامنئي بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام القائد (قدّس سره).

أولاد النبي صلى الله عليه وآله(١)

النبي وابنته وفاطمة صلوات الله عليهما

فاطمة البنت التي ولدت في لهيب الجهاد المرير للنبي صلى الله عليه وآله في مكّة، والتي أعانت أباها وواسته في شعب أبي طالب، كانت فتاة عمرها حوالي ٧ ـ ٨ سنوات أو أقل أو أكثر بعدة سنوات (حسب اختلاف الروايات)، ومع ذلك تحمّلت تلك الظروف، مَنْ الّذي يرفع عن وجهها غبار الهمّ في تلك الظروف حيث توفّيت السيدة خديجة وأبو طالب عليهما السلام والنبي صلى الله عليه وآله لوحده بلا مواس، والجميع كانوا يلوذون به؟ فلا خديجة ولا أبو طالب، في تلك الظروف الصعبة، وفي ذلك الجوع والعطش والبرد والحر الذي استمرّ ثلاث سنوات في شعب أبي طالب (وهي من الفترات الصعبة في حياة النبي صلى الله عليه وآله حيث كان يعيش عدد من المسلمين في شقّ جبل وهم في حالة إبعاد

---

(١) روى الحسين بن حمدان الخصيبي عن عبد الله بن محمد الأهوازي قال: حدثني محمد بن سنان الزاهري عن أبي بصير، وهو القاسم الاسدي - لا الثقفي - عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: قال ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة ابنة خويلد عليها السلام القاسم، وبه يكنى، وعبد الله، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وكان إسمها آمنة، وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وإبراهيم من مارية القبطية، وكانت أمة أهداها المقوقس ملك الاسكندرية. فأما رقية: فزوجت من عتبة بن أبي لهب، فمات عنها، فزوجت لعثمان بن عفان.

وأما زينب: فزوجت من أبي العاص بن الربيع، فولدت منه بنتا سماها أُمامة، فتزوج بها أمير المؤمنين بعد وفاة فاطمة عليها السلام.

وأما أم كلثوم: فإنها لم تتزوج بزوج، وماتت قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي: ٣٩.

إجباري، في تلك الأحوال تحمّلت هذه الفتاة المشاكل فكانت كالمنقذ للنبي صلى الله عليه وآله، وأمّاً لأبيها، وممرضة عظيمة لذلك الإنسان العظيم. فقد واست النبي صلى الله عليه وآله وتحمّلت العناء وعبدت الله وعزّزت إيمانها وهذّبت نفسها وفتحت قلبها للمعرفة والنور الإلهي. وهذه هي الأمور التي توصل الإنسان الى الكمال.

وبعد الهجرة؛ وفي بداية سنيّ التكليف تزوّجت فاطمة الزهراء عليها السلام من علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولعلّكم جميعاً تعرفون البساطة وحالة الفقر التي مرّت بها فاطمة الزهراء عليها السلام بعد زواجها وهي بنت الشخص الأوّل في العالم الإسلامي، والحاكم على أولئك الناس.

ملخص عن حياة فاطمة عليها السلام

إنّ حياة فاطمة الزهراء عليها السلام في جميع الأبعاد كانت مليئة بالعمل والسعي والتكامل والسمو الروحي للإنسان، وكان زوجها الشاب في الجبهة وميادين الحرب دائماً، وكانت مشاكل المحيط والحياة قد جعلت فاطمة الزهراء عليها السلام مركزاً لمراجعات الناس والمسلمين.

وقد أمضت البنت المعينة للنبي صلى الله عليه وآله حياتها بمنتهى الرفعة في تلك الظروف، وقامت بتربية أولادها الحسن والحسين وزينب وإعانة زوجها علي عليه السلام وكسب رضى أبيها النبي صلى الله عليه وآله، وعندما بدأت مرحلة الفتوحات والغنائم لم تأخذ بنت النبي عليها السلام ذرّة من لذائذ الدّنيا وزخرفها ومظاهر الزينة والأمور التي تميل لها قلوب الشابّات والنساء.

وكانت عبادة فاطمة الزهراء عليها السلام عبادة نموذجية، يقول الحسن البصري الذي كان أحد العبّاد والزهّاد في العالم الإسلامي حول فاطمة الزهراء عليها السلام بأنّ بنت النبي صلى الله عليه وآله عبدت الله ووقفت في محراب العبادة الى درجة تورّم الأقدام.

وروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن علي بن الحسين عليهم السلام عن فاطمة الصغرى ، عن الحسين بن علي عليه السلام ، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب قال عليه السلام :**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تـزل راكـعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت عليها السلام : يا بني الجار ثم الدار** (١).

إنّ جهاد تلك المكرّمة في الميادين المختلفة هو جهاد نموذجي، في الدفاع عن الإسلام وفي الدفاع عن الإمامة والولاية، وفي الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وفي المعاشرة مع أكبر القادة الإسلاميين وهو أميرالمؤمنين الذي كان زوجـها.

وقد قال أمـيرالمؤمنين عليه السلام مرّة بشأن فاطمة الزهراء عليها السلام : **«ما أغضبتني ولا خرجت من أمري»** (٢) .

ومع تلك العظمة والجلالة، فإنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت زوجة في بيتها، وإمرأة كما يقول الإسلام، وعالمة رفيعة في محيط العلم.

وعن الخطبة التي قـالتها فـاطمة الزهـراء عليها السلام فـي مسـجد المـدينة بـعد رحـلة النبي صلى الله عليه وآله قال العلاّمة المجلسي: إنّ على كبار الفصحاء والبلغاء والعلماء أن يجلسوا ويوضّحوا كلمات وعبارات هذه الخطبة. فقد كانت قيّمة إلى هذه الدرجة. ومن حيث الجمال الفنّي فإنّها كانت مثل أجمل وأرفع كلمات نهج البلاغة وفي مسـتوى كـلام أميرالمؤمنين عليه السلام .

---

(١) علل الشرائع – الشيخ الصدوق : ١ / ١٨١ ح ١ .

(٢) قال علي عليه السلام : فو الله ما أغضبتها ، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزوجل ، ولا أغضبتني ، ولا عصت لي أمراً ، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان (بحار الأنوار – العلامة المجلسي : ٣٤ / ١٣٤ .

ذهبت فاطمة الزهراء عليها السلام ووقفت في مسجد المدينة وتكلّمت ارتجالاً أمام الناس حوالي ساعة كاملة بأفضل وأجمل العبارات وأصفى المعاني.

هكذا كانت عبادتها وفصاحتها وبلاغتها وحكمتها وعلمها ومعرفتها وحكمتها وجهادها وسلوكها كزوجة وكأمّ.

وإحسانها الى الفقراء. فمرّة أرسل النبي صلى الله عليه وآله رجلاً عجوزاً فقيراً الى بيت أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له أن يطلب حاجته منهم، فأعطته فاطمة الزهراء (عليها السلام) جلداً كان ينام عليه الحسن والحسين حيث لم يكن عندها شيء غيره، وقالت له أن يأخذه ويبيعه ويستفيد من نقوده. هذه هي شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام الجامعة للأطراف. إنها أسوة للمرأة المسلمة.

إنّ على المرأة المسلمة أن تسعى في طريق الحكمة والعلم وفي طريق التهذيب المعنوي والأخلاقي للنفس وتكون طليعة في ميدان الجهاد والكفاح (بكلّ أنواعه) ولا تهتمّ بزخارف الدنيا ومظاهرها الرخيصة وتكون عفّتها وعصمتها وطهارتها بدرجة بحيث تدفع عنها نظر الأجنبي تلقائياً، وفي البيت سكينة للزوج والأولاد وراحة للحياة الزوجية، وتربّي في حضنها الحنون والرؤوف وبكلماتها الطريفة أولاداً مهذّبين بلا عقد، وذوو روحيّة حسنة وسليمة، وتربّي رجالاً ونساءاً وشخصيات المجتمع.

إنّ الأمّ هي أفضل من يبني، فأكبر العلماء قد يصنعون أداة الكترونية معقّدة جدّاً مثلاً، أو يصنعون أجهزة للصعود الى الفضاء أو صواريخ عابرة للقارات، ولكن هذا كلّه لايعادل أهمّية بناء إنسان رفيع، وهو عمل لا يتمكن منه إلّا الأمّ، وهذه هي أسوة المرأة المسلمة[1].

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ جمادى الثانية ١٤١٣ هـ.

تعامل النبي مع فاطمة عليهما السلام

فكما تعلمون فإنّ المعاصرة تعتبر من الأمور التي تمنع الإنسان من معرفة الشخصيات بصورة جيدة، فغالباً لم تعرف النجوم الساطعة في عالم البشرية في حياتها من قبل معاصريهم، إلّا من ندر من العظام كالأنبياء عليهم السلام والأولياء، وهؤلاء أيضاً عرفوا من قبل أفراد معدودين فقط. إلّا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت في عصرها بصورة بحيث لم يمتدحها أبوها وبعلها وبنوها وخواص شيعتهم فحسب، بل إنها كانت تُمتدح حتى من قبل أولئك الذين لم تكن لهم علاقات سليمة معها.

انظروا إلى الكتب التي اُلفت حول الزهراء عليها السلام أو حول كيفية تعامل النبي مع هذه العظيمة، فقد رويت من قبل الذين أشرنا إليهم كزوجات النبي والآخرين، فهذه الرواية المعروفة عن عائشة أنها قالت: «**والله ما رأيت في سَمْتِهِ وهَدْيِهِ أشبه برسول الله صلّى الله عليه وآله من فاطمة، وكان إذا دخلت على رسول الله قام إليها**» أي أنه صلّى الله عليه وآله كان يقوم من مكانه ويتحرك نحوها بكل شوق، هذا معنى «قام إليها» ، وليس معناه أنه إذا دخلت الزهراء عليها السلام قام أمامها النبي صلّى الله عليه وآله، كلا ، قام وذهب إليها، وفي بعض الروايات المروية عن عائشة أيضاً جاء هكذا «وكان يقبّلها ويجلسها مجلسه»[1].

هذه هي منزلة الزهراء عليها السلام، فماذا يقول الإنسان حول ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ وماذا يقول حول هذا الموجود العظيم؟

هذا جانب من حياة الزهراء عليها السلام التي نحتاج إليها لتطهير أنفسنا، فالحديث

---

(١) روي عن عائشة أن فاطمة كانت إذا دخلت على رسول الله قام لها من مجلسه وقبّل رأسها وأجلسها مجلسه ، وإذا جاء إليها لقيته وقبّل كل واحد منهما صاحبه وجلسا معاً (مناقب آل أبي طالب/ ابن شهر آشوب : ٣ / ١١٣ .

ورد من طريق الشيعة «**أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام يا فاطمة، إنّني لا أُغني عنك من الله شيئاً**»[١] أي يجب عليك أن تفكّري بنفسك، فكانت تفكّر في نفسها من صغرها إلى نهاية عمرها القصير. فانظروا إلى حياتها كيف كانت؟ كانت إلى قبل الزواج حينما كانت فتاة ـ تعامل أباها ـ نبي الرحمة والنور ومؤسس الحضارة الحديثة، والقائد العظيم للثورة العالمية الخالدة، وحيث كان النبي صلّى الله عليه وآله آنذاك يرفع راية تلك الثورة ـ بصورة بحيث أصبحت (أمّ أبيها) ولم يقل اعتباطاً (أمّ أبيها)، فكانت الزهراء عليها السلام ـ سواء في مكة أو في شعب أبي طالب أو عندما توفيت خديجة عليها السلام وبقي النبي وحيداً مكسور القلب بوقوع حادثتين في فترة قصيرة وفاة خديجة ووفاة أبي طالب، فأحسّ النبي بالغربة ـ تزيل بيديها الصغيرتين غبار الحزن والغمّ عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقد ورد في الرواية أنّ الزهراء عليها السلام جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد بان على وجهها آثار الجوع، فرقّ قلب النبي صلى الله عليه وآله لها فدعا لها.

لقد كانت كل مساعي أمير المؤمنين عليه السلام خالصة لله وللإسلام، فهو أُمثولة رجال التعبئة، وإنني أهيب بمقاتلي التعبئة في بلادنا العلوية الفاطمية أن يجعلوا أمير المؤمنين عليه السلام قدوة لهم، فإنّه عليه السلام أفضل وأعظم قدوة للتعبويين المسلمين في كل أرجاء العالم، ثم إن فاطمة الزهراء عليها السلام وهي إبنة قائد الإسلام العظيم والحاكم المقتدر في زمانه رغم كل الذين تقدّموا لها ومن بينهم المتمولون والشخصيات، إلّا أنها انتخبت ـ أي أن الله انتخبه وهي كانت راضية بالانتخاب الإلهي وفرحة بذلك ـ هذا الشاب الذي وهب حياته مرضاة لله وقضى عمره في الجهاد، ثم تعيش معه بتلك الصورة حيث كان أميرالمؤمنين عليه السلام راضياً بكل وجوده عنها، وعبارات أميرالمؤمنين عليه السلام لها في أواخر حياتها خير

(١) كنز العمال: ١٦ / ٩ ح ٤٣٧٠١.

دليل على ذلك[١].

النبي وتهنئة الحسين صلوات الله عليهما

عندما يتأمّل الإنسان في تأريخ المجتمع الإسلامي، ذلك المجتمع الذي كان يرأسه شخص غير عادي كرسول الله صلى الله عليه وآله، هذا النبي الذي كان يتمتّع بقدرة تفوق إدراك البشر، والمرتبط بالوحي الأزلي والحكمة الفريدة اللامتناهية، والمجتمع الذي حكمه بعد ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث أصبحت المدينة والكوفة مركزَي هذه الحكومة العظيمة، فما الذي حدث بعد ذلك؟ وأيّة جرثومة دخلت بدن هذا المجتمع حتّى قتل الحسين بن علي عليه السلام في ذلك المجتمع وبين هؤلاء الناس وبتلك الصورة بعد مضي نصف قرن على وفاة النبي صلى الله عليه وآله وعشرين سنة على شهادة أميرالمؤمنين عليه السلام ، فما الذي حدث، وكيف ؟! وما حدث ليس بحقّ ابن مجهول، بل بحقّ من كان يحتضنه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في الصغر، ويُصعده معه على المنبر ويخطب في الناس، بحقّ من قال في حقّه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين**» [٢].

كذا كانت العلاقة وثيقة بين الأب والإبن، ذلك الإبن الذي كان ركناً من أركان حكومة أميرالمؤمنين (عليه السلام) في الحرب والصلح والسياسة، وكان كالشمس الساطعة.

إلّا أنّ أمر ذلك المجتمع قد آل إلى أن يحاصر ابن النبي صلى الله عليه وآله وذلك الإنسان البارز العزيز صاحب العمل والتقوى والشخصية المفخرة، صاحب ذلك الدرس في المدينة والكثير الأصحاب والأنصار والمحبّين، وشيعته كثيرون في مختلف مناطق العالم

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ جمادى الثانية ١٤١٥هـ
(٢) انظر كامل الزيارات: ١١٦ ح ١٢٦ .

الإسلامي، ثم يُقتل عطشانَ بتلك الصورة الفجيعة لا لوحده فقط، بل مع جميع رجاله حتّى الطفل البالغ من العمر ستة أشهر، وتُساق نساؤه وأطفاله أسارى يطاف بهم من مدينة إلى مدينة.

فما القضية؟! وما الذي حدث؟! هذه هي العبرة. قارنوا بين مجتمعنا وذلك المجتمع لتجدوا الفارق بينهما، فقد كان على رأس مجتمعنا الإمام العظيم الشأن والذي كان أعظم من الناس جميعاً في زماننا دون أدنى شكّ، ولكن أين إمامنا من النبي ﷺ؟ فمثل هذه القدرة العظيمة التي نشرها النبي ﷺ في ذلك المجتمع بحيث كانت يد النبي ﷺ تقود المجتمع بعد عشرات السنين من وفاته.

فلا تتصوّروا أنّ الفتوحات الإسلامية كانت مقطوعة عن نَفس النبي ﷺ، بل كانت يد النبي ﷺ هي التي تقود المجتمع الإسلامي، وبناءاً على ذلك كان النبي الأكرم ﷺ حاضراً في فتوحات ذلك المجتمع وفي مجتمعنا ولازال حتّى آل الأمر إلى ما نحن عليه الآن(١).

(١) من كلمة ألقاها في ٣ شعبان ١٤١٦ هـ

نِسَاء النَّبِيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله

مقام نساء النبي صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾(١) وذلك لمكان انتسابهن من الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وتظلّ هذه المعادلة باقية حتى في جانبها الإيجابي ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾(٢) أي أن صلاة زوج النبي لها ضعف ثواب غيرها، وهكذا سائر عباداتها، وكذلك لو أنها اغتابت شخصاً والعياذ بالله سيكون جزاؤها ضعف جزاء غيرها.

ثم تبدأ الآية من قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾(٣) إذ إن لنساء النبي امتيازاً على سائر النساء.

ثم جاء بعد ذلك: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(٤) وما ذلك لخصوصية في نساء النبي سوى انتسابهن إليه صلى الله عليه وآله وسلم) وهكذا بالنسبة لنا، فكلما كان انتسابنا إلى رسول الله صل الله عليه وآله وسلم أوثق وكان منصبنا الاجتماعي خطيراً وممتازاً، كانت لنا تلك الخصوصية.

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٠.
(٢) سورة الأحزاب: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٢.
(٤) سورة الأحزاب: ٣٢.

وطبعاً لا أدعي المضاعفة، إلّا أننا نختلف عن سائر الناس، وأنا أكثر منكم، فلو أننا ارتكبنا معصية فإن معصيتنا سوف لا تكون بنسبة معصية غيرنا من عامة الناس، بل إنها ستكون أكبر وأشد، ولو أننا أوقعنا شخصاً في الضلالة، سيكون عملنا هذا مختلفاً عن نظائره.[١]

السيدة خديجة عليها السلام

من الطبيعي أنّ أصحاب الإيمان الراسخ يصمدون ويصبرون في مثل هذه الظروف، إلّا أن جميع الضغوط تصب في نهاية المطاف على كاهل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وفي تلك الظروف العصيبة والضغوط النفسية الشديدة التي كان يواجهها رسول الله توفي في أسبوع واحد كل من أبي طالب الذي كان أكبر عون وأمل له، وخديجة الكبرى التي كانت خير سند روحي ونفسي له، فكانت حادثة مريرة بقي الرسول على أثرها وحيداً فريداً[٢].[٣]

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/٥/٥هـش ٢٠ / ٦ / ١٤٢٦هـق ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٥م ـ مشهد المقدس.

(٢) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

(٣) **مدح النبيّ لخديجة عليهما صلوات الله:**

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله خديجة يوماً وهو عند نسائه فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: صدّقتني إذ كذّبتم وآمنت بي إذ كفرتم وولدت لي إذ عقمتم ـ البحار: ١٦ / ٨، وكشف الغمّة: ٢ / ١٣١.

وزيد في رواية عن عائشة: ... ما أبدلني الله خيراً منها ... وواستني بمالها إذ حرمني الناس ـ كنز العمّال: ١٢ / ١٣١ ـ ١٣٢ ح٣٤٣٤٨، والاستيعاب: ٤ / ٢٨٧.

وفي رواية زاد: ... وآوتني حين طردني الناس ـ المصدر السابق: ح٣٤٣٤٩.

=

= وقال صلى الله عليه وآله : بشّروا خديجة ببيت في الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ـ مسند أبي يعلى : ١٢ / ١٧٠ ح٦٧٩٧ ، وروضة الواعظين : ٢٦٩ .

وقال : خير نساء الجنّة خديجة بنت خويلد ـ المصدر السابق : ح٣٤٣٣٧ وما بعده .

وعن أنس أنّ النبيّ أطعمها من عنب الجنّة وأخبرها أنّ ربّها يقرئها السلام ـ روضة الواعظين : ٢٦٩ ، والمعجم الأوسط : ٧ / ٥٨ .

قال الإمام الباقر عليه السلام : إنّ جبرائيل قال للنبيّ صلى الله عليه وآله ليلة الإسراء : حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومنّي السلام ، فقالت خديجة لمّا قال لها النبي ذلك : إنّ الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرائيل السلام ـ البحار : ١٦ / ٧ ح١١ .

*** إيثار وكرم خديجة عليها السلام :**

كانت خديجة بنت خويلد في الجاهلية من أهل الكرم وإطعام الضيف ومساعدة المحتاجين وقضاء حوائجهم ، وكانت بعد الإسلام أشدّ كرماً وإيثاراً لما سمعته من النبيّ صلى الله عليه وآله من ثواب ذلك وآثاره .

فروي أنّها قالت للنبيّ صلى الله عليه وآله لمّا عرفت أمانته وكرمه قبل زواجها : أنا ومالي [وعبيدي] وجواري وجميع ما أملك بين يديك وفي حكمك لا أمنعك منه شيئاً ـ البحار : ١٦ / ٥٥ .

وكانت تلبّي من طلب منها مالاً أو تجارة ليتاجر بها .

وبمجيء الإسلام وتعرّف خديجة على تعاليمه وآدابه وحبّها في نشر الدين المحمّدي آثرت خديجة على نفسها فتخلّت عن الدُّنيا ولذّاتها وتوجّهت إلى الآخرة ونشر الإسلام ونشر الدعوة في قريش ، فكانت كلّ أموالها وقصورها بيد النبيّ صلى الله عليه وآله ينفقها في سبيل الله حتّى لم يبق منها شيء ـ مع كثرتها ـ وحتّى باتت خديجة لا تملك شبعة ولا شربة ماء في شِعب أبي طالب فربطت على بطنها الحجر من شدة الجوع .

تخلّت خديجة عن كلّ عبيدها ومواشيها ، والتي بلغت ثمانين ألف جمل ، وعن أموالها في مكّة والحبشة ومصر ، وعن دارها الذي كان يسع أهل مكّة جميعاً ، الذي كان أعلاه قبّة من الحرير الأزرق مربوط بحبال الأبريسم وأوتاد الفولاد (راجع البحار : ١٦ / ٢٢) ، كلّ ذلك تخلّت عنه خديجة وآثرت به من أجل الإسلام حتّى قيل : ما قام الإسلام إلّا بسيف عليّ وأموال خديجة ـ مناقب خديجة الكبرى للمالكي : ٢ .

أجل لولا سيف علي الذي كان مسلطاً على المشركين بحقّ وبأمر النبيّ صلى الله عليه وآله ، ولولا مال خديجة الذي أنفقته في سبيل نشر الدعوة الإسلامية ، لما كان وصل الدين المحمّدي الأصيل إلى ما وصل له في =

رأي النبي في دور المرأة السياسي

إن الإسلام يعتبر بيعة المرأة أمراً ضرورياً وقضية حيوية على صعيد القضايا السياسية والاجتماعية. وبإلقاء نظرة على العالم الغربي وتلك البلدان الأوربية التي تدّعي جميعها الدفاع عن حقوق المرأة فإننا نجد أن المرأة، وحتى العقود الأولى من هذا القرن، لم يكن لها حق في إبداء الرأي، ولا في الانتخاب، بل وحتى لم يكن لها حق في الملكية؛ أي أنها لم تكن أيضاً مالكة لأموالها الموروثة، وإنما كان المالك هو زوجها! الإسلام يقرّ بيعة المرأة ومالكيتها ومشاركتها في الساحات الأساسية السياسية والاجتماعية، فيقول القرآن الكريم ﴿**إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله**﴾[1]؛ فالنساء كنّ يأتين أيضاً لمبايعة النبي ﷺ ولم يقل رسول الإسلام بأن الرجال ينوبون عن النساء فيخترن من اختاروا ويقبلن بمن قبلوا، بل قال بأن النساء يبايعن أيضاً ولهن أن يشاركن في القبول بهذه الحكومة وهذا النظام الاجتماعي والسياسي. فالغربيون متأخرون عن الإسلام ألفاً وثلاثمائة سنة في هذا المجال، ولكنهم يتشدقون بهذه المزاعم!

ولقد كانت فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي نفسها أسوة في ذلك سواء في مرحلة الطفولة أو في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، وكذلك في كافة الشؤون العامة في ذلك الزمان الذي كان فيه أبوها محوراً لجميع الأحداث السياسية

= المدينة المنوّرة.

نعم، هذا لا يلغي جهاد المجاهدين وصبر الصابرين مع النبيّ ﷺ ولا دفاع عمومة النبيّ خاصّة أبو طالب، إنّما الحديث جاء لتبيين الأسباب المهمّة لقيام الدين خاصّة في بداية الدعوة. فخرجت خديجة بنت الإسلام من جميع مالها وملئت إيماناً وعلماً وأخلاقاً، وزاداً إلى دار الآخرة فكافأها الله بذلك في جنانه الخالدة كما يأتي.

(١) سورة الممتحنة: ١٢.

والاجتماعية، حيث كان لها (عليها السلام) حضور واسع، وكانت مظهراً لدور المرأة في النظام الإسلامي. وبالطبع فإن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) كانت قمة في هذه الأمور، ولكن سيدات أخريات كنّ في صدر الإسلام على قدر كبير من المعرفة والحكمة والعلم، وكان لهن حضور في ميادين الحرب، لدرجة أن بعض مَن كُنّ يتمتعن بقوة بدنية كانت لهن صولات وبطولات في المعارك والضرب بالسيف وسوح التضحية. ولكن الإسلام لم يوجب ذلك طبعاً على النساء، بل أسقطه عنهن لعدم ملاءمته لطبيعتهن الجسدية وكذلك لعواطفهن.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإنّ المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة**»[١].

وبهذا يقضي النبي ﷺ على تلك النظرة الخاطئة التي كانت لا ترى في المرأة سوى خادمة داخل المنزل؛ فهي على غرار الزهرة ويجب الحفاظ عليها.

وبمثل هذا التصور ينبغي النظر إلى هذا المخلوق ذي اللطافة والرقة الروحية والجسمية، وهذا هو رأي الإسلام. وعلى هذا فقد حافظ الإسلام على المميزات النسوية للمرأة والتي يقوم على أساسها كل ما لديها من مشاعر وإرادات، فلم يخضعها ولم يطلب منها أن تفكر كالرجل، أو تعمل كالرجل، أو تكدح وتطمح كالرجل ـ أي أنه حفظ لها خصوصيتها الأنثوية والتي هي خصوصية طبيعية وفطرية، كما أنه محور كافة المشاعر والمساعي النسوية ـ في حين فتح أمامها شتى أبواب العلم والمعنوية والتقوى والسياسة، وحثها على اكتساب العلم وأيضاً على المشاركة في الميادين الاجتماعية والسياسية المختلفة.

وفي نفس الوقت فإنه لا يحق للرجل داخل الأسرة أن يجبر المرأة أو يضطرها أو يدفعها للقيام بما ليس من واجبها، ولا أن يستخدم معها السيطرة الجاهلة واللاقانونية. فهذه هي النظرة الإسلامية للمرأة[٢].

---

(١) نهج البلاغة: ٣ / ٥٦ رقم ٣١.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢١هـ ـ طهران.

بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

العصر الجاهلي وزمن البعثة

إنّ أهمية البعد المعنوي للبعثة النبوية ـ في الحقيقة ـ أرفع من أن يتمكن امثالي من تبيينها بصورة واضحة، لكن هناك نكات حول تأثير البعثة النبوية على حياة الإنسان في العصور التاريخية المختلفة يمكن الحديث حولها.

إنّ البعثة النبوية وقعت في فترة فراغ روحي ومعنوي، فالبشرية كانت بحاجة الى تلك البعثة العظيمة، واللّه بحكمته البالغة جعل هذه البعثة والحادثة العظيمة في منطقة؛ بحيث اصبحت المفاهيم الحقيقية لهذه البعثة معروفة في تلك الأيام وبقيت مصونة ومحفوظة على مدى تاريخ البشرية، ودون أن تتلوث أو أن تندس فيها المفاهيم المتداولة والرائجة تلك الأيام. فقد كان ممكناً وقوع البعثة الخاتمة في المناطق ذات الحضارة المتقدمة كدولة الروم أو اليونان أو الدول المتقدمة آنذاك والتي كانت لديها فلسفة ومعارف إنسانية وعلوم مدنية، لكن الباري تعالى لم يجعل انعقاد هذه الدعوة والفكرة في تلك المناطق لئلا تصبح العناصر والمفاهيم الأجنبية دخيلة عليها.

إنّ من الخطأ التصوّر بأن يكون تعاملنا مع المجتمع الجاهلي تعامل عداء وخصومة، كلاّ، بل يجب أن يكون مبنياً على التراحم، ويجب عرض هذه القيم على هذا العالم المحتاج إلى قيمنا الإسلاميّة، وهذه هي الخطوة الأولى.

ثمّ إن كنّا نمتلك هذه القيم، ننقلها إليهم، فعداوة وخصومة الإسلام هي للّذين يعارضون هذا التبادل وهذا الانتقال وهذا التبديل والتحوّل إلى النظام الإسلامي،

وموقف الإسلام من هؤلاء هو موقف معارضة، لكن العالم اليوم بحاجة إلى الرسالة الإسلامية.

إذن النقطة الّتي وددت بيانها اليوم هي أنّ رسالة البعثة رسالة بنّاءة، هي درس وليست اتفاقية اجتماعية، بل هي تحرّك[١].

وصف العصر الجاهلي

لقد كان مبعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انطلاقة جديدة بالنسبة للبشرية؛ فالعالم المحيط بتلك الرسالة ومهد انبثاقها كان متردياً للغاية ولا يطاق؛ عالم منحدر نحو الماديات وملتصق بها، عالم حيواني الطبع مطلقٌ فيه العنان للجبابرة والمتغطرسين والمتعسفين، عالم التمييز والفساد والظلم والنزوات الطائشة. ولم يكن هذا الوضع مقصوراً على منطقة الحجاز، بل إن الدولتين الكبريين اللتين كانتا تحيطان بالجزيرة العربية ـ أي إيران الساسانية والإمبراطورية الرومانية ـ كانتا تعانيان ذات المشاكل؛ فالجاهلية التي كانت تضغط على حياة الناس ببراثنها يوم ظهر الإسلام كانت جاهلية شمولية، إذ كانت هناك فتن مرهقة للإنسان تعم المناطق المحيطة بالجزيرة العربية يومذاك، فكان هنالك عالم وحضارة ـ بما يتناسب وزمانهم ـ ونظام ونمط للحكم الوراثي بما فيه من تقاليد، وانضباط تفرزه السلطة المطلقة في تلكم الدول.

فقدان الفضيلة الإنسانية في العصر الجاهلي

بيد أن ما كان مفقوداً هو نور الإنسانية والفضيلة، ما كان مفقوداً بالضبط هو ما كانت تحتاجه البشرية حاجة ملحة؛ أي أجواء الفضيلة الإنسانية، أجواء الرحمة والمروة، أجواء العدالة. ما كانت تفتقر إليه البشرية يومذاك هو العدالة؛ أن لا يُسحق الضعيف

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٥هـ

تحت سطوة القوي، أن لا تتمركز الخيرات على وجه الأرض بأيدي حفنة من البشر الأقوياء فيما يحرم سائر الناس منها، وهذا ما كان سائداً في ظل الحكومة الساسانية وكذلك الإمبراطورية الرومانية، غاية الأمر أن لكل منهما طبيعته. وفي الحجاز اتخذ الوضع شكلاً آخر حيث الحياة البدوية يومها[١].

حال المظلومين في العصر الجاهلي

كانت معضلة ذلك العصر أن الناس فيه ألفوا تسلط الطواغيت، واعتادوا في كل أرجاء العالم على حاكمية غير الله، وعلى سيادة الطاغوت وسيادة الظلم واختلاف الطبقات. فمن ذا الذي كان يجب أن يتصدّى لمثل هذه الظواهر؟ من الطبيعي أنّ المظلومين هم الذين يجب أن يتصدوا لمثل هذه الظواهر. ولكن إذا كان المظلومون أنفسهم يعتقدون بوجوب بقاء مثل هذه الأوضاع، فلا يبقى هناك أمل في الاصلاح.

وهكذا كانت توعية الناس وإيقاظ البشرية هي المهمة الكبرى التي اضطلع بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وأدّتها الدعوة النبوية ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾[٢]، فهو ذكر وتوعية وتنبيه لكل البشرية، علماً أنّ الموقع الذي أخذ فيه رسول الله على عاتقه مهمة هذه التوعية كان من أصعب المواقع، حيث اصطدمت مهمّته هناك بأنواع التعصب والنزعات القبلية والميول الشخصية والاتجاهات الفردية؛ فتحمل (صلوات الله عليه) جهوداً شاقّة على هذا السبيل إلى أن استطاع فتح منفذ في هذا الحاجز البشري، وشقّ طريقه وسط هذه الصخرة الصلدة.

وكل من نهض بعمل من بعد ذلك إلى يومنا هذا، إنّما جاء عمله اتباعاً لخُطى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واستمراراً في السير على منهجه[٣].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤٢٣ هـ ـ طهران.

(٢) سورة يوسف: ١٠٤.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٧ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ـ طهران.

ظهور البعثة ونجاحها

لقد ظهرت البعثة الإسلامية وبزغت مواجهةً لكل ذلك، ولم تكن مختصّة بأولئك القوم، بل هي لكل البشر؛ ﴿إن هو إلّا ذكر للعالمين﴾[1]، وقد استطاع النبي ﷺ الوقوف بوجه ذلك الواقع المرير وتغييره، وأفلح في إحداث ثغرات عميقة في جدران الظلم والعنجهية البشرية فدمر بعضها ومهد لإنهيار البعض الآخر؛ فكان النبي ﷺ قد واجه أشد المواقف وأصعبها.

إذا ما مُدّ السوء والعنجهية والفساد بالقوة والحراب والإرادة والسياسة فهو بذلك يمثل خطراً فادحاً يهدد البشرية، والبشرية اليوم في القرن الحادي والعشرين في طريقها للإنحدار بهذا الإتجاه بالرغم من كل ما تتبجّح به، وذلك بسبب بعض مواطن الخلل التي أخذت تطفو، حيث تقف قوة معينة أو فئة سلطوية جامحة معتمدة على ما لديها من قوة وقبضة حديدية وقدرات تسليحية لتفتعل لها حقاً لا وجود له! وهذا هو ذات الوضع الذي كان سائداً يوم انبثاق البعثة، فصمد النبي ﷺ ولم يقل إن هذا أمر واقع فما الحيلة أزاءه؟ فالبعض يبرز ضعفه وفقدانه للهمة بالقول: إن هذا أمر واقع فماذا نصنع؟ كلا، فليس هذا هو الواقع الذي يتعين الاستسلام أمامه؛ فالوقائع الطبيعية التي يتعذّر علاجها والتي لا تُملى على الإنسان هي التي يتعين على الإنسان التأقلم معها ومجاراتها، ولكن لابد من تحطيم الوقائع التي تفرضها فئة معينة بقوة الحراب والسلاح على فئة أخرى.

وليس من المنطق أن نقول إن قوة الاستكبار تمثل اليوم واقعاً، فما عسانا صانعين؟ إن هذا لواقع مرفوض، وإن الأفذاذ من البشر والأديان الإلهية وأصحاب الأفكار العظيمة يقفون بوجه هذا الواقع ويتصدون له حتى يغيروه، وهو مما يمكن تغييره.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٤.

وهذه كانت حقيقة البعثة.

يوم اخترق بلاغ «**قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا**»[١] فضاء مكة، لم يجرؤ حتى من تحلّى بالإنصاف يومها على الاحتمال بأن هذا المنطق سينتصر يوماً، وذلك لفقدانه المقومات من الأساس. فهل كان هنالك من يجرؤ على الاقتناع بإمكانية طرح هذا البلاغ والمضي به قدماً؟! لكن بلاغ «**لا إله إلّا الله**» أطاح بكل تلك الأصنام المنصوبة على جدران الكعبة ويسندها التعصب الجاهلي العميق وبأشراف مكة وأسرها ذات القوة والنفوذ ومن بعدها بالحكومتين المقتدرتين الساسانية والرومانية.

إنّ الضعفاء من الناس يتراجعون منذ اللحظة الأولى، غير أن الواجب والرسالة والبعثة هي التي تقدمت بالنبي صلى الله عليه وآله إلى الأمام؛ فالبعثة إنما تعني الانبعاث، وقد جاءت هذه البعثة فغيّرت المناخ في الحجاز أولاً ومن ثم في كافة أرجاء العالم المتحضر يومذاك في غضون بضع وعشرين سنة، ولم يمضِ نصف قرن على ظهور الإسلام والبعثة حتى خضع أكثر من نصف العالم المتحضر لتأثيرات الإسلام، ولا تتصوروا أن حكومات من قبيل الإمبراطوريات القوية كانت تفتقد العلم والعقل وتعوزها القوات العسكرية والاعتداد بالنفس والغرور والتكبر، لكن الإيمان بصراحته ووضوحه واعتماده على المنطق القوي إذا ما استقر في قلوب ذوي الهمة والإخلاص والمضحين من الناس فإن كافة هذه الموانع يمكن إزالتها[٢].

الحضارات في زمن البعثة

فالقرآن الكريم يذكر ـ والتاريخ أيضاً ـ وجود حضارات ومدنيات عظيمة في المنطقة الغربية من العالم آنذاك حيث مخالفتهم للأنبياء عليهم السلام. فمثلاً يشير الى قصة

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥١.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤٢٣ هـ ـ طهران.

إرسال ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام في وقت واحد الى الأقوام التي كانت تقطن مدينة (انطاكيا) وفي النهاية كفروا بأنعم الله.

فالله سبحانه وتعالى لم يرسل النبي ﷺ الى هؤلاء، أمّا في الجزيرة العربية فلم يكن للمعارف الإنسانية أي أثر، بل الشرك ومظاهره في ادنى صورة، لذا يُلاحظ أن القرآن حارب الشرك بشدة؛ بحيث تم تعظيم الآية ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾[١] في سورة الإخلاص، بأن وضعت في قلب سورة تتألف من خمس آيات، كل هذا لأجل محو الشرك من الأذهان والقضاء على مظاهره.

بعثة الأنبياء خالدة ودائمة

ولكن رغم هذا ولد الإسلام وانتشر في العالم خالصاً نقيّاً، في كل مكان في قبال الثقافات والحضارات المختلفة، الى أن خلت الدعوة تدريجياً من الخلوص والنقاء بسبب عدم إخلاص الدعاة.

إنّ من خصائص بعثة خاتم الأنبياء ﷺ أنها دائمة وخالدة للبشرية، أي بإمكان المعارف القرآنية ملء الفراغ المعنوي في الحياة البشرية في كل الأحوال، فهناك قوة خاصة تكمن في المعارف الإسلامية وبوسعها أن تملأ ـ تحت أية ظروف ـ الفراغ المعنوي والروحي وتتيح للبشرية الحياة في مناخ روحي ومعنوي.

إن من شروط انتشار دعوة بين الشعوب والملل هو أن تكون الدعوة منطقية ومعقولة، أن أي حديث يفصل الإسلام عن المنطق والعقل فهو مانع لانتشار الإسلام.

فعلى المفكرين والمنظّرين في القضايا والشؤون الإسلامية أن يتوجّهوا لهذه النقطة وهي أنّ الإسلام هو دين المنطق والعقل وإنّ العقل السليم والفطري يستوعبه

---

(١) سورة الإخلاص: ٣.

ويفهمه ويتقبله بسرعة، طبعاً ليس بمعنى أنه لابّدّ من برهان عقلي لكل حكم من احكام الإسلام، مثلاً لماذا تكون صلاة الصبح ركعتين، فيلزم دليل عقلي عليه، كلا ليس بهذا المعنى، ولا بمعنى لزوم وجود أي شيء يفهمه ويدركه العقل في الإسلام، بل بمعنى إمكانية الدفاع عن المعارف الإسلامية الثابتة والمقبولة من قبل أهل الخبرة والفن في الإسلام في أي محيط عقلي وعلمي، فيمكن إثبات وتعليل وتوضيح ضرورة الصلاة لأكثر الناس مادية، وعلى حدّ تعبير أحد المفكرين الغربيين المشهورين في القرن التاسع عشر ـ قرن اللادينية في الغرب: إنّ في الصلاة لسراً عظيماً، نعم لو لم تكن كذلك لما حملت مفكراً غربياً يعيش في عالم الغرب المادي على الإعتراف بذلك.

الإسلام المحمدي مطابق للعقل والمنطق

فالمنصفون وأهل العلم والعقل والمنطق والإستدلال يمكنهم استيعاب وقبول جميع المعارف الإسلامية، وهذه من خصائص الإسلام؛ إنه مطابق للعقل والمنطق. فإن سعى أناس لإفراغ الإسلام من هذه الخصيصة سواء اعلامياً بأن يقولوا: إن هذه المعارف مخالفة للعلم والعقل، أو عملياً بأن ينسبوا ما ليس في الإسلام وما ليس موافقاً للعقل السليم الى الإسلام فإنهم لم يدعموا الإسلام بل عرقلوا انتشاره.

الإسلام المحمدي معنوي ومادي

إنّ الخصيصة الثانية للاسلام هي أنه: معنوي والهي ، أي أنه خلافاً لما ينسب الى المسيحية من غلبة الجانب المعنوي على الجانب الدنيوي، لكن الإسلام ليس كذلك. إنّ الإسلام يرى أنّ الدنيا جزء من الآخرة، فحياتكم وتجارتكم وتحصيلكم للعلم وعملكم الإداري والسياسي هي حياة دنيوية لكنها جزء من الآخرة.

فإنّ تؤدوها بنيّة صالحة فهي حسنة توصلكم الى القرب الإلهي والى المقامات

المعنوية في الآخرة، وأن تؤدوها ـ لاسمح الله ـ بنية سيئة، بنيّة العُجْب والتكبّر فنتيجتها السقوط في المهالك والدرك الأسفل، إذ لا انفصام بين الدنيا والآخرة.

لكن السيء أن يسعى الإنسان للحياة المادية في هذه النشأة بنيّة سيّئة، وهذه هي الدنيا المذمومة، لكن لا فصل بين هذه النشأة وتلك، بل هذه الدنيا مزرعة الآخرة. فما معنى المزرعة؟ وهل يمكن قطف الثمار من غير المزرعة؟ إذا في هذه دلالة على نهاية الوحدة بين الدنيا والآخرة، فبالرغم من اهتمام الإسلام بالأمور الدنيوية؛ إلّا أنّ الإسلام في الوقت نفسه دين المعنويات. في الإسلام يجب أن تتجه القلوب نحو اللّه، يجب أن تكون النيّات خالصة للّه، فهذه من خصائص الإسلام ومن وسائل نشر الإسلام.

إنّ ما نشعر به اليوم في الدنيا من نقص ـ نعتقد أنه من ناحية المعلومات ـ هو نقص في المعنويات، والفراغ المعنوي الذي يعيشه العالم الغربي خصوصاً ـ

لقد غرقوا في الماديات والشهوات وابتعدوا عن المعنويات، ومن خاصية الشهوة أنها شهوة فقط في البداية لكنها جهنم عند الاستمرار عليها، فلا يمكن مشاهدة أحد يعيش في الشهوات وفي نفس الوقت يلتذّ ويتمتع بحياته، هذا هو الجحيم الذي يعيشه المتنعمون في العالم الغربي اليوم، وأما غيرهم فيعيش الفقر والبؤس، والجميع يعيش في الفساد. طبعاً هناك أفراد مستثنون، إنني أقصد الطبقات، وفي كل طبقة أفراد مستثنون وجيدّون.

حاجة العالم للبعثة النبوية

إنّ العالم اليوم بحاجة الى هذه البعثة، إنّ قضية إيران الإسلامية ليست أنها دولة كسائر الدول يحكمها لفترة آل فلان وفترة آل علان والآن المسلمون والمؤمنون كلاً، إنّ قضيتنا قضية نداء، قضية بعثة. إننا اليوم نعرض كلاماً جديداً للعالم، وهذا الحديث والكلام الجديد، وإن كان أثره الابتدائي يجب أن يظهر في حياتنا وبلدنا؛ لكن يقدم

للعالم نهجاً وطريقاً جديداً، فيجب أن لا يغفل المسؤولون في البلاد عن هذا.

إنَّ هذا النظام قد جاء ليعرض للبشرية أهداف هذه البعثة الإلهية لا لأخذ شيء من المجتمعات والدول والأنظمة المنحرفة، قد نكون نحن سيِّئين ونعاني نقصاً كبيراً ونكون صغاراً على حمل هذه الرسالة؛ لكنَّ الرسالة نداء لإنقاذ البشرية، والبشرية بحاجة إليها، فلا يحّق لنا التشكيك فيها لأنها لا توافق أذواقنا وسلائقنا.

إننا أحبّاء البشرية لا أعداؤها، إننا عُشاق العلم والتقدم وراحة البال وسعادة جميع شعوب العالم، إننا نعرف مِمَّ تعاني البشرية، إنّها بحاجة الى المعنوية، والمعنوية كامنة هنا.

طبعاً هي لا تُفرض على أحد؛ لأنها في هذه الحالة يقل تأثيرها ، إنّما نعرضها فقط لا أكثر.

فإن كانت البشرية تعاني من الآلام المستعصية، فنقول لها إن علاجها هو الإسلام، وهذا هو معنى تجديد البعثة في عالمنا اليوم. وأنتم ـ أيها الشعب الايراني ـ طلائعه وروّاده اليوم، فيجب أن يعمل الشعب بالثقة والاعتماد على النفس لأن العالم بحاجة إليه، ودَعْهم يقولون في إعلامهم إنّ لإيران الإسلام مشاكل مع الجميع. كلا، إنّ لإيران الإسلام مشاكل مع أجهزة الأمن والاستخبارات في الدول الاستكبارية التي هي أكره وأقبح الأماكن في تلك الدول ، هؤلاء الذين يغذّون الأبواق الإعلامية. فمن تتصورون أن ينظّم البرامج الاعلامية للأبواق العالمية ـ؟ إننا ليست لنا مشاكل لا مع الشعوب ولا مع الدول باستثناء بعضها (الدول)، ولا دليل على خلق مشاكل معها، إننا شعب مقتدر وذو جذور ممتدة ومآثر عظيمة، وكانت شخصية كالإمام بيننا شخصية لا مثيل لها كما نعلم لا حالياً ولا في الأزمنة القريبة الماضية، وشباب أقوياء وقد أثبتوا ذلك ، وأمّهات وآباء وعوائل وعلماء. فلا نحتاج شيئاً ولا نعول على أحد ولا نهاب أحداً.

لماذا نذهب الى تلك البلاد ، ندمّر ونفجّر فيها؟ إنّ هذه الأعمال هي من الأجهزة

المخالفة للبشرية في تلك الدول التي تعاني هذه المشاكل، إنما نداؤنا هو نداء الإسلام.

أثر الرفق في انتشار الإسلام

إنّ أحد عوامل انتشار الإسلام هو الرفق «**ما كان الرفق في شيء إلّا زانه**»[١] الرفق يعني المواءمة لا العجز والمسكنة، الرفق لا يعني الوضع الهش الذي يسمح بالاختراق، الرفق لا يعني عدم الصلابة وعدم الانسجام، الرفق يعني عدم تلويع الكبد.

يمكن أن يحمل الإنسان جسماً أو شيئاً من عنصر صلب كالفولاذ، ولكن إذا لمسه فإنه لا يشعر بالأذى، بعدم الانسجام ، بعدم التوافق، اللين هو بهذا المعنى، بمعنى الإنسجام الصحيح، هذا هو معنى الرفق.

وقد يكون أحياناً شيء ما تلمسه بيدك فيخدشك أو يجرحك مع أن جنسه قدلا يكون بصلابة الفولاذ، كقطعة من خشب مثلاً يمكن أن تخلق أو تسل خشونة للبعض.

هناك كلمات باطل، خطابات ضعيفة، فارغة يلقيها البعض على نحو يجرح بها الجميع. وهناك من يطرح فكراً معمّقاً، صحيحاً، قوياً دون أن يحمل أية خشونة رغم كل قوته ومتانته. نحن هكذا، هكذا الإسلام، وهذا هو القرآن .

ليكن درس البعثة ودرس القرآن لنا هكذا، لنكن رسلاً لقول جديد، ولنكن أوّل من يحترم هذا القول وأوّل من يعمل به، وعدم دسّ وخلط الأقوال والهدايا الكاذبة ـ التي جلبها المفكرون الغربيون وخلقوا بها جهنم لشعوبهم ـ بالإسلام الأصيل والنقي.

وما بين أيدينا من حاجة البشرية المحرومة من الخيرات الحقيقية للحياة، بسبب حرمانها من الدين وعدم الشعور بالضعف أمام العبارات الكبيرة والضخمة التي

---

(١) تحف العقول: ٤٧ .

يطلقها الآخرون، فالمنطق والقول السديد كامن هنا ، فإن أصبح شيء ما غير مفهوم لديك ، عليك بمراجعة أهله لمعرفة الصحيح منه والمنطق السديد والقول المتين.

حضارة الإسلام

وهذا هو المشعل الذي حمله النبي الاكرم ﷺ وأقام بها حضارات؛ وكذلك اليوم بإمكاننا ذلك. فلم يكن العالم خالياً تماماً من الحضارات. فقد كانت علوماً وتقدماً، انطاكيا وروما واليونان وإيران ومناطق أخرى، لكن عندما سطعت هذه الشمس، فقدت جميع الشموع نورها وضياءها ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾[1] .

وهذا الظهور وهذه الغلبة بمعنى الغلبة المعنوية، وبصورة طبيعية كطلوع الشمس، فلا أثر للمصابيح القوية في ضوئها.

فاعرفوا البعثة وأهدافها جيداً وأحيوها في أنفسكم وفي حياتكم، واستمدوا العون في ذلك من الله ، إنه خير الناصرين[2].

أهمية البعثة

إن اعتبرنا بعثة الأنبياء عليهم السلام من أهم الحوادث التي وقعت في تاريخ الإنسان وأكثرها تأثيراً على مصيره، وهي في الحقيقة هكذا، لكانت بعثة الرسول الخاتم ﷺ من حيث الأهمية على رأس الحوادث البشرية صغيرها وكبيرها.

فَما من حادثة وقعت على امتداد التاريخ البشري من قبيل الثورات الكبرى، أو نشوء أو اضمحلال الشعوب، وبروز الشخصيات الكبرى أو أفولها، وظهور شتّى

---

(١) سورة التوبة: ٣٣ .

(٢) من كلمة ألقاها في: ٢٧ رجب ١٤١٤ هـ

المذاهب، تضاهي في أهميتها مبعث الأنبياء عليهم السلام.

كما أنكم تلاحظون اليوم أنّ أدوم وأبقى أنماط وأشكال الذهن والفكر البشري هي تلك الأنماط التي صاغتها الأديان، والتي ستبقى على نفس طابعها هذا إلى الأبد. وعالم اليوم وإن كان فيه أناس لم يجعلوا أنفسهم تحت إشعاع بعثة الرسول الكريم مباشرة - وأعني بهم غير المسلمين - ولكن حتى هؤلاء لابدّ وأنهم قد انتفعوا حتى الآن من بركاتها[١].

لولا الدعايات المغرضة والتحريفات والأقلام المجرمة والأجيرة طوال قرون عديدة في مناطق من العالم خصوصاً في أوروبا ضدّ هذا الحدث والتقليل من أهمّيته أو تكذيبه، فربّما كانت دائرة المعرفة والنورانيّة الإسلاميّة أوسع من هذا.

وهناك نكتة في هذا الباب أودّ التأكيد عليها، وهي: إنّ المصطلح القرآني والروائي والعرف الإسلامي يطلق على العصر الّذي يقابل عصر البعثة بالعصر الجاهلي، وقد ورد هذا التعبير وهذا المصطلح في القرآن الكريم وكذا في الروايات، والعرف الإسلامي أيضاً يعبّر عن العصر الّذي يقابل العصر الإسلامي بالعصر الجاهلي. إذن هناك حدّ وضابط بينهما كما سيأتي.[٢]

سبب عظمة المبعث النبوي

لاريب في أنّ يوم البعثة يعد أمجد يوم في تاريخ البشرية؛ لأن مَنْ خاطبه الباري عزّ وجلّ وألقى عليه تلك المهمة الكبرى - ألا وهو رسول الله صلى الله عليه وآله - هو أعظم انسان في التاريخ، وأسمى ظاهرة في عالم الوجود ومظهر إسم الله الأعظم، بل وبعبارة أخرى هو إسم الله الأعظم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأن المسؤولية التي ألقيت على

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٨ هـ.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٥هـ.

عاتق هذا الإنسان العظيم ـ وتلك هي هداية الناس نحو النور، ورفع الأوزار الثقيلة عن كاهل الإنسانية، والتمهيد لإيجاد عالم يتناسب مع وجود الإنسان، وما إلى ذلك من المآرب اللامتناهية المتوخّاة من وراء بعثة الأنبياء ـ كانت مهمة في غاية الخطورة، أي أنّ المنتدب لهذه المهمة هو الأعظم من بين الناس، والمهمة التي انتدب لها أكبر وأعظم المهام. إذن فهذا اليوم أكبر وأعزّ يوم على مدى التاريخ.

لماذا البعثة ؟

البعثة لأجل الإنسان المجهول

لو أراد أحد حصر أبعاد البعثة بما لدينا من عقول ناقصة، لألحق ظلماً فاحشاً بهذه البعثة وبحقيقتها، وبحقيقة هذه الرسالة؛ فلا يجوز تقييد مضامين بعثة الرسول صلى الله عليه وآله بما نحمله من فهم ناقص ورؤية قاصرة، ولكن إذا أردنا عرض تعريف إجمالي مقتضب للبعثة وآفاقها ـ وإن كانت غير متناهية ـ لقلنا إنّ البعثة للإنسان وفي سبيل الإنسان؛ والإنسان أيضاً بطبيعته كائن غير متناه، وذو أبعاد شاسعة ولا ينحصر في اطار الجسم والمادة ولا في نطاق الأيام المعدودة التي يعيشها في الحياة الدنيا، وليس محدوداً في الجوانب المعنوية فحسب، ولا بمقطع زمني معين من التاريخ. والإنسان ـ في كل الظروف والأحوال وعلى الدوام ـ إنسان وأبعاده الوجودية لا متناهية ومجهولة، ولا زال الإنسان حتى الآن كائناً مجهولاً، وقد جاءت البعثة من أجل هذا الإنسان ومن أجل مصيره ومن أجل هدايته.

من الطبيعي أنّ كل فرد وكل جماعة تغترف في كل عصر وفي كل زمان من معين البعثة على قدر طاقتها واستعدادها وكما استطاع مسلموصدر الإسلام اقتباس شيء من نور البعثة ونشره في أرجاء العالم يومذاك ، فكان سبباً لهداية الكثير من الناس نحو الصراط القويم واستمالتهم نحو حقيقة العبودية، تمكنوا بعدها من إقامة حضارة

وإيجاد علوم في برهة من التاريخ لا زال بريقها يخلب الأبصار حتّى من وراء أسوار التاريخ العالية وبعد كل هذه الفواصل الزمنية الطويلة، فتنعم العالم على أثر ذلك بنعيم ذلك التقدم العلمي والصناعي والفكري والمدني. وفي كل عصر من العصور أخذ المسلمون نصيبهم المناسب من الإسلام، سعدوا. وكل من أخذ من هذا الدين على قدر استعداده فقد كتب لنفسه السعادة[١].

جذور الحضارات دينية

لاريب في أن العلوم والحضارة الإنسانية والأخلاق الفاضلة والعادات الحسنة وكثير من مقولات جبلّة الفضيلة الإنسانية، وإن لم تكن على صلة بالأديان ظاهرياً، إلّا أن جذورها العميقة مبناها الأديان والمعارف الإلهية، وعلى رأسها بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، وستكون مصدر عطاء وبركة ـ وخاصة في المستقبل ـ لبني البشرية جمعاء.

وعلى هذا الأساس يتبيّن أنّ أهم وأبرز حادثة في تاريخ البشرية هي هذه البعثة.

وحريّ بالمسلمين اليوم التفكير أكثر فأكثر بشأن هذه الواقعة. ليس بوسعنا طبعاً إنكار المصائب والمشاكل التي يكابدها العالم الإسلامي أو غَض الطرف عنها، لا ولا الاستهانة بنقاط الضعف المتفشية في المجتمعات الإسلامية.

تجربة النبي في صدر الإسلام

وقعت ذات يوم تجربة فريدة في هذا العالم وهي سيادة الإسلام بالكامل على حياة المجتمع الإسلامي حينذاك ـ أي في عهد الرسول وفي برهة من عصر الصدر الأول ـ فنجمت عنها بركات أدت إلى بروز الأمّة الإسلامية كأكبر أمة خلال فترة زمنية وجيزة،

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٩ هـ ـ طهران.

وأضاءت مشاعل من العلم والحضارة والثقافة والأخلاق والتقدم والملاحم الخالدة بحيث إنّ البشرية ما برحت تتزود من قبس ذلك النور حتى يومنا هذا. هذا في حقبة كان فيها العالم يرزح تحت ظلمة الجهل المطبق.

تلك تجربة، كلما ابتعد المسلمون عن مبادئ دينهم، وتضاءل اهتمامهم برسالة خاتم الأنبياء ﷺ وهو نبيّهم، تشابكت عليهم مسالك الحياة وصعُبت، على مرّ العصور[١].

حقيقة يوم البعثة

إنّ يوم البعثة في حقيقته يوم خفقت فيه راية رسالة راقية فريدة في خصائصها بالنسبة للبشرية؛ فالبعثة هي التي رفعت في الواقع بيرق العلم والمعرفة حيث انطلقت بنداء ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾[٢]، وتواصلت بأمر الله تعالى ﴿**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[٣]؛ أي إن الدعوة سارت مقترنة بالحكمة.

إنّ الدعوة الإسلامية تمثل في حقيقتها بسط الحكمة ونشرها في ربوع المعمورة وعلى امتداد التاريخ؛ والبعثة تعني الإمساك براية العدالة ورفعها، أي استتباب العدالة في أوساط المؤمنين وعباد الله وبين أبناء البشرية، كما أن الرسالة تعني حمل راية الأخلاق الإنسانية السامية «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٤]؛ والباري يوجه خطابه لنبيّه قائلاً: ﴿**وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين**﴾[٥]، وهكذا فقد اكتنزت هذه البعثة كل ما يحتاجه البشر على مرّ الأزمنة وفي ظل شتى الظروف وأينما حلّوا من العالم؛ من علم

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٨ هـ.

(٢) سورة العلق: ١.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) مكارم الأخلاق: ٨، والبحار: ١٦ / ٢١٠.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٧.

ومعرفة، وحكمة ورحمة، وعدلٍ وأخوّة ومساواة، ومقومات أساسية يتوقف عليها مسار الحياة الإنسانية السليمة، حتى الجهاد الذي شرّعه الإسلام، والجهاد هنا يعني مقارعة الغطرسة والعدوان؛ ولقد وصف البعض، بدافع نواياهم السيئة، الإسلام على أنه دين السيف لما يتضمنه من حكم الجهاد! في حين يصّرح الإسلام: **﴿وإن جنحوا للسّلم فاجنح لها وتوكّل على الله﴾**[1]؛ أي أنه يرجّح السلم على الحرب إن اقتضت الظروف[2].

إنّ البشرية اليوم بحاجة إلى هذه التعاليم، غير أن التقصير هو تقصيرنا نحن المسلمين وعلينا الإقرار به، وهو يتمثل أولاً بعدم طرح معارف الإسلام الحقيقية على المستوى العالمي، وثانياً بعدم تقديم الأنموذج الصحيح عن الإسلام وعن هذه التعاليم أمام العالم؛ فلو نظّم المسلمون أعمالهم وسلوكياتهم الاجتماعية والفردية وأطرهم الحكومية والسياسية بما يتّسق وهذه التعاليم لكانوا قد مارسوا أرقى أنماط التبليغ للإسلام، الذي لاشك في أنه أصبح هدفاً لسهام الدعاية العالمية بكل تعقيداتها، ولقد شاهدتم استغلال أرباب القنوات الاعلامية للفرصة التي أتيحت أمامهم في غضون الحوادث التي شهدتها المدن الأمريكية لإلصاق التهم بالإسلام، فهؤلاء لا يضيعون فرصة أبداً. إنها ـ بطبيعة الحال ـ خطيئة بقيت تبعتها وسوأتها وشنارها تلاحق دهاقنة السياسة في الكثير من الدول الغربية؛ فلقد تحدثوا وعملوا بنحو عرّضوا معه

(١) سورة الأنفال: ٦١.

(٢) وذلك عندما فزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظروا إلى كثرة قريش وقوتهم فأنزل الله على رسوله (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل علي الله) وقد علم الله أنهم لا يجنحون ولا يجيبون إلى السلم وإنما أراد سبحانه بذلك ليطيّب قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش ، فقال: يا معشر قريش ما أحد من العرب أبغض إلي ممن بدأ بكم خلوني والعرب فإن أكُ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً وإن أكُ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا، فقال عتبة: والله ما أفلح قوم قط ردوا هذا (تفسير القمي – علي بن ابراهيم القمي : ١ / ٢٦٣).

مواطنيهم المسلمين الأبرياء الآمنين للإتهام. والأدهى من ذلك توجيه الإتهام للإسلام بما يمثله من شمس للمعرفة والنور والصفاء والرحمة! وعلى أية حال فالبشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام[1].

حقيقة البعثة ومعناها السامي

البعثة قضية عجيبة جداً ومهمّة، وفيها الكثير، وجديرة بالدراسة والتأمل والدقّة.

من الطبيعي أنّ بعثة جميع الأنبياء كانت على هذه الشاكلة، فكلهم قد اجتازوا مرحلة مهمّة من الاختبار بشأن البعثة. وحصل انجاز عظيم في بعثة موسى وعيسى وابراهيم، والأنبياء الكبار الآخرين عليهم السلام، لكن لبعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله خصائص لا يمكن العثور على نظير لها.

إنّ ينبوع البعثة الذي انبثق في مثل هذا اليوم في قلب الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلم) له مسار بالغ الأهمية. أي أنّ القضية ما انتهت عند ذلك الحد حيث سطع نور إلهي وأشرق في قلب إنسان ممتاز وبارز واستثنائي؛ هذه هي الخطوه الأولى وبداية المهمة. ولاشكّ أنّ هذا أهم جوانب القضية. فإشراقة هذا النور في قلب الرسول وتحمله لمسؤولية الوحي تعكس بشكل صريح ذلك البعد الذي يربط الخلقة وعالم وجود الإنسان والعالم المادي بمعدن الغيب. وها هنا حلقة الوصل.

ومع أنّ البركات الإلهية متواترة طوال هذه المسيرة ـ التي سنعرض لها بالقول ـ على البشرية وعلى هذا الدرب، لكن حلقة الوصل تتلخص في لحظة البعثة التي انسابت وسرت من عالم الغيب، من منبع الحقائق الإلهية، من منبع البعثة ـ وهذه الكلمة كافية

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤٢٢هـ ـ طهران.

بحد ذاتها ـ إلى الروح المقدسة للنبي واتصلت بقلبه الشريف. إذن فالخطوة الأولى هي حصول تلك البعثة.

انفتحت أبواب من الحقائق أمام هذا الإنسان الملكوتي، وبدأ هو بما لديه من استعداد لأداء الإمتحان والنهوض بهذا الثقل وتحمل مشاقّه ومصائبه، حركته الكبرى منذ تلك اللحظة الأولى. لهذا فقضية البعثة تختلف عن قضية التعليم، أي أنّها أكبر من التعليم. إنّ مائدة التعليم والتربية الإلهية مبسوطة على الدوام طبعاً أمام الأنبياء والأولياء، وحقيقة ﴿**وعلم آدم الأسماء**﴾[1] قائمة حتى الأبد.

تعلُّم وتأديب الأنبياء

تعلُّم وتأديب الأنبياء بصفتهم تلاميذ خاصين للوجود الأحدي، أمر واقع؛ إلّا أن في البعثة شيئاً آخر إضافةً على ذلك التعليم، في البعثة تعليم، وتهذيب وتزكية أيضاً، وفيها كذلك إتيان الكتاب والحكمة، ولكن لا ينتهي الأمر إلى هذا؛ بل هناك شيء آخر؛ ألا وهو الانبعاث والبعثة.

هذا الإنسان يُبعث من أجل استثمار ما أُوتي من طاقة بغية إيصال الإنسانية إلى المنزلة المنشودة. أي أن يبدأ بالحركة. وهذا هو معنى البعثة. بعد أن تبدأ الخطوة الأولى وتشرع هذه الحركة باتصال الوحي الإلهي بقلب الرسول، وبتحمّله للوحي الإلهي، يبدأ حينذاك تحقق مضمون البعثة على الصعيد الخارجي، وهو مضمون جديد يراد به بناء عالم جديد، وهدم الأسس الباطلة القائمة على الظلم والعدوان، وهو ما يتطلب المجابهة والمواجهة.

---

(١) سورة البقرة: ٣١.

النهوض والمواجهة

وعلى هذا فالخطوة الأولى من بعد البعثة هي النهوض والمواجهة والتحرك. فلم يستطع أي نبي طي هذا الطريق وإيصال الحمل إلى غايته، وإبلاغ الرسالة للناس من دون مواجهة، فالناس الذين تنبثق البعثة من بينهم وفي أوساطهم وبين ظهرانيهم لا يقبلون ـ بسهولة ـ بالوضع الجديد الذي توجده البعثة. ومن هنا تبدأ محاربة الأنبياء. والأنبياء بما يحملونه من ثقل الأمانة وبما ينطوون عليه من الحق، هم أكثر الناس أعداءً.

وقد شهدت البعثة هذه الخصومات منذ يومها الأول، وبدأ النبي جهاده منذ اليوم الأول أيضاً، واستمر حتى لحظة وفاته ولمدّة ثلاث وعشرين سنة. اُنظروا كم كانت تلك السنوات ـ الثلاثة والعشرون ـ حافلة بالبركة.

ثلاث وعشرون سنة ليس عمراً طويلاً ولا زمناً مديداً. فأنتم تلاحظون أنّ الكثير من الأشخاص لا يُفلحون طوال ٢٠ أو ٢٣ أو ٢٥ سنة في إنجاز عمل يستحق الذكر، والحياة تنقضي عادة بالانهماك في الشؤون الشخصية. وإذا نظرتم إلى العظماء، سواءً العلماء أو الفلاسفة أو الساسة، ولاحظتم مدى عملهم طوال فترة كهذه ـ أي ثلاث وعشرين سنة، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما بينهم من تفاوت في القدرة والاستيعاب ـ لايبدو من المؤكد أنهم قادرون خلالها على إنجاز أعمال كبرى.

ولكن انظروا إلى بركات وعطاء هذه السنوات القلائل، وهي السنوات المباركة الثلاثة والعشرون التي قضاها النبي الأكرم في عهد بعثته، كم كانت هذه البركات كثيرة! إذ استطاع أن يشيد خلالها وفي قلب الجاهلية وذروة عصور الجهل في العالم ـ لا في منطقة فحسب، بل في قرون من جاهلية البشرية، وتراكم ظلمات الجهل ـ إستطاع أن يشيد صرحاً شامخاً، ويُبرِق جذوره نور، أضاء له التاريخ سواء السبيل.

كانت بداية هذا الطريق في السنوات الثلاثة عشر الأولى من حياة الرسول، إلى أن انتهت باقامة الحكومة. إذن فالخطوة اللاحقة هي إيجاد النظام القائم على هذا الفكر وعلى جوهر البعثة.

يُستفاد من هذا، بكل وضوح، خطأ قول القائلين بفصل الدين، وخاصة الدين الإسلامي، عن الحكومة.

ولا شكّ أنّ جميع الأديان متشابهة مع بعضها في هذا الجانب.ولكن مثل هذا الإدعاء وفي شأن الإسلام، إدعاء كهذا ـ فصل الإسلام عن الحياة، وعن السياسة، وعن إدارة البلد، وعن الحكومة ـ أمر يثير الدهشة. لقد سار الإسلام منذ اليوم الأول لظهوره، وبجهاد مرير، صوب إيجاد نظام واحد ومجتمع واحد. واستطاع الرسول بعد ثلاث عشرة سنة من الجهاد أن يقيم هذا النظام ولكن ليس في مدينته وفي مركز انبثاق هذه البعثة، بل في موضع آخر من العالم الذي كان فيه.

إيجاد نظام ومركز قوة

الخطوة التالية من بعد ذلك الجهاد الطويل هي إيجاد جو ونظام قائم على أساس هذا الفكر. وإذا لم يكن ثمة نظام وثمة قوة تساند الفكر الإلهي والإسلامي، لا يمكن بسط الأحكام والمفاهيم الإلهية وإشاعتها في حياة الناس. على العكس تماماً من النظرة المنحرفة مِن أنّه إذا توفرت أسباب القوة للدين، فسد الدين!

كلا؛ فالقضية على العكس. والدين إذا اقترن بأسباب القوّة يتاح له التوسع والانتشار ويتسنى له بلوغ الأهداف والتطلعات الدينية، وإنجاز الآمال والشعارات التي يدعو إليها. وهذه لاسبيل لبلوغها بدون توفر أسباب القوّة، ويتيسر تحقيقها في ضوء وجود عنصر القوّة.

هل تتصورون ـ مثلاً ـ إمكان تحقيق العدالة الإجتماعية بالنصيحة والدعوة

والرجاء؟! وهل من الممكن تطبيق العدالة الإجتماعية، والقضاء على التمييز، وتسهيل سيادة القانون على صعيد المجتمع من جهة، وعلى صعيد العالم من جهة أخرى، بدون وجود أسباب القوّة؟!

إنّ كلمة الحق إذا قيلت في هذا العالم، لا تتوانى القوة الكبرى عن حطّها وتمزيقها إن وجدت في نفسها القدرة على ذلك. وهكذا كان الوضع على مر الزمن والقضية لا تختص بوضعنا الحالي؛ إذ تلاحظون حيثما يرتفع صوت الإسلام والفكر الإسلامي، تشرئبُّ أعناق المستكبرين والرأسماليين وأصحاب الشركات الكبرى على الفور لمعرفة ما يجري خشية أن يكون ثمة خطر يهدد مصالحهم.

هكذا كان الحال على الدوام، فمتى وأينما نطق لسان بالحق أو عزم قلب كبير أو روح كبيرة أو إنسان عظيم على إيصال كلمة الحق هذه إلى الأسماع، ترتفع بوجهه بغتةً أسوار وجدران، وتنبري له القبضات الحديدية من الأعداء مصطفة أمامه في خندق واحد. ولاشكّ أنهم سيُهزمون؛ فالباطل ينهزم أمام الحق بالتأكيد. وإذا صمد الحق فالباطل مهزوم لاريب.

والمقصود هو، أنّه لا يمكن تطبيق الأفكار والتطلعات والآمال الدينية، أو أية تطلعات وأهداف أخرى، بدون سند من القوّة. نعم بعض القضايا يمكن تحقيقها بالنصح وبالكلام الطيب.

وعلى هذا فالأنبياء كانوا يستهدفون إقامة الحكومة. وأوضح الأمثلة على ذلك هو رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله الذي سعى وجاهد منذ اليوم الأول وكرّس مساعيه لإقامة النظام الإسلامي حتّى تسنّى له تحقيقه فيما بعد في يثرب، وظل يذود عنه ويوسّع نطاقه، واستمرت هذه الحركة سنوات طويلة.

إذن فالخطوة اللاحقة هي إقامة الحكومة، لكن إقامة الحكومة ليست هدفاً بحد ذاتها، وهذه هي النقطة الجوهرية، بل الحكومة أداة لتحقيق التطلعات. فإذا ما أُقيمت

الحكومة ولم تبادر لتحقيق التطلعات فهي حكومة منحرفة. هذه قاعدة عامة ومعيار واضح.

قد يطول تحقيق الأهداف لسنوات متمادية، وقد تعرقلها الموانع والمعوقات، إلّاأنّ توجهات الحكومة ومسار هذه القوة لابد وأن يصبّ في مجرى الأهداف والآمال التي رفعت وترفع شعاراتها، والتي وردت في نص القرآن والأحكام الإسلامية. وإذا لم تكن في هذا الإتجاه فهي حكومة منحرفة قطعاً. المعيار هو بسط العدالة الاجتماعية وإرساء أسس نظام يستند إلى القانون، وسيادة الأحكام الإلهية في كل مكان.

إذا سادت الأحكام الإلهية وظهر نظام قائم على الإسلام وتحققت العدالة الإجتماعية، فقد أنجز ـ لهذا الحد ـ هدف متوسط، أو قُطع في الحقيقة شوط من الطريق.

إتمام مكارم الأخلاق

والمرحلة التالية هي أن يجد الناس ـ الذين يعيشون في ظل هذا النظام بأمن ورخاء وينعمون بعدل الحياة ـ فسحةً وفرصة للتخلق بالأخلاق الحسنة، مشتاقين وساعين إليها.

يجب أن يتخلق الناس بالأخلاق الحسنة. ومن الطبيعي أن التخلق بالأخلاق الحسنة يوجب التسامي والتكامل المعنوي والنفسي والمعرفة الأفضل، وهذا من مراحل الإنسان الكامل ـ ونحن غير قادرين على إدراك ذلك بشكل صحيح، وإنّما يسمع الإنسان أشياء من الأكابر وأهل المعرفة ـ المرحلة المتعلّقة بنا حالياً هي مرحلة الأخلاق.

ولقد كان حقاً ما قاله الرسول: **«إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»** . وهذا الحديث

منقول من طرق الفريقين؛ نقله الشيعة والسنّة[١].

هذه كلمة «إنّما» ذات مغزى كبير. أي أنّ جوهر بعثتي لهذا الغرض. هذا هو الهدف، وما سواه مقدمة. لأتمم مكارم الأخلاق بين الناس ولدى أبناء المجتمع. لتبلغ الأمة مرحلة الكمال والنضج، ويتحلى الجميع بمكارم الأخلاق لنبلغ مرحلة الإنسانية.

يجب أن يكون كل منا إنساناً. يجب أن نقوّي ونكمل الأخلاق الإنسانية في ذواتنا. وهذه هي الخطوة اللاحقة، وهي ذات أهمية كبرى. فإذا بقينا بعيدين عن الأخلاق في مجتمع إسلامي وفي نظام يقوم على مبادئ الإسلام، وبقينا نلهث وراء النزوات والأنانية والشهوة، وكل منا يسعى للحصول على مزيد منها ليأكل أكثر ويعيش حياة أكثر رفاهية، ويتكالب على هذا وذاك، وإذا استدعى الأمر يستولي على حق الآخرين، وإن لم يكن إيثار ولا تضحية، فأيّة حكومة هذه؟! وأي إسلام، وأي مجتمع إسلامي؟!

هذا هو أساس القضية. «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢].

إعلموا يا أعزائي إنّ عالم اليوم بحاجة إلى هذا. وممّا يؤسف له أنّ العالم المادي محروم من هذه الخاصيّة بالمرّة!

وأمّا الأخلاق الإلهية والمكارم الأخلاقية فقد وضحتها وفصلتها الشريعة الإسلامية المقدسة، سواء ما يتعلق منها بالإنسان ذاته كالصبر، والشكر، والاخلاص، والقناعة، أو ما يتعلق منها بصلاته مع الآخرين كالتسامح، والتواضع، والإيثار، وتكريم الناس، أو ما يتعلق منها بعموم المجتمع الإسلامي.

للأخلاق الإسلامية مجال واسع. وهي تلك الأمور نفسها التي تركّزت معظم جهود الأنبياء عليهم السلام والأولياء والشخصيات الكبرى في الأديان الإلهية، وكذا في الإسلام

---

(١) مكارم الأخلاق: ٨، والبحار: ١٦ / ٢١٠، ميزان الحكمة: ١ / ٨٠٤، وكنز العمال: ١١ / ٤٢٠ ح ٣١٩٦٩، والبداية والنهاية: ٦ / ٤٠.

(٢) مكارم الأخلاق: ٨، والبحار: ١٦ / ٢١٠.

تركزت جهود الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام على بنائها. ولاشكّ أنّ هذه الأمور لا تنال في ظل الحكومات الجائرة إلّا بشق الأنفس، كما ذكرنا من قبل.

في الأنظمة التي يقوم أساسها على الباطل والظلم وعلى المادية ـ كحكومات الطواغيت في العالم ـ من الطبيعي أنّ مثل هذه الأشياء لا يمكن بلوغها بسهولة، ولكن يمكن تحقيقها في ظل النظام الإسلامي بكل سهولة، وهذا ما يحتاجه العالم اليوم.

درس من حقيقة البعثة

على مجتمعنا القيام بحركة أساسية كصيغة مكملة للثورة الإسلامية الكبرى، وهذه الحركة الاساسية ذات مرحلتين: إحداهما إقرار النظم وإشاعة الأخلاق الإسلامية، كقيم كبرى بين أبناء مجتمعنا، أي أن يكون لها أهميتُها وشأنُها؛ بعد أن كانت قد سقطت عن درجة القبول في عهد الحكومات الطاغوتية التي حكمت بلدنا. فالشخص الصادق في اقواله يُعدُّ ساذجاً لدى قصيري النظر، إنّه صادق، فيقول ما يعلم، ولكنهم يعتبرون مَن لا يقول الصدق، ويقلب الحقائق ويتحايل، يعتبرونه ذكيّاً فهيماً. هذا هو قلب القيم. هكذا كان الوضع على مدى حكم الطواغيت وحكومات الملوك الظلمة الجائرين الفاسدين المعادين للأخلاق. وممّا يؤسف له أنّ البنية الأخلاقية في بلدنا قد تلقت ضربات كثيرة.

لقد ساعدت الحركة الثورية على ارساء الأسس الأخلاقية والركائز الداخلية والروح الأخلاقية في مجتمعنا وأعادت لها الحياة، ولكن لابدّ من بذل الجهود. هذه هي الخطوة الأولى.

أمّا المرحلة الثانية فهي أن تنقلوا هذه القيم إلى العالم؛ فعالم اليوم بحاجة لها. والإنسانية تعاني اليوم على الصعيد العالمي من فقدان الأخلاق، وبإمكان الإسلام والمسلمين تقديم أفضل هدية أخلاقية للشعوب وللبشرية.

مع الأسف إنّ أكبر جرائم الاستكبار العالمي اليوم هي الكذب، والخداع، والتحايل، وإشاعة نزعة الباطل من خلال سلوكهم في العالم. وأنتم ترون اليوم أشخاصاً في الحكومات المتجبّرة في العالم ـ وعلى رأسها أمريكا ـ ارتكبوا أكثر حالات الإرهاب في أرجاء العالم.

ونقل في الآونة الأخيرة أنّ أحد الساسة الأمريكيين كشف عن أنّ أعمال القتل وخطف الأشخاص في غواتيمالا ـ والتي لفتت إليها أنظار العالم ـ كانت من عمل وكالة الاستخبارات الأمريكية . نعم التي اغتالت المعارضين السياسيين الواحد تلو الآخر وقضت عليهم. وقد بدأت هذه القضايا تتكشّف اليوم.

لقد ارتكبوا القتل والاغتيال والانقلابات وغيرها من الممارسات البشعة في كل بقعة من العالم وخاصة في أمريكا اللاتينية وفي الكثير من بقاع العالم الأخرى. وفي إيران شاهدنا بأنفسنا ما فعلوه هنا، وهكذا الحال في المناطق الأخرى.

لقد دافعوا عن أبشع الإرهابيين في العالم، ومنحوهم اللجوء، وبادلوهم علاقات الود، وكرّموهم، وقدموا لهم ـ ولازالوا ـ المعونات المادية. وساندوا وقدموا أكبر العون لإسرائيل، وهي دويلة قائمة على الإرهاب ومبنية على الغصب والظلم والعدوان، وهم يدعمونها علانية، ولا يدعمون أصدقاءهم العرب بقدر ما يدعمون إسرائيل. وأمريكا لا تساند الدول التي تعتبر صديقة تقليدية لها مثلما تساند إسرائيل. وفي الواقع إنّ صديقها الحقيقي هو إسرائيل وهي تفضّلها على جميع الدول، في حين أن اسرائيل دولة قائمة على الإرهاب.

لقد اعتمد هذا الكيان منذ أول يوم ظهر إلى الوجود، أساليب الارهاب، واغتيال المعارضين، والكذب، والظلم، وتدمير الإنسان، والقتل الجماعي. هذه هي مساندتهم للإرهاب. وفي الوقت نفسه نرى أمريكا اليوم ترفع لواء مكافحة الإرهاب!!

لاحظوا، هذا هو الكذب والخداع، وهذا هو الابتعاد عن الأخلاق، وافتقار البشر

للأخلاق! وهذا أشد مرارة وإيلاماً من أي شيء آخر في العالم هو أن يرى المرء ألدّ أعداء الفضائل يدّعون القيم والفضائل.

العالم بحاجة إلى الرسالة التي تنادون بها، والحقيقة التي تحملونها، والطريق الذي تسلكونه، وإلى القرآن، وإلى البعثة التي تحظون بها، إلّا أنّه لا يمكنكم أن تنقلوها وتعلموها الآخرين إلّا بعد أن تعلموها وتعرفوها وأنتم أنفسكم، فنكون قد تعلمناها مسبقاً وعملنا بها.

يجب أن تبدأ ببركة هذا اليوم وواقعة البعثة حركة جماهيرية عظمى، يهب فيها الخطباء والمثقفون ومن بيدهم وسائل الاعلام، وغيرهم لتعليم وإشاعة الأخلاق بين الناس؛ ليكون الله ايضاً عوناً لكم، وليرضى قلب صاحب الزمان عنكم وعنّا، وتكون الهداية الإلهية معنا بإذن الله، ولتحظى روح إمامنا الكبير (رحمة الله عليه) من هذه الحركة بالفيض والرحمة[1].

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٧ رجب ١٤١٧هـ

أهداف البعثة الشريفة

١ ـ التذكر والإيمان بالغيب

الهدف الأول للبعثة الشريفة هو إيجاد حالة باطنية وروحانية ونفسانية في توجيه باطن الإنسان نحو اللّه. أي الإيمان والتوجّه نحو ربّ العالمين، أو بتعبير الكثير من الآيات القرآنية «الذكر» . فما يهبه الباري تعالى للناس عن طريق البعثة هو الذكر والتذكّر، ولا يتحقق أيّ من أهداف بعثة الأنبياء ما دام هذا الأمر غير متحقّق **﴿إنّما تنذر من اتّبع الذكر﴾**[1]، فمن يوجد في نفسه حالة التذكّر هذه ويتّبعها فهو مهيّء للإنذار والإصلاح والإرشاد والتكامل والجهاد في سبيل الأهداف الاجتماعية.

ولو غفلت البشرية عن المعنويات، أصبحت جميع أبواب الصلاح والإصلاح مغلقة بوجهها كما هو العالم المادي اليوم .

إنّ مفتاح جميع الإصلاحات والسعادات في العالم المادي اليوم هو توجّه الناس إلى أنفسهم والتذكّر والبحث عن هدف الخلق وعمّا هو وراء هذه المظاهر المادية للحياة أي الأكل والنوم والشهوات والسلطة وحبّ المال وأمثالها. فجذور الفساد هي عدم التوجّه إلى الباطن الحقيقي للعالم، وهذا هو رمز ومعنى وجوهر الحياة، أي التوجّه إلى المبدء وإلى التكليف والإصغاء إلى أوامر مبدءٍ حاكم قادر له سلطة غيبية، وبتعبير القرآن الإيمان بالغيب **﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾**[2]، غير غارق في المظاهر

---

(١) سورة يٰس: ١١.

(٢) سورة البقرة : ٣.

المادية للحياة، فالحياة ليست الأكل والنوم والشهوات والميولات الإنسانية والسلطة والرئاسة وأمثالها.

وتعدّ هذه أوّل هدية لبعثة الأنبياء إلى الناس وأوّل هدف للنبي صلى الله عليه وآله، أي التذكّر والإيمان بالغيب.

٢ ـ إيجاد بيئة سليمة لحياة الإنسان

والهدف الثاني الذي سعى إليه النبي صلى الله عليه وآله ومنذ اللحظة الأولى إيجاد بيئة سليمة لحياة الإنسان. بيئة لا يسودها الظلم، ولا يسحق فيها القوي الضعيف، ولا يشعر الضعفاء بالفشل المطلق، ولا يحكمها قانون الغاب، أي ما يطلق عليه في مفاهيم القرآن والأحاديث بالقسط والعدل. أي العدالة، الأمل والهدف الكبير للبشرية منذ بدء التأريخ البشري حيث بدأ التعقّل والتفكير الإنساني وترتيب الحياة وإلى يومنا هذا ـ مثلما يطرح هذه الأيام شعار الصلح، طبعاً الصلح شيء جيد جداً إن كان عادلاً، فطالما تنتخب الحرب لتحقيق العدالة ـ.

العدالة الإجتماعية

إذن العدالة أسمى وأهم من الصلح، وأقبح صورة لحياة البشر على طوال التأريخ تتحقق بفقدان العدالة، وهي ما تشاهدونه اليوم في مناطق مختلفة من العالم. فجميع المآسي التي تعاني منها المجتمعات البشرية سببها الظلم والإجحاف، وقد يكون ظاهر الأمر شيئاً لكن باطنه شيءٌ آخر. فعلى سبيل المثال لو رأيتم الأطفال في بقعة من العالم يموتون جوعاً، فظاهر القضية هو عدم هطول الأمطار ووقوع الجفاف، لكن واقع القضية شيء آخر وهو فقدان العدالة، فلو كانت العدالة حاكمة هناك من الأجيال السابقة، ولو كانت العدالة حاكمة في الحياة البشرية، لاستطاع الآباء ـ في ظل استقرار

العدالة ـ بناء حياة يمكن العيش فيها، ولما واجه الأطفال والجائعون هذا اليوم، ولما أصبحت الحياة دنيئة وكريهة إلى هذه الدرجة، لكن نتيجة فقدان العدالة تعاني الإنسانية من هذه الآلام والأمراض.

فأوّل هدف للأنبياء إلى جانب الذكر هو استقرار العدالة. وهذان هدفان رئيسيان ـ طبعاً الذكر أهم، فهو الأصل والأساس، فإنْ حدث الغفلة فلا تجدي حتى العدالة بعد ذلك شيئاً ولا تتحقق أيضاً. لهذا فقد رأيتم الأنظمة التي رفعت شعار العدالة الإجتماعية، لم تستطع تحقيق شيء من العدالة الاجتماعية في مجتمعاتها، نعم حققت أشياء أُخرى، كارتياد الفضاء، وصناعة الصواريخ العابرة للقارات، لكنّها عجزت عن تحقيق العدالة الاجتماعية؛ لأنّ العدالة الاجتماعية تتحقّق في ظل إصلاح البشر وإصلاح النفوس والبواطن، وفي ظل الذكر والتوجّه إلى اللّه، واستطاع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تحقيق هدفيه هذين ولَو على نطاق محدود، وبنى مجتمعاً ذاكراً واعياً تسوده ذروة العدالة الاجتماعية ، وقد يظلم شخص في ركن من هذا المجتمع، لكن هذا لا يعتبر ملاكاً لفقدان العدالة الاجتماعية. إنّما الملاك في وجود العدالة الاجتماعية أو عدمه هو استقرار العدالة الاجتماعية الحاكمة.

فالمجتمع الذي يسوده قانون عادل، وتحكمه حكومة عادلة وحاكم عادل والهدف هو تحقيق العدالة ستكون حركته العامة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية، وسيتحقق ذلك عاجلاً أم آجلا.

والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أوجد هذه الحالة ولم يتحمّل ويقبل أدنى ظلم، بل قدّم نموذجاً للعدالة الاجتماعية، ورأينا لفترة بعد حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المباركة آثار تلك التربية في المجتمعات الإسلامية، كما رأينا تلك العدالة المطلقة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام في شخص الحاكم المطهّر والعظيم للعالم الإسلامي.

درس من أهداف البعثة

إنّنا عندما نحتفل بالبعثة النبوية فلأجل إحياء هذه الخصوصيات، وتخليد ذكرى الشخصيات والنَّهج والحوادث إنّما لاستخلاص الدروس منها.

فحركة الشعب الإيراني العظيمة من أجل رسالة البعثة هي التي رفعت رأسه عالياً. فالأعداء يتكلّمون ـ والأغلب كذباً ـ ضدّنا، إلّا أنّ أيّاً منهم لا يستطيع إنكار هذه الحقيقة وهي أنّ ثورة الشعب الإيراني كانت من أجل إحياء القيم الإسلامية ورسالة البعثة النبوية الشريفة، وهو الشيء الذي جعل شعبنا صامداً في هذا الطريق حتى اليوم، وهذا يعدّ فخراً لنا.

إنّ المجتمع الإيراني المسلم ليس غافلاً اليوم؛ بل الشعب ذاكر متذكّر باحث عن الحقيقة وفي طريقها، ويعير أهمية للقيم الإلهية والمعنوية، يضحّي بالماديات في سبيل المعنويات لا المعنويات في سبيل الماديات، وهذا هو السلوك العام للمجتمع. وأساس عمل المجتمع الإسلامي هو ﴿**ليقوم الناس بالقسط**﴾[1]، والهدف هو القسط والعدالة الاجتماعية، وإذا تمّ تحقيق هذا الهدف فسوف يبلغ المجتمع الصلاح والعمران والفلاح الحقيقي.

التطور العلمي لا يحقق العدالة الإجتماعية

إنّ الأنظمة الرأسمالية قد ذهبت وراء العمران والإعمار والتطوّر العلمي والصناعي في دولها دون الاهتمام الجادّ بأصل العدالة الاجتماعية، طبعاً استطاعت تحقيق الكثير من الأهداف التي كانت وراءها، فقد اكتسبوا العلم والحياة الهانئة والتكنولوجيا المتطورة، وكماليات الحياة، والقدرات العسكرية، وهذا وعد إلهي، فقد وعد الباري

(١) سورة الحديد: ٢٥.

تعالى كل شعب بلوغ الهدف الذي يتحرّك من أجله بجدّية.

وهؤلاء تحركّوا بجدّ، وبلغوا من مظاهر الحياة بمقدار ما سعوا من أجلها كالثروات والقدرات العسكرية والعلمية، لكن رغم ذلك فإنّ حياتهم لم تصبح سعيدة، ولم تزل آلام البشرية هناك، ولم يستطيعوا إلغاء الطبقية، فالثروات الموجودة هناك يستغلّها البعض فقط، ولم يستطيعوا إقامة العدالة الاجتماعية، بل لم يستطيعوا تأمين الراحة الحقيقية والنفسية والحياة السعيدة حتى للذين يتمتّعون بحياة هانئة. بل هي تعاني من شتّى أنواع المآسي والمشاكل، بالطبع البعض منها تظهر مباشرة والأخرى بعد فترة، وقد حان موعد بروز تلك المشاكل في الغرب ـ فإنّها لم تكن هكذا قبل ٣٠ إلى ٤٠ عاماً ـ وقد بدأ الغرب يعاني منها أمّا النظام الإسلامي القائم في إيران على أساس البعثة فإنّما هو لأجل إيصال البشر إلى السعادة، ولا يتمّ ذلك إلّا بتلكما الخصوصيتين (من الأهداف) ، ولو تمّ ذلك، فلا أثر لمعاداة وخصومة الأعداء بعده. فالكثير متحيّرون أنّ ماذا حدث؟ فعندما كان العالم يحكمه قطبان وقوتان عظميان لم يستطيعا إلحاق أي ضرر بالجمهورية الإسلامية رغم معاداتهما لها واليوم بعد اندثار إحدى القوّتين، فلن تستطيع أمريكا مع أذنابها من الدولة المتقدّمة أو الضعيفة التي وقفت إلى جانبها عن ذلّ وهوان ـ مهما حاولت ـ في توجيهها ضربة عملية إلى الجمهورية الإسلامية.

والسرّ في ذلك هو إيمان أبناء الشعب بالدين وتمسّكهم به وتجلّي المعنوية في حياتهم وحركتهم نحو تحقيق العدالة. طبعاً العدو يعربد ويهدّد ويعمل ضدنا كثيراً إلّا أنّه لا أثر لذلك. لأنّ هناك فرقاً بين نظام منقطع عن شعبه وشعب لا يهتم بالمعنويات، وبين شعب متحدّ على علاقة وثيقة بنظامه وحكومته.

والشعب الإيراني يعتبر الحكومة ورئيس الجمهورية منه، ويحبّهم أكثر من أبنائه أحياناً ويحب ممثلّي المجلس ورؤساء القوى الثلاث ويعتبرهم منه، ويتمتع بالإيمان والمعنوية، ومثل هذا الشعب وهذه الحكومة لا يمكن مقارنتهما بذلك النظام المنقطع

عن شعبه، وذلك الشعب الذي يفقد الروحية والمعنوية. إذن لا أثر لهذه التهديدات.

لقد وصل المسؤولون الأمريكيون بتهديداتهم ضد حكومة وشعب إيران حدّ الخفّة والبلاهة وقاموا بطرح مواضيع يرفضها ويستهين بها الرأي العام العالمي، لقد تكلّموا عبثاً وطلبوا من الكونغرس الأمريكي تخصيص ميزانية للقيام بعمليات التخريب ضد الجمهورية الإسلامية. فهل لم تُنفّذ عمليات تخريبية ضد الجمهورية الإسلامية إلى الآن؟ وهل لم يَذُقْ عملاؤهم المخرّبون الضربات الحديدية للشعب الإيراني حتى يعاودوا ذلك مرة أخرى؟

من البديهي أنّ النظام الإسلامي والشعب الإيراني سيردّان بحزم وقوة على أصابع العمالة الأمريكية أو أية قوة معتدية متى شعرا بنيّتهم القيام بعمليات تخريبية.

فالشعب متواجد في الساحة ويتمتع بالحيوية واليقظة والاستعداد، وكل مسؤولي النظام الإسلامي الأعزاء، ورؤساء القوى الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية ونوّاب المجلس والمسؤولون في القطاعات المختلفة، والقوى العسكرية والأمنية من الجيش والحرس يعملون لمثل هذا الشعب الذي يتمتع بهذا الإيمان والعزيمة، حيث ورد في دعاء اليوم السابع والعشرين من رجب «**وقد علمت أنّ أفضل زاد الراحل إليك عزمُ إرادةٍ يختارك بها**»(١) فهذا العزم وهذه الإرادة اللّذان يختار بهما الله هما أساس الأعمال. والشعب الإيراني يتمتع بهاتين الميزتين(٢).

٣ـ الكمال الفردي الروحي والرقي والاصلاح الإجتماعي

لقد كانت بعثة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حركة عملية لإيصال البشرية إلى الكمال الفردي والروحي والمعنوي من جهة، ورُقي الحياة الاجتماعية وإصلاح المجتمعات من جهة

---

(١) ميزان الحكمة: ٣ / ١٩٦٨، مصباح المتهجد: ٨٢٥.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٦ هـ.

أخرى. فما وهبه الباري تعالى في بعثة النبي ﷺ للناس لم تكن بعض المفاهيم الجامدة أو طريق لا عابر ولا يمسك أحد بزمام أمور الناس فيه، بل تحقّقت البعثة في وجود النبي العظيم ﷺ، ثمّ في أرواح ونفوس وأعمال المؤمنين بهذه الرسالة منذ الوهلة الأولى، كما تلقّت الجاهلية الضربات منذ اللحظة الأولى. وهذه هي خصوصية بعثة الأنبياء وليست مختصة ببعثة النبيّ الخاتم ﷺ. فالأنبياء متحرّكون، وما يعلّمونه للناس، يبّينونه عملياً، وهم أوّل من يسلك هذا الطريق.

فـ﴿**يُعلّمهم الكتاب والحكمة**﴾[1]، فرع لذروة العلم والحكمة في الوجود المقدّس للنبيّ الأكرم ﷺ و﴿**يزكّيهم**﴾، فرع لبلوغ التزكية في ذلك الوجود المطهّر ذروتها، وبهذه الطاقة يمكن للنبيّ ﷺ إرشاد العالم نحو التزكية، وهذا هو الشيء الّذي يجهله زعماء مختلف المذاهب وأصحاب النظريات الفلسفية والاجتماعية السياسية المختلفة، فأولئك يتصوّرون ويفهمون شيئاً في أذهانهم، ثم يفرضونه على الناس، فيتعلّمه البعض والآخر لا يتعلّمه. وهذا غير طريق الأنبياء عليهم السلام الذي هو تحرّك وإقدام وتصديق للشعارات بالعمل منذ البداية.

وهو ما حدث تماماً في حياة النبي الأكرم ﷺ، حيث التعليم والتزكية والتحرّك في سبيل إقامة القسط منذ الوهلة الأولى، ولهذا بدأت المواجهة والمعارضة منذ الوهلة الأولى أيضاً. ومنذ أن بدأ النبيّ الأكرم ﷺ دعوته على نطاق خاص ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[2] حتى دعوته العلنية، ثم تحركّه وإقامته نظام العدالة الإجتماعية. طبعاً ما نشاهده ونعبّر عنه هو الصورة الظاهرية للبعثة، أمّا تلك الحقيقة الإلهية والملكوتية وما يقع بين الباريء المتعال والإنسان الممتاز والمصطفى فهو خارج عن إدراكنا، ولا نفهم ما حدث؛ لأنّ الحادث عظيم جداً وغير متصوّر لنا، لكن كل حسب فهمه وتدبّره يفهم

(١) سورة الجمعة : ٢ .

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

منه شيئاً، ويترك تأثيره على مخاطبيه وعلى الإنسان وعلى العالم[1].

٤ ـ إخراج الناس من الظلمات الى النور

الهدف والمضمون الرابع هو ما أشارت إليه آيات قرآنية كثيرة؛ منها قوله تعالى: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم *كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾**[2]؛ هو خروج الناس من الظلمة إلى النور.

ليس النور والظلمة في مختلف المجالات ممّا يتعسر على الإنسان استبانته، لكنما هدف الإسلام والمضمون الرسالي للبعثة هو انتشال الإنسان من الظلمات والعادات الذميمة، والخصال المستهجنة، والفتن المتفشية بين أبناء الجنس البشري، والخرافات السائدة على أذهان الناس التي تُحيِّد وتحرف الإنسان عن النهج القويم.

تكرر هذا المضمون في آيات قرآنية متعددة[3]؛ ممّا يدلّ على وجوب إيجاد تغيير

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٦ هـ.

(٢) سورة إبراهيم : ١ .

(٣) قال تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾** سورة البقرة ٢٥٧.

﴿يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ سورة المائدة ١٦.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ سورة إبراهيم ٥.

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ سورة الأحزاب ٤٣.

﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ =

في حياة الإنسان على الصعيد الاجتماعي والفردي، ومن حيث الهدفية[١].

لقد فتحت البعثة طريقاً جديداً أمام البشرية **﴿هو الذي يصلّي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾**[٢]؛ فقد جاءت البعثة لإخراج بني البشر من الظلمات إلى النور، وهذه الظلمات تشمل كافة أنواع الجهل الذي يلفّ العالم، ويطغى على حياة البشرية على مرّ التاريخ. إنها ظلمات الشرك والكفر، والجهل والتيه، والظلم والإجحاف والتمييز؛ ظلمات الابتعاد عن الأخلاق الإسلامية والغرق في مستنقع الفساد الأخلاقي؛ ظلمات قتل الإنسان لأخيه، وانحراف أفكار وضلالتها، إلى غير ذلك من أصناف الظلمات.

إنّ الإسلام يهدي البشرية للخروج من هذه الظلمات، وستهتدي إلى هذا الطريق تدريجياً عن طريق التعلم والحركة والعزيمة والتفكير السليم وتشخيص العراقيل.

لقد تنامت القابليات في عالمنا المعاصر لاستيعاب البلاغ النبوي أكثر من ذي قبل، فكلما ازداد العلم البشري تضاعف الاحتمال بتقديم رسالة الإسلام؛ وبالرغم من تمادي السلطويين في العالم باستخدام الأساليب الحيوانية والوحشية لقمع العواطف الإنسانية وتسخير البشرية ـ وهكذا يُفتضح الظلم الذي تمارسه القوى الكبرى بحق البشرية ـ فإن الآفاق تتفتح أكثر لمعرفة نور الإسلام؛ ويزداد تعطش البشرية له؛ ونحن

= سورة الحديد ٩.

﴿أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا﴾ سورة الطلاق ١٠.

﴿رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا﴾ سورة الطلاق ١١.

(١) من كلمة ألقاها في ٣ رمضان ١٤١٨هـ ـ جامعة طهران.

(٢) سورة الأحزاب : ٤٣.

اليوم نلمس آثار تعطش البشرية لرسالة الإسلام، التي هي رسالة التوحيد والمعنويات والعدل وكرامة الإنسان[١].

٥ ـ التزكية والتعليم

المضمون والهدف الخامس هو محاسن الأخلاق وتزكية النفس. وهو ما أكدت عليه الآيات الشريفة وبيّنه الحديث النبوي الشريف المعروف لدى جميع الفرق الإسلامية، وهو قوله ﷺ: «**إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**»[٢].

تصوروا ذلك المجتمع الذي تسوده الخصال الحميدة والخلق الكريم، والسجايا النبيلة كالاحسان والأُخوة والتسامح والعدل والعلم والحق والانصاف، بعيداً عن الصفات الرذيلة والخلق المقيت، كيف يعيش في سعادة ويتقلب في نعيم.

إنّ بؤرة معاناة الإنسانية اليوم هنا، والمصائب التي يعاني منها عالم اليوم من قبيل الطغيان السياسي وتسلط الطواغيت على مقدرات الإنسان تعود في جذورها إلى علل أخلاقية، كما أن حالة الشقاء التي تعيشها الشعوب ناجمة من جهلها على الأغلب. والإسلام يقضي على مثل هذه العلل والأسباب[٣].

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة**﴾[٤].

لقد خلق الباري تعالى الإنسان بشكل يحتاج معه إلى أن يربّى من الخارج ويربّي

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤٢١هـ ـ طهران.

(٢) مكارم الأخلاق: ٨، والبحار: ١٦ / ٢١٠ .

(٣) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٨ هـ

(٤) سورة الجمعة : ٢.

ذاته من الداخل. وتقسم هذه التربية إلى تربية تُعنى بقواه الفكرية والعقلية، وهي ما تُسمّى بالتعليم، وينصَبُّ هدف الاخرى على تهذيب نفسه وقواه الروحية وقواه الشهوية والغضبية، وهي ما تسمى بالتزكية.

وإذا ما تعلّم الإنسان وزكّى نفسه بشكل سليم، فهو تلك المادة الخام التي سبكت في قالبها المناسب في المصنع المطلوب وبلغت مرحلة كمالها.

ويصبح في هذه النشأة مصدر خير وبركة وسبباً لإعمار الدنيا وبناء قلوب الناس. وبعدما يرد عالم الآخرة ينال الخاتمة التي ترنو إليها الإنسانية منذ البداية وحتى يومنا هذا؛ أي النجاة والحياة السعيدة الخالدة في الجنّة.

لقد حدد الأنبياء من أولهم وحتى خاتمهم ـ النبي الكريم ﷺ ـ هدف بعثتهم وأنّه التزكية والتعليم: **﴿يزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾** أي يربّون الناس تربية عقلية وفكرية من جهة، وتربية روحية من جهة أخرى.

وجميع العبادات والتكاليف الشرعية التي أُمرنا بأدائها تمثل في الحقيقة أدوات لهذه التزكية أو التربية، وهي بمثابة الرياضة التي يكون فيها كمالنا، مثلما أننا إذا لم نمارس الرياضة تضمر قوانا الجسمية، ونفقد قدراتنا ونصبح عرضة للأمراض الجسدية.

إذا أردنا لأجسامنا القوّة والقدرة والجمال والكفاءة للقيام بالأعمال المختلفة يجب علينا أن نمارس الرياضة.

وكذلك هذا الجانب؛ فالصلاة رياضة، والصيام رياضة، والإنفاق رياضة، واجتناب المعاصي رياضة، وعدم الكذب رياضة، وحب الخير للناس رياضة. وممارسة هذه الرياضات تضفي على الروح جمالاً وقوّة وكمالاً. ونحن إذا لم نمارس هذه الرياضات الروحية قد يبدو ظاهرنا جميلاً، ولكن يبقى باطننا في غاية البشاعة ومنتهى الوضاعة

وعرضة لنزول الاضرار به[١].

درس من أهداف البعثة

على المسلمين أن يحيوا هذه المضامين. ونحن في الجمهورية الإسلامية قد وفّقنا ـ وياله من توفيق عظيم ـ في تشييد أسس مجتمع مرّة أُخرى على الأحكام والمعارف والتعاليم الإسلامية، وأن نصوغه ونوجهه وفقاً لهذا السبيل. وهذا توفيق قلَّ نظيره، وقد منَّ به الباري علينا.

ونحن بطبيعة الحال لا نزعم أننا استطعنا تطبيق النموذج الإسلامي الكامل، فهذا ادعاء كبير جدّاً، ولازالت تفصلنا عنه مسافة شاسعة. وما برحنا بعيدين جداً عن ذلك الإنسان وذلك المجتمع الذي يرنو إليه الإسلام ويعتبره حالة مثالية ونموذجية. ولكننا في الوقت ذاته قد ابتعدنا كثيراً ـ بفضل الله ـ عن الصيغ والنظم الاجتماعية الشائعة حالياً والبعيدة عن دين الله.

لقد استطعنا وضع أقدامنا على طريق الإسلام، والسير في الاتجاه المؤدي إليه، وإشاعة أحكام الإسلام في المجتمع والسعي جهد الإمكان لتطبيقها في واقع الحياة.

ونجحنا في عرض القيم الإسلامية كأسمى وأنبل قيم في الجمهورية الإسلامية، وتمكّنا من نشر كلام الله بين أبناء الشعب وتوجيه الأفئدة نحو الله.

وهذا طبعاً من فعل الثورة، ولا يمكن لشخص أن يدّعي هذا لنفسه. ثورتنا انتجت ـ بفضل الله ـ مثل هذا العطاء في نظامنا. ووفقنا لهذا بعون الله، وعلينا مواصلة هذا الطريق بجد؛ إذ لمسنا مكاسبه بهذا القدر، وجعل الله لنا فيه العزّة.

لقد امتُهِنَ شَعبنا وبلدنا ومجتمعنا على مدى سنوات طويلة على يد الحكام

(١) من كلمة ألقاها في ٣ رمضان ١٤١٨هـ ـ جامعة طهران.

الطواغيت، وسحقت كرامته وعانى من التخلف، ولم يكن أبناء الشعب على معرفة بحقوقهم، ورجال الدولة ما كانت تربطهم بأبناء الشعب أية صلة، ولم يَكن للنظام الحاكم أي موقف صلب أمام القوى المتجبّرة في العالم، بل كان نظاماً تابعاً بالكامل. ولم تكن للمعارف الإلهية أهميتها اللازمة في ذهن وفي رأي الناس، ولم تكن التربية والتعليم يسيران على أساس الإسلام. وظل هذا الشعب يعاني على مدى سنوات طوال من حكم الطواغيت على هذا البلد، من الفقر والفاقة والذل.

ولكن اللّه تعالى منّ علينا بفضل الالتفات إلى القيم المعنوية للإسلام، وبفضل الاهتمام برسالة الإسلام السياسية، بالنجاة من تلك المعاناة.

البعثة لصياغة حياة الإنسان

ومعنى هذا أنّ البعثة لا يراد بها أن تحتفظ فئة من الناس بالعقيدة في أذهانها وتؤدي واجباتها الخاصة في ضوئها، ويبقى النظام الاجتماعي تحت تسلط أعداء اللّه؛ فالبعثة جاءت لصياغة حياة الناس. ونحمد اللّه أن هذه المهمّة قد انجزت في ظل النظام الاجتماعي للإسلام، ولمس شعبنا نتائج ذلك وذاق طعم ثمارها الطيبة.

ينبغي علينا اليوم السير باتجاه تغيير ذاتنا وباتجاه المثل التي ينادي بها الإسلام، لتغيير أنفسنا كأشخاص، أي أن يبدأ كل فرد بذاته. صحيح أنّ الحكومة مكلفة أمام الشعب بواجبات خطيرة في مجال التعليم والتربية، لكن هذه الواجبات لا تمنع أن يعمل كل واحد منّا على تزكية ذاته جهد المستطاع.

يجب علينا إصلاح ذاتنا وتهذيب أخلاقنا وتطهير باطننا تقرّباً إلى اللّه، وأن يعمل كل واحد منا بصفته الفردية على مجاهدة ذاته، وأن نتلو آيات اللّه بتدبّر، وندني قلوبنا إلى اللّه بالأكثار من ذكره. هذا الواجب يجب أن يؤديه كل منا، إذ سيكون أداؤه عوناً لنا على إنجاز ما علينا من واجبات اجتماعية على خير وجه.

كما على سائر أبناء الشعب أن يعتبروا هذه المهمة الفردية وهذا الواجب الأخلاقي الفردي، واجباً مهماً بالنسبة لهم. هذا فضلاً عن الواجبات الاجتماعية الملقاة على عاتق الجميع، وما من أحد إلّا وهو مكلف بواجبات اجتماعية.

أشعر أننا بحاجة لبذل المزيد من الجهود لتهذيب وتزكية نفوسنا ونفوس الآخرين، وإنّ البناء المعنوي الجديد للنظام الإسلامي وللشعب الإيراني المسلم يستلزم أداء هذه المجاهدة الكبرى. وهذه أيضاً من المضامين الرسالية المهمّة للبعثة.

أسأل الله أن يتفضل علينا لنتمكن من إشاعة الأخلاق والفضائل المعنوية المقرونة بالإخلاص والمحبّة في جوانب حياتنا وفي ربوع أمتنا؛ بالتمسك بالعناية الربّانية وبمضامين الآيات القرآنية الكريمة وكلمات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وأن نتمكن بمؤازرة كل واحد من أبناء هذا البلد من توفير مستلزمات هذا النهج الذي استطاع الإسلام بواسطته إحراز كل ذلك النجاح المؤزر وتلك الانتصارات والانجازات الباهرة، وتمهيده لأنفسنا ولشباب بلدنا عبر البرمجة الدقيقة المدروسة. وسنتمكن بعون الله من مواصلة هذا الطريق بعزم ونشاط أكثر [١].

٦ ـ خلاص الإنسان والقضاء على الجهل

إنّ بعثة النبي الأكرم تعتبر حركة عظيمة في تاريخ البشرية، عبر انقاذها للانسان وتهذيب النفس والروح والأخلاق البشرية، وكذلك عبر مواجهتها للمشاكل والصعوبات التي كانت تواجه البشرية في كل الأدوار ولا تزال، إنّ جميع الأديان في مواجهة مستمرة مع الشر والفساد من أجل إيجاد سبيل وصراط مستقيم نحو الأهداف السامية، إلّا أنّ الدين الإسلامي فضلاً عن هذا يمتاز بخصوصية هي أنه يعتبر علاجاً

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٨ هـ.

نافعاً لجميع العصور. وعندما نطالع في القرآن الكريم ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾[1] نجد أنّ هذا لا يعني أنه بمجرد مجيء الدين الخاتم والرسول الخاتمﷺ، فإنّ نفوس البشر قد تزكت أو سوف تتزكى، وكذلك لا يعني أن البشرية بعد نزول القرآن سوف لا تلاقي في سيرها نحو الكمال المصاعب والموانع والشقاء، والذي نقوله بأنّ الرسولﷺ والإسلام جاءا من أجل تحكيم العدل وإنقاذ المستضعفين وتحطيم الاصنام البشرية وغير البشرية، ليس بمعنى أنّ البشرية وبعد سطوع هذه الشمس المضيئة سوف لا تعاني من الظلم، أو سوف لا يكون هناك طاغوت يحكم، أو سوف لا يتحكم صنم ما بمصير البشرية.

والواقع أيضاً يدل على ذلك، حيث إنه بعد ظهور الإسلام ظهر في أقطار العالم وحتى في المحيط الإسلامي ـ وبالطبع بعد مرور عدّة قرون ـ بعض الأصنام والطواغيت وتحملت البشرية أنواعاً من الظلم وبقيت نفس تلك المعضلات التي كانت تعاني منها.

إذن فإنّ معنى وغاية وهدف البعثة والذي يتجسد في خلاص الإنسان شيء آخر. فالذي جاء به الإسلام والرسول ﷺ. الى الناس هو العلاج الشافي لكل عصر، وهو الذي يقدِر على القضاء على جهل الإنسان والوقوف بوجه الظلم والعنصرية وهو الذي يمنع من سحق الضعفاء على أيدي الأقوياء، بل هو الذي يعالج كل المشاكل التي كانت البشرية تعاني منها من بداية الخلق الى اليوم.

ولكن الذي ينبغي الانتباه إليه هو أنّ هذا العلاج يشبه العلاج الطبي الذي يشخصه الطبيب للمريض، فإذا ما ترك ولم يعمل به أو سيىء فهمه أو حتى لم يكن هناك الإقدام والشجاعة في استعماله فإنه لن يكون ذا أثر يذكر. فخيرة الأطباء عندما يصف

---

(١) سورة الجمعة : ٢.

علاجاً معيناً لأحدٍ ما، ويأتي ذلك المريض ويهمل العلاج ولا يستعمله، حينئذ يفقد العلاج الأثر المرجو منه، فأي تقصير في هذا لذلك الطبيب الحاذق؟ وهكذا فإنّ المسلمين ولقرون عديدة قد أهملوا ما جاء به الإسلام وأودعوه طي النسيان، مما أدّى الى محو المعالم القرآنية الواضحة في حياتهم، أو أنهم أساءوا فهمه ولكنهم تحركوا ضده، ولعلهم أدركوا ما جاء به الإسلام ولكن لم يمتلكوا تلك الشجاعة والجرأة المطلوبتين للتحرك به. أو أنهم قد تحركوا واستطاعوا أن يحققوا شيئاً ما ولكنهم لم يضحوا للحفاظ عليه وحتى في عصر صدر الإسلام، فلو أنّ المسلمين لم يدركوا كلام الرسول أو لم يكن لديهم الشجاعة اللازمة للعمل به وكما أشار القرآن الى البعض من أمثال هؤلاء ﴿**يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلاّ فرارا**﴾[1] لما تحقق شيء وكل ما تحقق كان نتيجة للتضحية والتفاني والدفاع عن الإسلام.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول في هذا المجال وبكل صراحة «**ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم لما قام للدين عمود ولا اخضر للإيمان عود**»[2] .

وعلى هذا الأساس فإنّ هذه أمور لازمة وضرورية بل هي علاج لجهل البشر، طبعاً لا نقصد بالجهل هنا ما يقابله في الجانب الآخر أي الاكتشافات والاختراعات العلمية ولكن نريد أن نقول بأن البشرية حتى إذا ما استطاعت أن تصل الى مراحل مختلفة من التطور العلمي، أو وصلت الى القمة في العلم، فإنها تعيش الجهل إذا كانت تجهل العلاقات الإنسانية الصحيحة، أو أنها لا تعتمد المساواة والعدالة بين البشر، ترى في الإنسان نظرة ازدواجية وطبقية من حيث الحقوق والأحكام وهذا ما ابتليت به البشرية وجلب لها المآسي والآلام، فبناء الحياة البشرية على أساس الظلم وتسلط الأقوياء على الناس وسحقهم للضعفاء وانعدام نور المعرفة والإنسانية هو أيضاً عين تلك

---

(١) سورة الأحزاب: ١٣.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ١٠٥ الكلام ٥٦ .

الجاهلية حتى مع وجود التطورات العلمية المادية، وكما جاء في نهج البلاغة حول ظروف ظهور الإسلام والبعثة النبوية فهناك عبارات وجمل واضحة من قبيل «**الدنيا كاسفة النور وظاهرة الغرور**»[١]..

وفي مجال آخر جاء «**في فتن داستهم بأخفافها ووطأتهم بأظلافها وقامت على سنابكها**»[٢].

ومتى ما يحصل هكذا ظروف من تفشي الظلم وتسلطه على رقاب الناس وتجاوز القوى الكبرى على المستضعفين وتقاتل الأخوة وفساد الأخلاق فذلك هو اليوم الذي يجب فيه تقديم ذلك العلاج المفيد لكل وقت والذي هو الإسلام.

لا همّ للمتكبرين إلّا ضرب الإسلام

الذي يحدث اليوم في العالم هو أنه أينما يسمع بحركة إسلامية ترى البعض من هنا وهناك يردّون عليها يكتبون بأن الإسلام قد أصبح قديماً ولا يفيد لهذا الزمن، وهذا يدل إما على عدم فهمهم لحقيقة ومحتوى الدين الإسلامي وإما على عدائهم له، فمنذ ثلاثة عشرة عاماً وأيادي الإستكبار بسبب حقدهم وعدائهم للجمهورية الإسلامية وثورتها يعلنون ويكتبون ويصفون الإسلام هنا بالرجعية أو بأنه قد عفا عليه الدهر ومضى. كلا فإنّ الذي تقصدون ليس رجعياً ولا قديماً، بل الدواء اللازم لآلام البشرية المزمنة فطالما هناك آلام فإن هذا الدواء يبقى هو العلاج، واليوم مع توجه الناس في شمال أفريقيا في الجزائر مرة أخرى نحو الإسلام تراهم بدأوا بالتطبيل وإعادة أحاديثهم السابقة ضد الإسلام هراء أحاديثكم هذه فالبعثة النبوية دائمية والإسلام الذي جاءت به تلك البعثة هو الذي يفيد في كل وقت وهو الحل للبشرية كلها.

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٥٧ خ ٨٨.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٢٩ خ ٢، والسنابك: طرف الحافر.

الحلّ عند الإسلام

والأجدر بالشعوب الإسلامية قبل غيرها الإنتباه الى أوضاعها والعودة الى الإسلام، لأن جميع الآلام والمعاناة التي كان يعاني منها الناس في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية من الجهل والعصبية سائدة اليوم بين الشعوب الإسلامية، فالدول الإسلامية تعيش الفقر والجهل والتأخر، بل الاستبداد وتسلط القوى الكبرى وتفشي التفرقة والاختلاف بينهم. فأكثر من مليار مسلم يعيشون على هذه الكرة الأرضية والذين بإمكانهم أن يكون لهم دور مصيري في الحوادث المهمة في العالم، ولكن مع وجود المصاعب والمشاكل والتشتت الحاصل بينهم، فإنهم مع كونهم كتلة بشرية عظيمة وحتى فيهم العلماء والمفكرون أصبحوا في الهامش ودون أثر، لماذا؟ من الذي يستطيع أن يتغلب على تلك الموانع والمشاكل؟ الإسلام، وانبعاث لبعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والرجوع الى أحضان الإسلام.

القرن الحالي قرن التجربة والعمل الإسلامي

طبعاً الأبواب أصبحت مفتوحة اليوم لهذا الطريق، فقد كان القرن التاسع عشر أو القرن الثالث عشر الهجري قرنا للدعوة الى الانبعاث ابتداءاً من المرجع الإسلامي الكبير الميرزا الشيرازي والذي تحدى الشركات البريطانية بفتواه المشهورة حيث استطاع أن يحرك شعباً بأكمله، ومروراً بالحركة الدستورية في إيران والحركات الإسلامية في الهند وكذلك الصحوة الإسلامية في غرب دنيا الإسلام، وحتى في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فقد تحرك فيها كبار رجال الإسلام، أمثال السيد جمال الدين وغيرهم.

فقد كان القرن الماضي قرناً للعودة والانبعاث للتحرك، أما القرن الحالي أي القرن

الخامس عشر الهجري فهو قرن التجربة والعمل منذ ابتدائه فنرى الشعوب الإسلامية اليوم يملكون تجربة عمل يعملون فيها.

الجمهورية الإسلامية تجربة ناجحة للحاكمية

ولقد كانت الجمهورية الإسلامية بمثابة التجربة والنموذج الأول للمسلمين وكان هذا سبباً لتحملها الكثير من الصعاب. على الشعوب الإسلامية أن تقتدي بهذه التجربة وتستفيد منها في تحركها الإسلامي لتحقيق عمل أكبر مما حققه الشعب الإيراني وذلك بالاعتماد على الله سبحانه وتعالى وعلو الهمة. فلا سبيل للمسلمين إلّا العودة الى الإسلام وتحقيق الحكومة الإسلامية، ولا أمل يرجى من الاعتماد على أعداء الإسلام والحاقدين عليه.

ما أجمل هذه التجربة حيث استطاع شعب أن يقاوم لثلاثة عشر عاماً كل الضغوطات والمصاعب التي أوجدوها له، كالحرب المفروضة التي دامت ثماني سنوات ومختلف الضغوط الاقتصادية منها والسياسية والثقافية فضلا عن الحصار الاقتصادي والاعتداء العسكري، وعلى الرغم من كل هذا ورغم أنف القوى الكبرى في العالم بقي شعبنا صامداً وأصبح يقوى يوماً بعد آخر، وهذه تجربة عزيزة وجذابة للمسلمين ﴿**ومثلهم في الإنجيل كمثل زرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار**﴾[1] ولقد تحقق كل هذا ببركة الإسلام، وطبعاً يتكلمون علينا عبر وسائل الاعلام من هنا وهناك ونحن لا نتعجب من ذلك، فالأبواق الدعائية من الدرجة الأولى في العالم يسيطر عليها الصهاينة والأمريكان، بل إننا نعجب فيما إذا لم تهاجمنا ولم يتهمنا الاعلام الصهيوني، ليقولوا ما يشاؤون ولينعتونا بأنواع التهم، وليطلقوا على المنظمات الخاصة بهم إسم الدفاع عن حقوق الإنسان كي

---

(١) سورة الفتح : ٢٩.

تأتي وتتهم الجمهورية الإسلامية بنقض حقوق البشر.

حسنا أي شخص عاقل في العالم لا يسخر من هؤلاء؟ فأمريكا في كل تاريخها أو على الأقل تاريخها الأخير الذي نعرفه لا تملك إلّا الجناية ضد الشعوب والبشرية جمعاء. فلا يهمنا هؤلاء بنقض حقوق البشر، فنحن نقول بأن حقوق البشر لا تتحقق إلّا في ظل الإسلام والحكومة الإسلامية، والإسلام هو الذي يقول ﴿**إن الحكم إلّا لله أمرَ أن لا تعبدوا إلّا إياه**﴾[1]، وكل حكومة ظالمة تنقض هذا الحكم، ليس لأحد أن يحكم الناس إلّا وفقاً لمعايير مقبولة عند الناس، في الجمهورية الإسلامية كافة المسؤولين الذين يُسيرون أمور الشعب بشكل أو بآخر هم من إنتخاب الشعب إما بشكل مباشر أو غير مباشر وحتى القائد، وهذا يعني أنّ النظام الإسلامي لا يكتفي فقط بوجود المعايير المقبولة بل إنّ انتخاب الشعب شرط لازم لا يمكن تجاوزه فهل هذه الديمقراطية أم تلك التي تحصل في ظل الاعلام الغربي الكاذب في الدول الغربية وحتى إنهم لا يؤمنون بديمقراطيتهم الكاذبة التي يتزعموها.

الصبر على الصعاب مقدمة للحاكمية

العزّة والحرية والخلاص من سيطرة القوى الظالمة والوصول الى لذة الحكومة الإسلامية تصحبها مشاكل وصعوبات لا بد من الصمود امامها وتحملها، وحتى في صدر الإسلام، فالمسلمون الاوائل قد تحملوا نفس الصعوبات ليثمر هذا التحمل ويصبح المسلمون لقرون عديدة سادة العالم والقوة الفريدة فيه، ولو أنّ الفساد قد دب في اركان الحكومات الإسلامية إلّا أنها استطاعت أن تحفظ ذلك البناء المستحكم ذلك البناء الأولي المرصوص، فعلينا أن نتحمل الصعوبات وعلى الشعوب الإسلامية الإيثار

(١) سورة يوسف : ٤٠.

والتضحية في هذا الطريق حتى يستطيعوا عبور الموانع[١].

حكومة إيران ومعالم البعثة النبوية

واليوم فإنّ الجمهوريّة الإسلاميّة ترفع راية الإسلام وراية البعثة، أي راية هذه القيم الكامنة في البعثة. ليس الإسلام المظهري فحسب، بل يجب الترويج للتوحيد بمعناه الحقيقي، والتسليم لله، ونشر العدالة في المجتمع وبناء نظام أخلاقي للمجتمع يعتمد على الإنسانيّة والعاطفة والفضائل، وعدم التسليم والعبوديّة لغير الله، وعدم التبعية والانهزام خصوصاً أمام أعدى أعداء الإنسان أي «**أعدى عدوك نفسك الّتي بين جنبيك**»[٢]، والدعوة لمقارعة الأصنام ومنها أقوى وأعتى الأصنام أي صنم النفس.

وليس المقصود أن يتبدّل النّاس فجأة إلى ملائكة، بل أن يتبدّلوا فجأة إلى أُناس يجهدون ويجاهدون في هذا الطريق، ونفس هذه المجاهدة هي التقوى، فأي إنسان وأيّ مجتمع يجهد في هذا الطريق فهو إنسان ومجتمع متّق، وهذا بعد للقضيّة[٣].

وإن الجمهورية الإسلامية تولي عناية خاصة بمولد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبعثته وكل ما يرتبط به صلى الله عليه وآله. لماذا؟ لأن الجمهورية الإسلامية هي المكان الوحيد في العالم المعاصر ـ أو لنقل أهم مكان في العالم ـ يتمّ فيه تنفيذ الأحكام الإسلامية بصورة رسمية وتُتخذ فيه القوانين والمقررات طبقاً لأحكام القرآن والسُنة النبوية الشريفة.

فهنا دولة قائمة باسم الإسلام، وهذا ـ في الحقيقة ـ يلقي بالمسؤولية على عاتق جميع المسلمين في العالم. فعندما تقام حكومة على أساس الإسلام يعني أنّ الإسلام اتّخذ منهجاً لإدارة شؤون الحياة، أما حينما يكون الإسلام موجوداً في المجتمع على

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٧ رجب ١٤١٢هـ ـ طهران.

(٢) من حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، انظر البحار: ٦٧ / ٣٦.

(٣) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٥هـ

شكل عقائد وأعمال فردية من دون أن تكون هناك حكومة للدين، فإن القرآن والإسلام يصبحان مهجورين في ذلك المجتمع.

فما معنى قول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في سورة الفرقان ﴿**وقال الرسول يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾[1]؟ فما معنى هجر القرآن؟

إنّ قوله تعالى: ﴿**إتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾ لا يعني أنّ المسلمين تخلّوا عن القرآن وعن الإسلام وأبعدوهما عن حياتهم من الاساس، فهذا ليس اتخاذ كما عبر القرآن الكريم. ﴿**اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾ يعني أنّ القرآن موجود بين ظهرانيهم لكنه مهجور وبعيد عن ساحة الحياة. فماذا يعني هذا؟ إنّ هذا يعني أن القرآن يُتلى من قبل أفراد المجتمع، ويحترم في الظاهر، ولكن لا يُؤخذ بأحكامه وقوانينه. فبحجة فصل الدين عن السياسة سُلب من القرآن الكريم حقه في حكم المجتمع.

فلو كان من المقرر أن لا تكون للإسلام حكومة: فلماذا خاض النبي ﷺ كل ذلك الجهاد العظيم؟ فلو أنّ النبي ﷺ كان يقول لمعارضيه إننا لا نتدخل في شؤون حكومتكم، ولا في إدارة شؤون حياتكم، ولا في السلطة السياسية للمجتمع، بل يكفي أن يعتقد الناس بهذه الأمور ويؤدّوا الأعمال العبادية داخل بيوتهم، فلو كان يقول ذلك لم يكن من الواضح أن يُفرض عليه خوض كل ذلك الكفاح المرير. فخلاف النبي ﷺ معهم كان حول السلطة السياسية وسيطرة القرآن الكريم على تلك السلطة.

فمعنى هجر القرآن يعني أن يبقى للقرآن إسم ولكن لا تكون له أية سلطة في المجتمع. وعلى هذا فإن أية بقعة من العالم الإسلامي لا تكون فيها الحكومة للقرآن تعتبر مصداقاً لشكوى النبي ﷺ ﴿**يا ربِّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً**﴾ .

أما في الجمهورية الإسلامية فلا أثر لهذا الهجران. فالقرآن أصبح هو المحور

---

(١) سورة الفرقان: ٣٠.

للقوانين العامة في المجتمع، يعني أن كل ما يرتبط بإدارة شؤون المجتمع يؤخذ من القرآن رسمياً ولا إسمياً. فجميع القوانين تستمد من القرآن الكريم، وكل ما يعارض القرآن يتم نبذه وإبعاده، وحتى السلطة السياسية فإنها تستمد مقوماتها من المعايير القرآنية.

أما القيم السائدة في المجتمع فهي قيم قرآنية، وكل فرد مؤمن وخدوم يحظى بالاحترام والقبول في هذا المجتمع الإسلامي. فالمسؤولون في البلاد يحظون بحب الشعب الإيراني الشديد لهم؛ لأنهم يعملون بأحكام القرآن، ولأجل إيمانهم وتديّنهم والتزامهم بالأمور الشرعية.

فهذا المجتمع هو الذي يكون فيه القرآن حيّاً وفعّالاً وبعيداً عن الهجران ـ وهكذا هي الجمهورية الإسلامية ـ ولهذا فإن أيّ مسلم وفي أيّ مكان من العالم ـ بحكم حبّه ومودّته للقرآن وللنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ـ يشعر بالمسؤولية تجاه الجمهورية الإسلامية التي ترفع راية الإسلام عالياً، وهذا هو العامل الذي دفع ويدفع أعداء الإسلام لانتهاج أسلوب عدائي ووحشي في تعاملهم مع الجمهورية الإسلامية.

فكل من يعارض القرآن والإسلام في العالم يجسّد تلك المعارضة وذلك العداء والعناد بشكل واضح من خلال إبراز عدائه للجمهورية الإسلامية[1].

---

(١) من خطاب لولي أمر المسلمين حفظه الله في ١٧ ربيع الأول ١٤١٥هـ.

الفرق بين العصر الإسلامي والعصر الجاهلي

هناك معالم رئيسيّة للقيم الإسلاميّة تفصل العصر الإسلامي عن العصر الجاهلي وهي:

التوحيد

١ ـ ففي الدرجة الأولى التوحيد الخالص، أي نفي العبوديّة لغير الله. فالتوحيد ليس نبذ الأصنام فحسب، فلا وجود لأصنام مكّة والأصنام الخشبيّة والحجريّة دائماً، إنّما التوحيد هو معنىً شامل وعام طوال التاريخ. إنّ روح ومعنى التوحيد عبارة عن نفي عبودية وسجود الإنسان لغير الله.

فلو ألقيتم نظرة بصيرة وواعية، نظرة أساسها العلوم الاجتماعيّة والتربويّة وأمثالها لهذا العنوان لرأيتم مدى سعة دائرة العبوديّة، فهذه القيود والأغلال الّتي تقيّد البشر يعتبر كلّ منها نوعاً من العبوديّة، كعبوديّة الأنظمة الاجتماعيّة الخاطئة، وعبوديّة العادات والتقاليد الخاطئة، وعبوديّة الخرافات، وعبوديّة الأفراد والقوى المستبدّة، وعبوديّة الأهواء النفسيّة الرائجة أكثر من غيرها، وعبوديّة المال والقدرة، فهذه كلّها عناوين للعبوديّة.

وعندما نقول: «**لا إله إلّا الله وحده لا شريك له**» فمعنى التوحيد الخالص هذا نبذ كلّ أنواع العبوديّات وتحقّق الفلاح، وقول النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله : "قولوا لا إله

إلّا الله تفلحوا"(١)، ليس فلاحاً سياسيّاً أو اجتماعيّاً أو معنويّاً أو فلاح يوم القيامة فحسب، بل هو فلاح حقيقي فلاح الدّنيا والآخرة.

إذن هذه النقطة الأولى، والّتي يمكن أن نُعبّر عنها بأنّها الإسلام والتسليم لوجه الله، وهذا بُعْد آخر للتوحيد، وإحدى مميزات الدعوة الإسلامية، فأينما وجدت وجد الإسلام معها، وكلّ نقطة تقابلها فهي جاهليّة، وما بينهما فهو ما بين الإسلام والجاهليّة، لا إسلام كامل وخالص.

أهميّة العدالة

٢ ـ والنقطة الأخرى في الدعوة الإسلاميّة هي عبارة عن استقرار العدل في المجتمع. إنّ إحدى خصائص النظام الجاهلي هي كونه نظام ظلم، وكان الظلم عرفاً رائجاً فيه، لم يكن الظلم فيه طارئاً بل كان نظام المجتمع مبنيّاً على الظلم والعنصريّة وسيطرة القوي على الضعيف والرجل على المرأة والغني على الفقير والسيّد على العبد، والسلاطين على الأسياد، فكان ظلماً في ظلم، وكانت حياة الناس مليئة بالظلم والعنصريّة والقهر، وهذه من خصائص النظام الجاهلي التي أينما وجدت كان النظام جاهليّاً، وكان الإسلام المقابل له.

فمن خصائص المجتمع الإسلامي أنّه يدعو إلى العدل **﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾**(٢)، ولا يقتصر العدل على الشعارات فقط، بل يجب على المجتمع الإسلامي أن يسعى لتحقيق العدالة، فإن افتُقدت العدالة سعى وراء تحقيقها، وإن كانت في العالم قضيتان إحداهما عادلة والأخرى ظالمة وكانتا غير إسلاميتين، كان الإسلام مع العدل وإن كان من غير إسلامي.

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥١.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

فالنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله هو الّذي أمر المهاجرين بالهجرة إلى الحبشة، أي أنّه صلّى الله عليه وآله أمرهم باللجوء إلى ملك كافر ولكنّه عادل، أي أبعد النّاس عن مأواهم وحياتهم ومجتمعهم وذلك بسبب الظلم.

إذن النقطة الأخرى هي استقرار العدالة والدعوة لها، السعي والجهاد لتحقيق العدالة وإعزازها أينما كانت ولو عند غير المسلم، وتقبيح الظلم أينما كان. وهذه أيضاً من الخصائص الإسلامية.

تشاهدون أنّ حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله المباركة، والحياة الإسلامية والتاريخ الإسلامي في أفضل عهوده كلّها تحكي عن ذلك، وهذه من مميّزات البعثة النبويّة. طبعاً إنّني أقول هذه الخصائص من باب المثال.

فتوجّهوا جيّداً حتّى نتوصّل إلى نقطة يمكن منها الحصول على رأس خيط لتحرّكنا اليوم، وليس المقصود بيان التاريخ أو إحدى المعارف الإسلاميّة[١].

قال الإمام الخميني: «لقد بعث الأنبياء من أجل تنمية معنويات الناس واستعداداتهم حتى يفهموا ـ من خلال تلك الاستعدادات ـ بأننا لا شيء، وإضافة إلى ذلك إنقاذ الناس، وإنقاذ الضعفاء من نير الاستكبار. وكانت للأنبياء منذ البداية هاتان الوظيفتان، والوظيفة المعنوية لإنقاذ الناس من أسر النفس، ومن أسر ذاتها (لأن الذات شيطان كبير) وإنقاذ الناس والضعفاء من سلطة الظالمين.

هاتان الوظيفتان هما وظيفة الأنبياء عليهم السلام. وعندما يلاحظ الإنسان النبي موسى، والنبي إبراهيم عليهما السلام وما نُقل عنهما في القرآن، فإنه يرى بأنهما قاما بهاتين الوظيفتين، الأولى دعوة الناس إلى التوحيد، والأخرى إنقاذ المستضعفين من الظلم. ولو شاهدنا أن (المواضيع) في هذا المجال قليلة في تعاليم النبي عيسى عليه السلام،

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٥هـ.

فإن السبب هو قصر عمر النبي عليه السلام وعدم اتصاله الواسع بالناس، وإلّا فإن أسلوبه هو نفس أسلوب النبي موسى عليه السلام وجميع الأنبياء. وأفضلهم وهو الرسول صلى الله عليه وآله.

إن هذين الأمرين نراهما بالعيان في القرآن والسنة، ونراهما في نفس عمل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

فالقرآن دعا إلى المعنويات إلى ذلك الحد الذي يتمكن فيه الإنسان من الوصول إليه وفوق ذلك وأيضاً إقامة العدل.

إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وجميع الذين تكلموا بلسان الوحي عملوا بهذين الأمرين. وكان عمل الرسول نفسه هكذا، إذ كان يهتم بتقوية المعنويات قبل أن يشكل حكومته. وبمجرد أن استطاع تأسيس حكومته فإنه أقام العدل إضافة إلى المعنويات، وشكل حكومته وأنقذ المستضعفين من نير الظلمة بمقدار ما سنحت له الأيام»[١].

٣ ـ الدعوة الى مكارم الأخلاق

النقطة الثالثة ـ الّتي نفرضها من باب المثال في المجتمع الإسلامي ـ هي السير نحو مكارم الأخلاق، وهذه النقطة غير تلكما النقطتين. فقد يتمتع مجتمع بأُناس متفكّرين وعقلاء ومن أهل الصفح والخير والإحسان والتعاون، من أهل الصبر والحلم عند النوائب والشدائد وذوي أخلاق حسنة في التعامل ومن المضحّين، فهذا مجتمع إسلامي. وقد لا يتمتّع مجتمع بأناس يتحلّون بهذه الصفات، كأن لا تكون علاقاتهم مبنيّة على التراحم والمروءة والإنصاف والأخلاق الحسنة، بل على الاستغلال، فيقبل أحدهم الآخر مادام يوافق مصالحه وإلّا فمستعد للقضاء عليه، فهذا مجتمع جاهلي.

(١) منهجية الثورة الإسلامية: ٥١.

فخصيصة البعثة النبويّة هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق. وهذه نقطة أُخرى في حياة النبي صلى الله عليه وآله الرسالية وفي البعثة النبويّة.

٤ ـ المعنويات والعمل الصالح

والنقطة الأُخرى والأخيرة وهي نقطة رئيسيّة هي عدم اقتصار الرؤية على الحياة الدّنيا، فمن خصائص المجتمع الجاهلي أنّه يرى أنّ الحياة تقتصر على الدّنيا، فإن استطاع الحصول على شيء في الحياة الدّنيا ـ أي في المأكل والمشرب وما يرتبط بشخص الإنسان ـ اعتبر ذلك انتصاراً، وإن نوى السعي لعمل لا تظهر ثمرته في هذه الدّنيا، اعتبر نفسه مغبوناً وخاسراً ومتضرّراً. وهذه من خصائص المجتمع الجاهلي.

فلا أثر للعمل الخالص لله وللروح وليوم الجزاء.

أمّا الإسلام فقد جعل إحدى الخصائص هي عدم اقتصار هدف وحياة الإنسان بهذه الحياة الدّنيا، وهذه من خصائص البعثة[١].

(١) من كلمة ألقاها في ٢٧ رجب ١٤١٥هـ.

هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله

لقد أطلق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله شعارات منذ بداية حركته وفي عصر البعثة كانت تستعصي على الفهم والادراك إلّا بهجرته إلى المدينة وإقامة النظام الإسلامي. إن ذلك التوحيد الذي يدعو له رسول الإسلام، والذي يشجب التفرقة الاجتماعية، ويثير الغلمان والعبيد المظلومين ضد ساداتهم، والذي يجعل الشباب الواعي والمستنير يثور ضد ممارسات الآباء السيئة والخاطئة والمنحرفة، ليس توحيداً فردياً وقلبياً وباطنياً وانعزالياً، بل إنه التوحيد الذي لابد من رفع لوائه، والذي يعيش المجتمع بفضل أسسه ومبادئه، أي عصر المدينة والهجرة.

ولقد أقام الرسول صلى الله عليه وآله الحكومة الإسلامية منذ بداية الهجرة. ولا أدري أن ذلك الذي يؤمن بدين محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ولكنه لا يؤمن بهجرته وحكومته وولايته وسلطته، كيف يستطيع إقناع نفسه بذلك؟! وعلى أية حال فإن ثمة مجموعة لا تستطيع أن تقبل بالسياسة الدينية، ولا بالدين السياسي.

وهناك مجموعة أخرى مصابة بالنفاق الديني؛ أي أنها تعتقد بضرورة الدين اسماً وعنواناً، ولكنها ترفض حقيقته وكنهه! وهؤلاء لا يستطيعون التنازل والقبول بسهولة عندما يبرز الدين في المجتمع بواقعيته وحضوره واقتداره ويقيم نظاماً ويرسي أساساً للحكومة[1].

دار الهجرة

إنّ لهذه الهجرة مراحل، فحينما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بالهجرة لعله كان يهدف

---

(١) من كلمة ألقاها في ٧ رجب ١٤٢١ هـ ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

الى تأسيس المدنية الإسلامية التي كانت تستلزم أن يخرج الناس من حياة البدو التي كانوا يعيشونها في جزيرة العرب ويشكّلوا حياة مدنية ذات حضارة عريقة.

فما دام الناس لا يعيشون حياة اجتماعية أو على شكل تجمعات أو بتعبير آخر (حياة مدنية)، فلا يمكن تطبيق الأحكام الإلهية في أوساطهم ولا يمكن الوصول بهم الى هدف معين.

مراحل الهجرة

فالمرحلة الأولى هي الهجرة الى (دار الهجرة) وبعد ذلك الهجرة إلى المدن حيث كان النبي صلى الله عليه وآله يأمر العشائر والقبائل الرحّل بالهجرة إليها. وإذا لم يهاجروا فلا يعطوا من الغنائم شيئاً حتى وإن شاركوا في الجهاد، وهذه المسألة تعتبر في رواياتنا جزءاً من مباحث كتاب الجهاد والتي سنصل إليها إن شاء الله.

والهجرة تعني وجوب عدم البقاء في مكان واحد.

الهجرة لتبليغ الإسلام

من الممكن أن يكون مصداق هذه الهجرة بالنسبة لطلاب العلوم الدينية والفضلاء المحترمين في الحوزات العلمية في عصرنا هذا الهجرة الى أكناف البلاد الإسلامية لنشر وتبليغ المفاهيم الإسلامية. فهناك البعض ممن يتمكن من الاستقرار في مدينة ما وإرشاد أهلها وهدايتهم ولكنهم كالمئات أو الآلاف من أمثالهم بقوا في قم من دون أن يترتب أي أثر على وجودهم، وأقصى ما يقومون به هو إلقاء درس والذي إذا لم يدرسوه لحضر هؤلاء العشرون أو الثلاثون نفراً (الذين يحضرون هذا الدرس) عند أستاذ آخر وسمعوا نفس الدرس من ذلك الأستاذ.

فلعل أحد مصاديق الهجرة اليوم هوهذا الذي ذكرناه، وفي الوقت الحاضر توجد

في بلادنا مدن ـ فضلاً عن القرى ـ هي بحاجة الى عالم دين، فعلى علماء الدين الذهاب الى تلك الأماكن من دون شروط مسبقة. لأن البعض يقول لنا يجب أن تتوفر لنا الأمكانيات والتسهيلات أولاً لكي نذهب الى هناك.

أنا لا أقول أنه لا حاجة الى الأمور المادية ومتطلبات الحياة بل إن الحاجة الى تلك الأمور قائمة يقيناً، ولكن يجب اعتبار تلك الأمور المادية ضمن المتطلبات القهرية وعدم افتراضها شرطاً مسبقاً. فلابد من التحرك وبذل الهمم.

وبطبيعة الحال إنّ هذا ليس أمراً فردياً لأن من الممكن أن يتيقن منكم خمسون نفراً بأنه أصبح واجباً عليهم الذهاب الى المدن الأخرى من أجل تبليغ الإسلام، فيذهبون من أجل ذلك إلّا أن هذه الحركة سوف تتوقف بعد ذلك.

فلا بد من إيجاد حركة في الحوزة العلمية بقم وبالتبع في سائر الحوزات العلمية وأن يشارك الجميع وأن يصبح هذا الأمر متواصلاً ومستمراً، وعلى إدارة الحوزة وأكابرها والشخصيات المتنفذة فيها أن يبادروا الى القيام بهذا الأمر وليبدءوا بأنفسهم أولاً.

ولو أنّ بعض الأكابر يذهبون الى مدن أخرى بدلاً من البقاء في قم لكان وجودهم هناك أكثر فائدة وأكثر عطاء وهذا يصدق حتى على أكابر العلماء أيضاً.

فقد لاحظنا كيف أنّ عالماً كالمرحوم آية الله الميلاني (رض) جاء الى مدينة مشهد قادماً من كربلاء القريبة من النجف الاشرف وأقام حوزة علمية كبيرة هناك ـ في مشهد ـ في الوقت الذي كان الكثيرون من أمثاله في كربلاء والنجف.

حقاً إنّ وجود آية الله الميلاني (رض) كان من النعم الالهية على الحوزة العلمية في مشهد. فقد جاء الى مشهد وكان بإمكانه البقاء الى آخر عمره في كربلاء، فكان عالماً بين عدد من العلماء من أقرانه بل من الممكن أنّ بعضهم كان متقدماً عليه من بعض الجوانب ـ حتى وإن لم يكونوا متقدمين عليه من الناحية العلمية ولكنهم كانوا

متقدمين عليه من جهات أُخرى ـ إلّا أنه جاء الى مشهد وأصبح منشأً للخير والبركة.

إذن فهذا الأمر يجري حتى على الشخصيات أمثال آية الله الميلاني. فلابدّ من التصدي لمسألة تجمّع وتراكم العلماء في مكان واحد.

فمن مصاديق الهجرة هو الهجرة الى الأماكن التي تحتاج الى عالم دين والى المدن والحوزات الكبيرة والصغيرة[١].

الهجرة الى المدينة المنورة

ولما حلّ النبي ﷺ في المدينة باشر منذ دخوله فيها بعملية بناء الإنسان، ومع مرور الأيام أخذت ترد إلى المدينة شخصيات تتّسم بجدارتها الإدارية وجلالة القدر والشجاعة والتضحية والإيمان والاقتدار والمعرفة حتى أصبحت عماداً صلباً لهذا الصرح الشامخ الرفيع.

لقد كانت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ـ التي كانت تسمى قبل حلوله فيها «يثرب» ثم سميت «مدينة النبي» بعد دخوله لها ـ بمثابة نسائم ربيع عمّت أجواء المدينة فشعر أهلها كأن انفراجاً حلّ فيهم جذب القلوب وأيقظها؛ فحينما سمع أهل المدينة بوصول النبي ﷺ إلى قبا ـ وهي على مقربة من المدينة ومكث فيها خمسة عشر يوماً ـ كان الشوق للقيادة يغلي في قلوبهم يوماً بعد يوم، وكان بعضهم يتوجه إلى قبا لرؤية النبي ﷺ فيما بقي الآخرون ينتظرونه في المدينة، وعندما دخل النبي ﷺ المدينة تبدل ذلك الشوق وذلك النسيم إلى عاصفة ألهبت قلوب الناس فغيرتها، وسرعان ما نما لديهم الشعور بأن جميع ما لديهم من متبنيات وعواطف وارتباطات وعصبيات قبلية قد ذابت بطلوع محيّا هذا الرجل وسلوكه ومنطقه، واطلعوا على نافذة جديدة

(١) من كلمة ألقاها في ١٤١٥/٤/٤هـ.

تطل بهم نحو حقائق عالم الخلق والمعارف الأخلاقية، فكان أن أحدثت هذه العاصفة تغييراً في القلوب بادئ الأمر ثم امتدت إلى تخوم المدينة لتخرج فيما بعد إلى قلاع مكة فتسخّرها لتنطلق في خاتمة المطاف لتشق طريقها إلى ما هو أبعد فتقدم إلى أعماق أمبراطوريتي ذلك الزمان، وحيثما توجهت فإنها تحيي القلوب وتغير بواطن البشر؛ ففي صدر الإسلام فتح المسلمون بقوة إيمانهم بلاد إيران والروم، وأيّما قوم طالهم هجوم المسلمين كان الإيمان يداعب قلوبهم بمجرد رؤيتهم للمسلمين.

كانت الغاية من السيف إزالة العراقيل عن الطريق والقضاء على أقطاب الأثرياء والناهبين، أما السواد الأعظم من الناس فقد استقبل هذه العاصفة، فكان أن نَفَذَ الإسلام إلى أعماق أمبراطوريتي الزمان ـ أي إيران والروم ـ وأصبحتا جزءاً من النظام والدولة الإسلامية. وكل ذلك حصل في ظرف أربعين سنة، عشر منها في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وثلاثون منها بعد رحيله[١].

الجهاد والهجرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوصي أمتي بخمس: بالسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد، والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهلية فله جثوة من جثاء جهنم**»[٢]

الجهاد هو أمر واسع وعمل عام وشامل ونافع لا ينضب، وهو يتحقق بصورة وأشكال مختلفة، وقد قلنا في أوّل كتاب الجهاد إنّ معيار الجهاد ليس السيف ولا ميدان الحرب فحسب، إنّ معيار الجهاد هو ما يقال اليوم في اللغة الفارسية بـ(مبارزه) مثلاً كأنْ يقال: (هل فلان مجاهد أم لا) ،فهناك صنفان من الكاتب والعالم والجامعي وطالب العلم والمجتمع، مجاهد وغير مجاهد، ويلزم في الجهاد أمران:

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

(٢) مستدرك الوسائل – الميرزا النوري: ١١ / ٩ح ١٢٢٨٥.

الأول: الجد والجهد والتحرك، فالإنسان لا يستطيع أن يجاهد وهو في فراشه أو قابع في قعر داره لأن الجهاد يجب أن يكون فيه جد وجهد، وبالرغم من أنّ الجهاد مع النفس له بعض المجالات ولكن نأتي هنا بالأمثلة التي تتعلق بالجهاد في المجالات الاجتماعية.

مقومات الجهاد

إذن الشرط الأول للجهاد هو بذل الجد والجهد والتحرك.

ثانياً: أن يكون الجهاد والكفاح ضد عدو ،فلا معنى للكفاح والجهاد إذا لم يوجد عدو، وعلى هذا فإنّ قوام الجهاد شيئان الأول: بذل الجد والجهد، والثاني: وجود العدو.

فمن يجدّ ويجهد ويتحرك ضد الدولة الإسلامية فهذا ليس جهاداً أو كفاحاً بل هو فتنة واخلال، ومن بذل جهده وجدّه ضد حكومة الحق والصلاح فعمله هذا فتنة وليس جهاداً، بل هو محاربة لدولة الحق سواء كان بصورة كتابة أو قول أو كتاب أو منشورات أو الاشاعات أو افتعال السلبيات، وكل هذه الأمور هي صور لبذل الجد والجهد ضد دولة الحق، وهي فتنة، وتضليل وبعض أشكالها تُعدّ محاربة.

وإنْ كان هذا الجد والجهد ضد عدوّ الله ورسوله وأوليائه عليهم السلام، فيعدّ جهاداً في سبيل الله وهو الجهاد الذي دعا إليه رسول الله ﷺ .

إذن فالتقاعس والبطالة والكسل واللامبالاة هي أمور لم تُرَدْ من أمة النبي الأكرم ﷺ .

والنقطة الأخيرة هي (والجماعة) ،ثم قال النبي ﷺ: **ومن دعا بدعاء الجاهلية فله جثوة من جثاء جهنم**، فما هي الجاهلية؟ الجاهلية هي النظام الذي كان سائداً قبل الإسلام، وكل نظام غير إسلامي هو نظام جاهلي وكل من دعا الى هذا النظام فله جثوة

(حجر) من جثاء جهنم، وهذا قد جاء على لسان رسول الله ﷺ ،إذن فالأمر ليس بهزل. فيجب علينا نحن الطلبة وعلى الحوزات العلمية أن تتذكر هذه النقاط التي ذكرناها وإنني قرأت هذه الروايات لأؤكد على الاهتمام بالتهذيب والأخلاق في الحوزات العلمية[١] .

الجهاد الأكبر عند الرسول الأعظم

لقد تصور البعض أنّ انتهاء الحرب كان ايذاناً بانطفاء نور المعنوية المتوهّج في القلوب. إلّا أنّ هذا التصور كان في الحقيقة مجانباً للصواب. لقد أقامت مجموعة من شبابنا المؤمنين والمخلصين مآتم العزاء بعد سماعها لقرار إنهاء الحرب متصوّرين أن أبواب الشهادة وأبواب المعنوية قد أغلقت وبقينا نعيش خلف جدران الحصار.

لا شك طبعاً في «**إن الجهاد باب من أبواب الجنّة**»[٢] . إلّا أنّ لجنة النقاء والمعنوية الإلهية أبواباً متعددة، هذا أوّلاً، وأما ثانياً فإنّ الجهاد في ميادين الحرب شوقاً للإيثار والتضحية، ما هو في الواقع إلّا أحد سبل الجهاد. فرسول اللهﷺ الذي كان معلم الأولين والآخرين وكانت الملائكة تستقي علمها من علمه، وكان قلبه أسمى موضع للوحي الإلهي، قال لشباب عصره بعد عودتهم من الحرب: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**»[٣]. [٤].

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٤١٥/٤/٤هـ.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٦٧ رقم الخطبة ٢٧ .

(٣) الكافي: ٥ / ١٢ ح ٣.

(٤) من كلمة ألقاها في ٢٧ جمادى الثانية ١٤١٩ هـ ـ طهران.

النبي صلى الله عليه وآله في المدينة

لقد حدد صلى الله عليه وآله موقفه منذ الوهلة الأولى لدخوله المدينة، فلما دخلت ناقته يثرب أحاط بها الناس؛ يومها كانت يثرب مقسمة إلى أحياء تضم بيوتاً وأزقة ومتاجر كل منها يعود لواحدة من القبائل التابعة إما للأوس أو الخزرج.. كانت الناقة تمر من أمام قلاع هذه القبائل فيخرج كبارها ويأخذون بركاب الناقة منادين: يا رسول الله، هذه ديارنا وثرواتنا وأموالنا كلها في خدمتك، فكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقول لهم: دعوا الناقة فإنها مأمورة، لكن كبار القوم وأشرافهم، شيوخهم وشبابهم اعترضوا ناقة النبي صلى الله عليه وآله قائلين: انزل هنا يا رسول الله؛ فالدار دارك وكل ما لدينا في خدمتك، لكنه صلى الله عليه وآله كان يقول لهم: **دعوا الناقة فإنها مأمورة**[1].

وهكذا طوت الناقة الطريق حياً بعد حي حتى وصلت حي بني النجار الذين تنتمي إليهم أم الرسول صلى الله عليه وآله، ونظراً لأنهم يعتبرون أخوال النبي صلى الله عليه وآله فقد جاؤوه وقالوا: يا رسول الله ! إن لنا بك لقرابة فانزل عندنا، فقال صلى الله عليه وآله: **دعوا الناقة فإنها مأمورة**.

فانطلقت الناقة حتى حطت رحالها في أكثر أحياء المدينة فقراً، فمدّ الناس أعناقهم ليعرفوا مَنْ صاحب الدار التي حطت بها الناقة، فإذا به أبو أيوب الأنصاري أفقر أهل المدينة أو أحد فقرائها.

النبي في بيت أبي أيوب

عمد أبو أيوب الأنصاري وعياله الفقراء المعوزون إلى أثاث النبي صلى الله عليه وآله فنقلوه إلى

(١) مناقب آل أبي طالب: ١ / ١١٥، والبحار: ١٩ / ١١٠.

دارهم وحلّ النبي ﷺ ضيفاً عليهم، فيما رد الأعيان والأشراف والمتنفذين وذوي الأنساب وأمثالهم؛ أي أنه حدّد موقعه الإجتماعي فاتضح من خلال ذلك عدم تعلق هذا الرجل العظيم بالثروة والنسب القبلي والزعامات القبلية والإنتماء الأسري والعائلي وعدم ارتباطه بالمتحايلين الوقحين ولن يكون كذلك، فهو ﷺ حدد منذ الوهلة الأولى طبيعة سلوكه الاجتماعي وأياً من الفئات يساند ولأيّ من الطبقات ينحاز ومَنْ هم الذين سينالون القسط الأوفر من فائدة وجوده.. فالجميع كانوا ينتفعون من وجود النبي ﷺ وتعاليمه، بيدَ أن الأكثر حرماناً كان أكثر انتفاعاً منه، دافعه في ذلك التعويض عن حرمانه.

بناء مسجد المدينة

كانت قبالة دارة أبي أيوب الأنصاري قطعة أرض متروكة فسأل ﷺ عن صاحبها، فقيل إنها ليتيمين، فدفع لهما ثمنها واشتراها ثم أمر ببناء مسجد عليها، فكان بمثابة مركز سياسي عبادي اجتماعي وحكومي ومركز يتجمع فيه الناس، فكانت الضرورة تقتضي بناء مركز يمثل المحورية، من هنا فقد باشروا ببناء المسجد، ولم يطلب ﷺ قطعة أرض من أحد أو يستوهبها، بل اشتراها بأمواله، وبالرغم من عدم وجود محام عن هذين اليتيمين فإن النبي ﷺ راعى الدقة في أداء حقوقهما كاملة تامّةً كالأب والمدافع عنهما.

وعندما باشروا ببناء المسجد كان النبي ﷺ من أوائل المسلمين ـ أو أولهم ـ ممن أمسك بالمعول وباشر بحفر أرض المسجد، ولم يكن عمله رمزياً بل كان عملاً حقيقياً بحيث كان العرق يتصبب منه ﷺ، فكان عمله بالمستوى الذي أثار بعض الذين تنحوا جانباً، فقالوا: أنجلس والرسول يعمل؟! فلنذهب ونعمل، فجاؤوا وانهمكوا في العمل حتى شيّدوا المسجد خلال برهة وجيزة، وبذلك أثبت النبي ﷺ ـ ذلك القائد العظيم ـ أنه لا يرى أي حقّ لشخصه، فإذا ما كان هنالك عمل فلابدّ أن

تكون له مساهمة فيه.

إرساء النبي الوحدة في المدينة

كانت الخطوة الأولى تتمثل في إرساء الوحدة، فلم يدخل أهل المدينة بأجمعهم الإسلام، بل أكثرهم اعتنق الإسلام، فيما بقيت القلة منهم خارج إطار الإسلام، بالاضافة إلى أن ثلاثاً من قبائل اليهود المهمة كانت تقطن المدينة، في القلاع الخاصة بهم على مقربة من المدينة وهي قبائل بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وهذه القبائل جاءت إلى المدينة قبل قرن أو قرنين من ذلك التاريخ، وقصة مجيئهم إلى المدينة قصة طويلة لها تفاصيلها[1].

اليهود في المدينة

وعند دخول النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة كانت لهؤلاء اليهود ثلاث مزايا:

أولاها: سيطرتهم على الثروات الأساسية في المدينة وأهم مزارعها وتجارتها ومنافعها وأهم صناعاتها التي تدرّ بالأرباح وهي صناعة الذهب وغيرها، والغالبية من أهل المدينة كانوا يرجعون إليهم لسد حوائجهم والاستلاف منهم وتسديد الربا إليهم؛ أي أنهم كانوا يقبضون على كل شيء من الناحية الإقتصادية.

والثانية: تفوقهم على أهل المدينة من الناحية الثقافية؛ فهم كانوا أصحاب كتاب وعلى إطلاع على مختلف المعارف والعلوم الدينية والمسائل التي تجهلها عقول أهل المدينة ذات الطبيعة شبه الهمجية.

من هنا فقد كانت لهم الهيمنة الفكرية، وإذا ما أردنا وصفهم وفقاً للمصطلحات

(١) انظر أحاديث أم المؤمنين عائشة للعسكري: ٢ / ٢٨٦، والبداية والنهاية: ٢ / ١٩٤، والسيرة النبوية لابن كثير: ١ / ١١.

المعاصرة فبإمكاننا القول إنهم كانوا يشكلون طبقة مثقفة، لذلك كانوا يستهينون بأهل المدينة ويسخرون منهم، وربما كانوا يتصاغرون حينما يتعرضون للأخطار أو عند الضرورة، غير أن التفوق كان لهم في الحالات الطبيعية.

أما الميزة الثالثة فهي اتصالهم بالمناطق النائية عن المدينة، فلم يتقوقعوا في اطار حدود المدينة؛ إنهم كانوا يمثلون واقعاً قائماً في المدينة، فكان على النبي ﷺ وضعهم في الحسبان..

إنحصار زعامة المدينة بالنبي صلى الله عليه وآله

فكان أن أوجد ﷺ ميثاقاً عاماً جماعياً، فلدى حلول النبي ﷺ في المدينة اتضح أن قيادة مجتمعها إنما هي منحصرة به ﷺ دون أن يبرم عقداً أو يطلب شيئاً من الناس أو يدخل في مباحثات مع أحد، أي أن عظمته وشخصيته سخرت الجميع أمامه، لقد تجلت قيادته وعلى الجميع التحرك والمبادرة حول محوريته، والميثاق الذي سار عليه النبي ﷺ أصبح موضع قبول من لدن الجميع، فكان شاملاً للسلوك الاجتماعي: المعاملات، النزاعات، الدية، علاقة النبي ﷺ مع معارضيه وموقفه من اليهود ومن غير المسلمين، وكل ذلك كان مدوناً ومفصلاً ولعله يحتل صفحتين أو ثلاثاً من الحجم الكبير من كتب التواريخ القديمة[١].

موآخاة النبي بين المسلمين

الخطوة الثانية كانت في غاية الأهمية وهي إشاعة روح الأخوة؛ فلقد كانت الأشرفية والعصبيات الخرافية والأبهة القبلية وحالة الانفصال بين مختلف الطبقات أبرز الأمراض التي كانت تعاني منها المجتمعات الجاهلية العربية يومذاك؛ والنبي ﷺ

(١) انظر المصنف لابن أبي شيبة: ٨ / ٤١٩، والقرآن وإعجازه العلمي: ١٧ .

بإشاعته للأخوّة أزال هذه النعرات من بين القبائل، فلقد آخى بين رئيس القبيلة وبين من هو بمستوى دانٍ أو متوسط، وهؤلاء بدورهم ارتضوا هذه الأخوة طائعين، ووضع السادة والأشراف إلى جانب العبيد من المسلمين والمعتَقين، وبذلك فقد قضى على العوائق في طريق الوحدة الاجتماعية.

عندما أراد النبي صلى الله عليه وآله اتخاذ مؤذن لمسجده، كان ذوو الحناجر الجهورية والهندام الجميل والمشاهير من الشخصيات من الكثرة بمكان، لكنه اختار من دونهم بلال الحبشي الذي كان يفتقد الجمال والصوت الحسن والشرف العائلي والنسبي، فالمناط كان الإسلام والإيمان والجهاد والتضحية في سبيل الله لا غير.

لاحظوا كيف أنه صلى الله عليه وآله حدد القيم على صعيد العمل؛ فقبل أن يترك كلامه بصماته على القلوب، كانت أعماله وسيرته وهديه هي التي تؤثر.

فترة السنوات العشر من حكم الإسلام في المدينة

هي واحدة من أزهى حقب التاريخ البشري، بل لا مبالغة إن قلنا هي أزهاها على الإطلاق. وحري بنا اعتبار هذه الحقبة الاستثنائية الزاخرة بالأعمال هي صاحبة التأثير على التاريخ البشري. وإنني أوصي الأخوة والأخوات جميعاً لاسيما الشباب منهم بمطالعة تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وآله والاستلهام منها.

لقد كانت الفترة التي عاشها النبي صلى الله عليه وآله في المدينة هي الفصل الثاني من بعثته التي استمرت ثلاثة وعشرين عاماً، وفصلها الأول كان في مكة واستمر ثلاثة عشر عاماً ويعد مقدمة للفصل الثاني، أما السنوات العشر التي قضاها النبي صلى الله عليه وآله في المدينة فهي تمثل سني إرساء قواعد النظام الإسلامي وبناء أنموذج الحكم الإسلامي لجميع أبناء البشرية على مر التاريخ الإنساني في مختلف الأعصار والأمصار.

وهذا الأنموذج كامل لا نجد له نظيراً في أي حقبة أخرى، وبمقدورنا من خلال

إلقاء نظرة على هذا الأنموذج الكامل تحديد المعالم التي بها ينبغي لبني البشر ومنهم المسلمون الحكم على الأنظمة وعلى الخلق.

غاية البعثة بُعد عالمي

فلقد كانت غاية النبي صلى الله عليه وآله من هجرته إلى المدينة هي مقارعة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي بظلمه وطاغوتيته وفساده الذي كان سائداً على الدنيا وقتها، ولم يكن الهدف مكافحة كفار مكة وحسب، بل القضية ذات بعد عالمي أيضاً.

كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يتعقّب ذلك الهدف، فكان يغرس بذور الفكر والعقيدة أينما وجد الأرضية مناسبة لذلك، على أمل أن تثمر تلك البذور في الوقت المناسب، وغايته من ذلك كانت إيصال رسالة الحرية والنهوض وسعادة الإنسان إلى كافة القلوب، وذلك ما يتعذّر إلّا عن طريق إقامة النظام النموذجي القدوة، لذلك فقد جاء النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة لإقامة مثل هذا النظام النموذجي، أما ما هو القدر الذي يسع الأجيال اللاحقة مواصلته والاقتراب من هذا النموذج فذلك منوط بهم؛ فالنبي صلى الله عليه وآله يبني النموذج ويقدمه للبشرية والتاريخ، والنظام الذي شيّده النبي صلى الله عليه وآله كانت له الكثير من المعالم، أبرزها وأهمها سبعة هي:

معالم النظام النبوي

الأول: الإيمان والمعنويات: فالدافع والماكنة الحقيقية التي تدفع بالنظام النبوي إلى الأمام هو الإيمان المنبثق من قلوب الناس وعقولهم ويأخذ بكيانهم نحو طريق الصواب.

إذن المعلم الأول يتمثل في تحريك روح الإيمان والمعنويات وترسيخها وتغذية أبناء الأمة بالمعتقد والفكر السليم، وهذا ما باشر به النبي صلى الله عليه وآله في مكة ورفع رايته في

المدينة بكل اقتدار.

الثاني: العدل والقسط: فكان منطلق العمل يقوم على أساس العدل والقسط وإعطاء كل ذي حق حقه دون أدنى مجاملة.

الثالث: العلم والمعرفة: فأساس كل شيء في النظام النبوي هو العلم والمعرفة والوعي واليقظة، فهو لا يحرك أحداً نحو اتجاه معين حركة عمياء، بل يحوّل الأمة عن طريق الوعي والمعرفة والقدرة على التشخيص إلى قوة فعالة وليست منفعلة.

الرابع: الصفاء والأخوة: فالنظام النبوي ينبذ الصراعات التي تغذيها الدوافع الخرافية والشخصية والمصلحية والنفعية ويحاربها، فالأجواء هي أجواء تتّسم بالصدق والأخوة والتآلف.

الخامس: الصلاح الأخلاقي والسلوكي: فهو يزكي الناس ويطهرهم من رذائل الأخلاق وأدرانها، ويصنع إنساناً خلوقاً زاكياً ﴿**ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾[1].

فالتزكية هي إحدى المرتكزات الأساسية التي كان يستند إليها النبي ﷺ في عمله التربوي مع أبناء الأمة فرداً فرداً لبناء الإنسان.

السادس: الاقتدار والعزّة: فالمجتمع والنظام النبوي لا يتميز بالذيلية والتبعية والتسوّل من الآخرين، بل يتميز بعزته واقتداره وقدرته على اتخاذ القرار؛ فهو متى ما شخّص موطن صلاحه سعى إليه وشق طريقه إلى الأمام.

السابع: العمل والنشاط والتقدم المطرد: فلا وجود للتوقف في النظام النبوي، بل الحركة الدؤوبة والتقدم الدائم، ولا معنى لدى أبنائه للقول إنّ كل شيء قد انتهى فلنركن إلى الدعة! وهذا العمل ـ بطبيعة الحال ـ مبعث لذة وسرور وليس مدعاة للكسل والملل والإرهاق، بل هو عمل يمنح الإنسان النشاط والطاقة والاندفاع.

---

(١) سورة الجمعة : ٢.

نظام النبي صلى الله عليه وآله نظام أبدي

قدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة ليقيم هذا النظام ويعمل على تكامله ويجعله أنموذجاً إلى أبد الدهر، ليقتدي به اللاحقون على امتداد التاريخ ممن تتوفر لديهم القدرة على إقامة نظام مماثل له، ليزرعوا الاندفاع في القلوب كي يغذّ بنو البشر السير نحو إيجاد مثل هذا المجتمع.

الدعائم العقائدية والإنسانية للنظام

وبديهي أن تحتاج إقامة مثل هذا النظام إلى دعائم عقائدية وإنسانية، فلابد أولاً من وجود معتقدات وأفكار سليمة كي يقام هذا النظام على أساسها؛ وقد بيّن النبي ﷺ هذه الأفكار والرؤى في إطار كلمة التوحيد والعزة الإنسانية وسائر المعارف الإسلامية خلال فترة السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها في مكة، ثم علمها وفهمها الآخرين بشكل متواصل وعلى مدى لحظات حياته حتى وافاه الأجل في المدينة.

وثانياً من الضروري وجود القواعد والدعائم الإنسانية كي يستقيم هذا البناء عليها، وذلك يعود إلى عدم ارتكاز النظام الإسلامي على فرد معين..

وقد باشر النبي ﷺ بإعداد هذه الأعمدة في مكة؛ فكان منهم مجموعة من كبار الصحابة ـ على اختلاف مراتبهم ـ هم ثمرة الجهود المضنية والجهاد المرير خلال فترة السنوات الثلاث عشرة في مكة، فيما كانت هنالك مجموعة من الذين تغذوا على رسالة النبي ﷺ قبل قدومه إلى المدينة من قبيل سعد بن معاذ وأبي أيوب وغيرهما[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

كل وقت النبي هداية

لقد باشر النبي ﷺ عمله بمجرد أن حلّ في المدينة، ومن العجائب التي حفلت بها حياته ﷺ أنه وطوال تلك السنوات العشر لم يهدر لحظة واحدة، فلم يُرَ النبي ﷺ غافلاً عن إنارة مشعل الهداية والمعنويات والتعليم والتربية ولو لحظة واحدة؛ فلقد كانت يقظته ونومه، مسجده وداره، دخوله لساحة الحرب، مسيره في الطرقات والأسواق، معاشرته لأسرته، وكل وجوده أينما حلّ، درساً.

يا لها من بركة زخر بها هذا العمر! فالشخص الذي شغل التاريخ برمته وترك بصماته عليه ـ ولقد قلت مراراً إن الكثير من المفاهيم التي اكتست وشاح القدسية على مدى القرون التالية من قبيل المساواة والأخوة والعدالة وحاكمية الأمة، إنما هي متأثرة بتعاليمه ﷺ ولم يكن لها أثر في تعاليم سائر الأديان أو لم يقدر لها البروز على أقل تقدير ـ كان نشاطه الحكومي والسياسي والاجتماعي قد دام عشراً من السنين لا غير! فيا لها من حياة ميمونة!

ثم إنه ﷺ وضع الأطر الإدارية والسياسية لذلك النظام، ولو أن المرء ألقى نظرة على التطور الذي خطاه بذكاء وفطنة لأدرك أي عقل وفكر ودقة وحنكة تقف وراء تلك العزيمة والإرادة القاطعة الصلبة التي لا يمكن تحققها ظاهراً إلّا برفد من الوحي الإلهي، وحتى يومنا هذا فإن الذين يحاولون تتبع وقائع تلك السنوات العشر خطوة فخطوة فإنهم يعجزون عن استيعاب أي شيء، وإذا ما حاول المرء دراسة كل واقعة على حدة فإنه لا يدرك منها شيئاً، بل عليه أن يدقق النظر ويلحظ تسلسل الأعمال وكيفية انجاز كل تلك المهام بتدبير ووعي وحسابات دقيقة[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

بناء النظام السياسي

وبغية إنجاز هذه المهمة كانت هنالك ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: إرساء قواعد النظام عبر هذه الممارسات.

والمرحلة الثانية: صيانة النظام؛ فمن الطبيعي أن يكون هنالك من يعادي هذا الكيان المتنامي المتعاظم الذي لو أحسَّ به الطواغيت لشعروا بالخطر أزاءه، ولو لم تكن لدى النبي ﷺ القدرة على الدفاع عن هذا الوليد الميمون بحنكة في مقابل الأعداء، فسيزول هذا النظام وتذهب جهوده سدى، فلابد له من صيانته.

أما المرحلة الثالثة: فهي عبارة عن إكمال البناء وإعماره، فلا تكفي عملية الإرساء بل هي الخطوة الأولى. وهذه المراحل الثلاث تسير إلى جانب بعضها عرضياً.

إنّ عملية إرساء القواعد تأتي بالدرجة الأولى بيد أنه يتعين الحذر من العدو أثناءها، وهكذا تأتي مرحلة الصيانة، حيث يتم خلالها الاهتمام ببناء الأشخاص والكيانات الاجتماعية ومن ثم تتواصل المراحل اللاحقة[1].

أسلوب النبي في تشخيص الحق من الباطل

الشيء الذي يجب أن يحظى بالاهتمام الدائم في النظام الإسلامي هو فرز الخنادق وعدم تداخل جبهات الحق وجبهات الباطل؛ فقد تتخذ بعض المواقف كمداراة لجبهة الباطل، وهذا أمر لا مانع منه، وقد تُمدّ له يد الصداقة في موقف ما، ولا مانع من هذا في وقته المناسب، ولكن الحدود الفاصلة يجب أن لا تضطرب ولا تتداخل، ويجب تشخيص الحق أين يكون ومع مَن، وما هو هدفه وأسلوبه وتكتيكه وعمله؟

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

ومن هو الباطل وما هي أساليبه وغاياته؟ هذه الأمور يجب عدم إغفالها، وإهمال هذه الحدود ليس من صالح جبهة الحق. وما من أحد يمتدح غفلة وإهمال جبهة الحق وجهلها بعلل أحقّيتها، وما العمل الذي يجب عليها أداؤه، ومن هي الجبهة المقابلة لها، وحتى الأعداء أنفسهم لا يمتدحون هذا العمل منها.

كان الرسول ﷺ يبيّن تلك الحدود؛ فكان أولاً يشخّص جبهة الكفار؛ وهي تلك الجبهة المقابلة التي جاءت بعثة الرسول ﷺ ونظامه وجهاده لأجل التغلغل بين صفوفها ودحرها وتوسيع دائرة حقّانيته. فجبهة الكفر لا ينبغي إهمالها، وإنّما يجب تشخيصها بصفتها الجبهة المتصدية لدعوة الحق. ويجب تشخيص طبيعة العلاقة بين جبهة الحق وجبهة الكفر، بل ولماذا يظهر الحق إلى الوجود أساساً؟ ولماذا يُلهم الله تعالى دعوة الحق للأنبياء عليهم السلام ويبلغهم إيّاهم ؟ ولماذا يطرحونها؟ وإذا كانت هناك حكمة من وراء ظهور رسالة الحق التي تعني رسالة خلاص الإنسان وتوجب مسؤولية على حملة تلك الرسالة ـ وهو الرسول، وامتداد نهجه الباقي إلى الأبد ـ فيجب أن يُفهم إذاً هدف جبهة الحق وكيف ينبغي أن تصل إلى ذلك الهدف.

مهمة جبهة الحق خلاص الناس

بأي شيء يحصل خلاص الإنسان؟ من الطبيعي أنه لا يحصل بالنصح والموعظة فقط، ولهذا فإنّ جبهة الحق ـ أي جميع الأنبياء ـ متى ما واتتهم الفرصة وأتيح لهم إبراز أنفسهم والتقدّم خطوة إلى الأمام سعوا إلى أن يغرسوا في أذهان الناس ويحققوا في واقع حياتهم الحقائق التي يجب أن يكونوا على معرفة بها؛ وهي تلك الحقائق الكفيلة بتقريبهم إلى النجاة والفلاح. هذه هي مهمة جبهة الحق، وهذا هو ما يستوجب المجاهدة؛ وسبب ذلك هو وجود معارض لحقّانية الحق؛ فإذا كانت غاية الحق خلاص الناس، فهناك في العالم من يستهدف استعباد الناس؛ وإذا كان الحق يرمي إلى تطبيق العدالة، فهناك من يناهض العدالة ويناصر الظلم؛ وإذا كان الحق يدعو إلى عبادة

الله، فهناك من يدعي الألوهية وينكر التسليم لله.

ومن الطبيعي أن هؤلاء جميعهم يعارضون دعوة الحق، ولا يمكن لتلك الرسالة أن تحرز أيّ تقدّم ولا يتسنى لها أن تُغرس في الأذهان أو تتحقق في الواقع الخارجي دون مجاهدة.

كان رسول الله ﷺ يشخّص حالة الكفار، ويشخّص حالة المؤمنين الضعفاء، سواء المنافقين منهم أو الذين أقل منهم نفاقاً ويعيشون حالة من التذبذب؛ وحتّى هؤلاء يحرص الإسلام على تحويلهم إلى مؤمنين أشداء[1].

أعداء النظام النبوي

في صدر الإسلام كانت المواجهة الأساس خلال عشر سنوات من حياة الرسول ﷺ مع جبهات ثلاث هي: جبهة المنافقين في الداخل، وجبهة أهل الكتاب واليهود ـ الذين كان لهم وضع خاص في المدينة وفي ظل حكومة النبي ـ وجبهة الكفار والمشركين.

فهذه هي الجبهات الثلاث الرئيسية ـ إضافة لجبهتين غير رئيسيتين كما يأتي ـ التي تعرفون ما مارسته من تحديات كما ورد في آيات القرآن الكريم ولاسيما في سورة البقرة المباركة.

فالمواجهة مع اليهود لم تكن كالمواجهة والعداء مع كفار قريش، حيث إن اليهود كان لهم ماضٍ، وتاريخ، ومفاخر، وكتاب، ممّا خوّل لهم سلطة على الأميين والجاهلين بالمعارف الإلهية من نوع تلك السلطة التي تفرضها مجموعة مثقفة على مجتمع أمّي. ولذا فقد كان النبي الأكرم ﷺ يضع أصابعه على المواضع الحساسة في مواجهته مع

(١) من كلمة ألقاها في ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ ـ طهران.

هؤلاء طبقاً لتعاليم الوحي الإلهي.

وقد وردت أبعاد هذا التحدي الذي كان بين النبي الأكرم وبين اليهود ـ وكذلك المنافقين ـ بشكل تفصيلي في سورة البقرة[١].

كان النبي ﷺ يرى أن ثمة خمسة أصناف من الأعداء يتربصون بهذا المجتمع الفتي في المدينة وهم عبارة عن:

١ ـ تعامل النبي مع القبائل شبه الهمجية:

العدو الأول: وهو عدو ضئيل الأهمية ومحدود، ولكن ينبغي عدم التغافل عنه في نفس الوقت، فلربما يتسبب في بروز خطر داهم. من هو هذا العدو؟ إنه القبائل شبه الهمجية التي تحيط بالمدينة؛ فعلى بعد عشرة أو خمسة عشر أو عشرين فرسخاً من المدينة تعيش قبائل جل حياتها عبارة عن تقاتل وإراقة للدماء وإغارة ونهب وسلب، وإذا كان النبي ﷺ يصبو إلى إقامة مجتمع سليم آمن ووادع في المدينة فما عليه إلّا أن يحسب لهؤلاء حسابهم، وهكذا فعل النبي ﷺ، حيث تعاهد مع مَنْ تتوفر فيه إمارات الصلاح والهداية، ولم يبادرهم بالدعوة للإسلام بادئ الرأي، بل عاهدهم مع بقائهم على كفرهم وشركهم بغية تجنب تحرشاتهم.

لقد كان النبي ﷺ ملتزماً بتعهداته ومواثيقه وهذا ما سأتطرق إليه أيضاً، لكنه لاحق الأشرار ومَن لا عهد لهم وعالج مشكلتهم، وما طرق أسماعكم من بعث النبي ﷺ للسرايا، حيث كان يرسل الخمسين أو العشرين من المسلمين في سرايا، إنما كان لملاحقة هؤلاء الذين تأبى طبيعتهم الوئام والهداية والصلاح ولا يستقر لهم حال إلّا بإراقة الدماء والتوسل بالقوة، فكان أن لاحقهم النبي ﷺ وقمعهم وأخمد نارهم.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٧ رجب ١٤٢١ هـ ـ المدرسة الفيضية / قم المقدسة.

٢ ـ تعامل النبي مع طواغيت قريش:

العدو الثاني: كانت مكة بمثابة المحور، وبالرغم من عدم وجود حكومة بالمعنى المتعارف عليه فيها، بيدَ أن ثمة مجموعة من الأشراف المتكبرين العتاة المتنفذين كانت تحكم مكة، وهم على اختلافهم كانوا متحدين بوجه هذا المولود اليافع الجديد، وكان النبي ﷺ على علم بأن الخطر الجسيم إنما ينطلق منهم، وقد حصل ذلك عملياً.

وكان الشعور يراود النبي ﷺ بأنه لو توانى حتى يداهموه هم فإن الحظ سيحالفهم، لذلك فقد تتبعهم لكنه لم يقصد مكة، بل اعترض قافلتهم التي كانت تمر على مقربة من المدينة فكانت معركة بدر أهم عمليات التعرّض وتمثل باكورة عمله.

لقد تحرش بهم النبي ﷺ فجاؤوا لحربه تدفعهم العصبية والعناد والإصرار.

واستمر الوضع على هذه الحالة لمدة أربع أو خمس سنوات؛ أي أن النبي ﷺ لم يتركهم وشأنهم، وكانوا في المقابل يمنّون أنفسهم باستئصال هذا الوليد الجديد ـ أي النظام الإسلامي ـ الذي يتحسسون منه الخطر، وعلى هذا الصعيد جاءت معركة أحد وغيرها من المعارك[1].

٣ ـ تعامل النبي مع اليهود

العدو الثالث: وهم اليهود؛ أي الدخلاء الغدرة الذين سرعان ما عبروا عن استعدادهم لمعايشة النبي ﷺ في المدينة لكنهم لم يقلعوا عن أعمال الايذاء والتخريب والخيانة، ولو تمعنتم جيداً في سورة البقرة وبعض السور الأخرى من القرآن الكريم لوجدتم أنها تختص بطريقة تعامل النبي ﷺ وصراعه الثقافي مع

---

(١) كما يأتي.

اليهود؛ فقد تقدم القول بأن هؤلاء كانوا على قدر من العلم والوعي وذوي تأثير كبير على أفكار ضعاف الإيمان من الناس ويحيكون الدسائس ويزرعون اليأس في قلوب الناس ويثيرون الفتن بينهم، فكانوا يمثلون عدواً منظماً، فكان النبي صلى الله عليه وآله يسلك معهم سبيل المداراة ما أمكنه، لكنه لما لمس منهم عدم استجابتهم لهذه المداراة بادر إلى معاقبتهم، ولم تأتِ مباغتة النبي صلى الله عليه وآله لهم دون سبب أو مقدمات، بل إن كلاً من هذه القبائل الثلاث (بنو قريظة ـ بنو قينقاع ـ بنو النضير) ارتكبوا أفعالاً فعاقبهم النبي صلى الله عليه وآله بما يوازي فعلتهم؛ فلقد خان بنو القينقاع النبي صلى الله عليه وآله فتوجه نحوهم وأمرهم بالجلاء وأخرجهم من ديارهم تاركين ثرواتهم للمسلمين[١].

والفئة الثانية هم بنو النضير الذين خانوا النبي صلى الله عليه وآله أيضاً ـ وقصة خيانتهم مهمة ـ فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله بحمل بعض أمتعتهم والرحيل[٢].

بنو قريظة

أما الفئة الثالثة وهم بنو قريظة فقد منحهم النبي صلى الله عليه وآله الأمان وسمح لهم بالبقاء في المدينة ولم يبعدهم عنها، وأبرم معهم عقداً على أن لا يسمحوا للعدو بالتسلل من أحيائهم في معركة الخندق، لكنهم غدروا وتعاقدوا مع العدو على الوقوف إلى جنبه لمقاتلة النبي صلى الله عليه وآله؛ أي أنهم لم يكتفوا بتنصلهم عن عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله، بل في الوقت الذي بادر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حفر الخندق في الجهة التي يسهل اختراقها وسلّمهم الجهة التي تقع عليها أحياؤهم ليمنعوا العدو من التسلل عبرها، ذهبوا للتفاوض والحوار مع العدو ليدخلوا معاً من تلك الجهة ويطعنوا النبي صلى الله عليه وآله من الخلف.

---

(١) انظر مكاتيب الرسول: ٣ / ١١.

(٢) انظر مكاتيب الرسول: ٣ / ١٣ ـ ٤٠.

ذكاء النبي في حلّ مشكلة بنو قريظة

وفي تلك الأثناء علم الرسول ﷺ بهذه المؤامرة، وكان حصار المدينة قد استمر شهراً، وقد وقعت خيانة هؤلاء في منتصف هذا الشهر، فلجأ ﷺ إلى عمل في غاية الذكاء ألقى من خلاله الوقيعة بينهم وبين قريش ـ ووردت تفاصيله في كتب التاريخ[١] ـ فقد قام ﷺ بعمل أطاح بالثقة التي تربطهم مع قريش، وفيه تجلّت واحدة من الخطط السياسية العسكرية الرائعة للرسول الأكرم ﷺ؛ أي أنه ﷺ عاجلهم ليوقفهم عن توجيه أية ضربة للمسلمين، وحينما انهزمت قريش وحلفاؤها وابتعدوا عن الخندق وقفلوا راجعين إلى مكة صلّى النبي ﷺ الظهر، ثم دعا إلى صلاة العصر قبالة قلاع بني قريظة، فتوجه نحوهم؛ أي أنه لم يمهلهم ولو ليلة واحدة، فحاصرهم لمدة خمسٍ وعشرين يوماً تواصلت خلالها المناوشات بين الطرفين، ثم إن النبي ﷺ قتل مقاتليهم لفداحة خيانتهم وعدم إمكانية إصلاحهم.

هكذا تميز تعامل النبي ﷺ مع هؤلاء ـ أي اليهود ـ فقد اتسم بالتدبير والقوة والاصرار المقترن بالأخلاق الإنسانية العالية، لإزالة هيمنة اليهود من بني قريظة ومن قبلهم بني النضير وأخيراً يهود خيبر، وفي كل هذه المواطن لم ينقض النبي ﷺ عهداً أبداً، وهذا ما يذعن له حتى أعداء الإسلام، بل أولئك هم الذين نقضوا العهود.

٤ ـ تعامل النبي مع المنافقين

العدو الرابع: وهم المنافقون في داخل المدينة من الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، بلداء معاندون يتميزون بضيق الرؤية والقابلية على التعاون مع العدو، لكنهم يفتقدون التنظيم وهذا ما يميزهم عن اليهود.

(١) انظر سبل الهدى والرشاد: ٥ / ٦.

لقد كان النبي ﷺ يتعامل مع العدو المنظم الواثب لمهاجمة المسلمين كتعامله مع اليهود ولم يمهلهم أبداً، لكنه كان يتحمل العدو غير المنظم ممن تلوث أفراده بالعناد والخبث والعداء والكفر؛ فلقد كان عبد الله بن أُبي من ألدّ أعداء النبي ﷺ وقد عاصر الرسول ﷺ حتى آخر سنة من عمره تقريباً، ولم يسئ ﷺ التعامل معه مع علم الجميع بنفاقه، وكان ﷺ يداريه ويعامله كباقي المسلمين من حيث عطاؤه من بيت المال وصيانة أمنه وحرمته، كان ذلك منه ﷺ بالرغم من خبث هذه الفئة وإساءتها، وفي سورة البقرة مقطع يختص بهؤلاء المنافقين.

ولمّا اتخذ تجمع بعض المنافقين طابع التنظيم بادر إليهم النبي ﷺ، كما في قضية مسجد ضرار حيث اتخذوا منه مركزاً وأقاموا اتصالات مع عناصر من خارج النظام الإسلامي من قبيل الراهب أبي عامر من بلاد الروم، وأعدوا مقدمات تحشيد الجيوش لمحاربة النبي ﷺ، فبادر إليهم النبي ﷺ وهدم المسجد الذي بنوه وأحرقه، معلناً أنه ليس بمسجد بل بؤرة للتآمر على المسجد وعلى إسم الله والمسلمين![1].

أو تلك الحفنة من المنافقين الذين أعلنوا كفرهم وخرجوا من المدينة وحشدوا قواهم فقاتلهم النبي ﷺ وقال ﷺ: لئن دنَوا من المدينة لأخرجن لقتالهم، وإن سالم ﷺ المنافقين في داخل المدينة ولم يتعرض لهم أبداً.

وهكذا فقد واجه النبي ﷺ الفئة الثالثة مواجهة منظمة صارمة، لكنه سلك طريق المداراة مع الفئة الرابعة لافتقادهم التنظيم، والخطر الصادر منهم يمثل خطراً فردياً، كما أنه ﷺ كان يؤنبهم بسلوكه العملي أيضاً[2].

---

(١) قال تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين. التوبة ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

وكان عبد الله بن أبي يتعامل مع اليهود وكفار قريش وجواسيس الأمبراطورية الرومانية ويستغل شتى الوسائل علّه يستطيع القضاء على حكومة الرسول ﷺ، فلماذا؟! لأنه كان يتصور قبل مجيء النبي ﷺ إلى المدينة أنه سيصبح رئيساً وحاكماً وملكاً للمدينة المنورة! وفي الحقيقة فإن النبي ﷺ كان قد سلبه منصبه..

لقد اتخذ النبي ﷺ مسلكاً حسناً مع عبد الله بن أبي ولم يعاقبه، وهكذا أيضاً فعل النظام الإسلامي مع هؤلاء.

وإنهم الآن ينظرون إلى بعض الظواهر التي يتحكم فيها العدو، ويمارسون نشاطاتهم النفاقية رجاء إشعال فتيل الخلافات بين الجماهير، على أمل أن يقطع الشباب أواصرهم مع النظام الإسلامي ويتخاصموا مع الدين[١].

محاولة المنافقين إغتيال النبي صلى الله عليه وآله

في عهد حكومة النبي الأكرم ﷺ وأميرالمؤمنين (عليه السلام) ، رغم اقتدارهما الداخلي إلّا أنّ أعداء الإسلام حافظوا على تواجدهم. ألم يحاول الأعداء والمنافقون عرقلة ناقة النبي ﷺ عند العقبة لولا أن أنجاه اللّه، فقد تواجد العملاء بالداخل حتى على شكل بناء مسجد ضرار وهمّوا لضرب الحكومة الإسلامية ﴿**وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله**﴾[٢]، إنهم انتظروا الدعم الخارجي للإطاحة بحكومة النبي ﷺ [٣].

٥ـ تعامل النبي مع أصحاب الأهواء النفسية

أما العدو الخامس فهو عبارة عن العدو الكامن في باطن كل مسلم ومؤمن وهو

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٥ محرم ١٤٢١هـ ـ مصلى الإمام الخميني (قده) بطهران .

(٢) سورة التوبة: ١٠٧.

(٣) من كلمة ألقاها في ٦ رجب ١٤١٦ هـ

الأخطر من بين جميع الأعداء، وهذا العدو معشعش فينا أيضاً، إنه الأهواء النفسية والأنانية والجنوح نحو الانحراف والضلال والانزلاق الذي يصطنعه الإنسان نفسه، وقد خاض النبي ﷺ مع هذا العدو صراعاً مريراً، غاية الأمر أن آلة الصراع مع هذا العدو لا تتمثل بالسيف، بل التربية والتزكية والتعليم والتحذير، فلما عاد المسلمون من الحرب قال لهم الرسول ﷺ: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر.

فتعجب المسلمون من قوله وسألوه: ما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟! لقد خضنا غمار هذا الجهاد المرير، فهل من جهاد أكبر منه؟! قال ﷺ: نعم، إنه جهاد النفس[(١)].

فإذا ما صرح القرآن الكريم: ﴿**الذين في قلوبهم مرض**﴾[(٢)] فذلك لا يعني أنهم منافقون، بل بعض المنافقين في عداد الذين في قلوبهم مرض، ولكن ليس كل (الذين في قلوبهم مرض) من المنافقين، فربما يكون المرء مؤمناً لكنه في قلبه مرض، فماذا يعني هذا المرض؟ إنه يعني ضعف الأخلاق والشخصية، والشهوانية والجنوح نحو مختلف الأهواء التي إن لم تبادر للحد منها ومقارعتها فإنها ستأتي على الإيمان من الداخل وستؤدي بالتالي إلى خِوَائك داخلياً، وإذا ما استلب الإيمان منك وخلا باطنك وظل الإيمان ملاصقاً لظاهرك إذ ذاك ستدخل ضمن الذين يطلق عليهم إسم «المنافق»؛ فلو خلت قلوبنا أنا وأنتم من الإيمان وبقي ظاهرنا متلبساً بالإيمان، وقطعنا أواصر الإيمان وعلائقه، بيدَ أن ألسنتنا ظلت تلهج بالتعابير الإيمانية، فهذا هو النفاق وهو من الخطورة بمكان؛ والقرآن الكريم يصرح ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله**﴾[(٣)]، وذاك هو السوء المبين، ألا وهو التكذيب بآيات الله.

---

(١) انظر وسائل الشيعة: ١٥ / ١٦١ ح ٢٠٢٠٨.

(٢) سورة المائدة : ٥٢.

(٣) سورة الروم: ١٠.

ويقول في موضع آخر: ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه**﴾[١] وهذا هو مكمن الخطر الذي يتهدد المجتمع الإسلامي، وحيثما شاهدتم في التاريخ انحرافاً في المجتمع الإسلامي فإنه يمثل منطلق هذا الانحراف.

ربما يشنّ العدو الخارجي هجومه ويدمر ويخرب لكنه لا قدرة له على الإفناء، وذلك لبقاء الإيمان الذي قد ينهض وتخضر أغصانه من جديد، غير أن جيوش العدو الداخلي إن هجمت على الإنسان وأفرغت باطنه إذ ذاك سيطال الانحراف سبيله، وحينما وجد الانحراف فإن منشأه هو ذاك، ولقد تصدى النبي ﷺ لهذا العدو أيضاً.

سلوك النبي صلى الله عليه وآله الإجتماعي

امتاز سلوك النبي ﷺ بالتدبير والسرعة في العمل فلم يدع الفرصة تفوته في أية قضية، كان ﷺ طاهراً قانعاً لا وجود لأية نقطة ضعف في وجوده المبارك، كان معصوماً نقياً، وهذا بحد ذاته يمثل أهم عوامل التأثير. فعلينا الاستلهام منه.

والجانب الأعظم من هذا الكلام إنما هو يمسني أنا بالذات حيث عليّ أن أتعلم منه، وعلى المسؤولين أن يتعلموا أيضاً، فالتأثير بالعمل أكثر شمولية وعمقاً من تأثير اللسان.

كان ﷺ صارماً صريحاً، فلم يكن ذا وجهين في كلامه، وعندما كان يواجه العدو كان يستخدم معه أسلوباً سياسياً يوقعه في الخطأ؛ فلقد كان يباغت العدو في الكثير من الحالات، سواء في المواقف العسكرية أو السياسية، لكنه كان صريحاً مع المؤمنين ومع قومه على الدوام، نقياً واضحاً في كلامه بعيداً عن الممارسات السياسية، يبدي المرونة في المواطن الضرورية كما في قضية عبد الله بن أبيّ ذات الأحداث المفصلة،

---

(١) سورة التوبة: ٧٧.

لم ينكث عهداً مع قومه أو مع الفئات التي عاهدها وإن كانوا أعداءً له وبالذات كفار مكة، كانوا هم الذين نقضوا عهودهم فردّ عليهم النبي صلى الله عليه وآله رداً قاطعاً، لم ينقض صلى الله عليه وآله موثقاً أبرمه مع أحد قط، لذلك كان الجميع على ثقة بالعهد الذي يبرمه معهم.

فعلى مدى عشر من السنين عاشره الناس ليلاً ونهاراً، ترددوا على داره وتردد هو على دورهم، كانوا معه في المسجد وفي الطرقات وفي حلّه وترحاله وفي منامه، تحملوا الجوع معاً، تذوقوا طعم السرور معاً، فقد كان الوسط الذي يعيش فيه النبي صلى الله عليه وآله مفعماً بالمسرة.

وكان صلى الله عليه وآله يمازح الآخرين ويقيم السباقات ويشترك فيها، وعلى امتداد تلك السنوات العشر تعمقت محبة أولئك الذين عاشروه له وازدياد إيمانهم به، وعندما فتح صلى الله عليه وآله مكة جاء أبو سفيان متخفياً برفقة العباس عم النبي صلى الله عليه وآله يطلب الأمان، ولما حل الفجر رأى النبي صلى الله عليه وآله يتوضأ وقد أحاط به القوم ليحظى كل منهم بقطرات الماء التي تتناثر من وجهه ويديه! فقال أبو سفيان: لقد رأيت كسرى وقيصر ـ وهما من ملوك الدنيا المعروفين بجبروتهم وسطوتهم ـ لكنني لم أرَ عليهم مثل هذه العزّة! أجل، فالعزّة المعنوية هي العزّة الحقيقية ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾[1]، فالعزّة من نصيب المؤمنين أيضاً، إن هم سلكوا ذات الطريق.

علاقة النبي صلى الله عليه وآله بربّه

ومن ناحية أخرى لم يهمل النبي صلى الله عليه وآله تضرعه إلى الله سبحانه وكان مواظباً على توطيد أواصر علاقته بالباري جل وعلا يوماً بعد يوم؛ فلقد كان يرفع يد الضراعة إلى بارئه في تلك الأثناء التي ينظم عساكره ويحثهم ويحضهم على القتال، وفي ساحة الوغى، عندما كان يمسك بسيفه ويقود جيشه بحزم، أو يعلمهم ما يصنعون؛ يجثو

---

(١) سورة المنافقون: ٨.

على ركبتيه رافعاً يديه باكياً مناجياً ربّه سائلاً منه العون والإسناد ودفع الأعداء.

لم يتنه به دعاؤه إلى الاستغناء عن قواه، ولا استثماره لقواته أغفله عن التوسل والتضرع والارتباط بالله سبحانه، بل كان حريصاً على كلا الجانبين، لم يعتره التردد أو الخوف وهو يواجه عدواً عنوداً؛ ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو مظهر الشجاعة ـ «**كنا إذا احمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن منا أقرب الى العدو منه**»[1]، وكان يلوذ به كل من شعر بالضعف.

إنجازات النبي في المدينة

استمر حكمه عشراً من السنين لكننا لو أردنا إيكال العمل الذي أنجز خلالها إلى قطاع من أكثر العاملين تفانياً لعجزوا عن إنجاز كل تلك الأعمال والخدمات على مدى مئة عام، ولو قارنا أعمالنا إلى ما قام به النبي صلى الله عليه وآله حينها سندرك المهمة التي اضطلع بها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فإدارة الحكم وبناء ذلك المجتمع وصياغة ذلك الأنموذج بحد ذاته يمثل واحدة من معاجزه صلى الله عليه وآله[2]

(١) نهج البلاغة ٤ / ٦١ رقم ٩، والبحار: ١٦ / ٣٤٠ ح ٣١.

(٢) معاجز رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرة جداً وهذا نموذج صغير منها: عن علي عليه السلام قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة فرحنا في نواحيها خارجاً منها فلم نمرّ بشجرة ولا جبل إلّا قال: السلام عليك يا رسول الله. سنن الدارمي: ١/ ١٢.

وروى جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي لأعرف حجراً بمكّة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث وإنّي لأعرفه الآن». صحيح ابن حبان: ١٤/ ٤٠٢ باب ٥ المعجزات، ودلائل النبوة: ٤٩. وقال عبدالله بن مسعود: كنّا نعدّ الآيات بركة وأنتم تعدّونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلاً من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثمّ قال: «حي على الطهور المبارك» ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد كنّا نسمع نسج الطعام وهو يؤكل. صحيح البخاري: ٤/ ١٧١.

=

وفاة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

في يوم الثامن والعشرين من صفر غاب هذا النور الإلهي، ورحل هذا الإنسان السامي وهذا الأب الرؤوف من بين أهل الأرض فخلف فيهم الغمّ والحزن.

وكانت أيام مرضه صلى الله عليه وآله ورحلته أياماً صعبة بالنسبة لأهل المدينة، وبالذات في تلك الأحوال التي سبقت رحلته صلى الله عليه وآله بقليل، فقد توجه إلى المسجد وارتقى المنبر ثم نادى: ألا من له حق عليَّ فليأت ويأخذ حقه، فضج الناس بالبكاء وقالوا له: يا رسول الله، أوَلنا حق عليك؟!

فأجابهم: الفضيحة أمام الله أشد عليَّ من الفضيحة أمامكم، فإن كان لكم حق أو دين عندي فهلموا خذوه لئلا يبقى إلى يوم القيامة.

= وعن أنس أنّ أهل مكّة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريهم آية؛ فأراهم القمر شقّتين حتّى رأوا حراء بينهما. تحفة الأحوذي: ٦/ ٣٤١ باب ٢٠. وعن أنس أيضاً أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتي بإناء وهو في الزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضّأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة. صحيح البخاري: ٤/ ١٦٩. وروىٰ جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وآله بين يديه ركوة يتوضّأ منها فأقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «ما لكم؟» فقالوا: يارسول الله ليس عندنا ما نتوضّأ به ولا نشرب إلّا ما في ركوتك، قال: فوضع النبيّ صلى الله عليه وآله يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضّأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة. مسند أحمد: ٣/ ٣٢٩، ودلائل النبوة: ١٢٠.

وعن جابر رضي الله عنه قال: استشهد أبي يوم أحد وترك عليه ديناً وترك ست بنات، فلمّا حضر جداد النخل أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: قد علمت أنّ والدي استشهد يوم أُحُد وترك ديناً كثيراً وإنّي أحبّ أن يراك الغرماء فقال: «اذهب فبيدر كلّ تمر على ناحية» ففعلت ثمّ دعوته فلمّا نظروا إليه فكأنّما أغروا بي تلك الساعة، فلمّا رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرّات ثمّ جلس عليه ثمّ قال: «ادع أصحابك» فما زال يكيل لهم حتّى أدّى الله عن والدي أمانته وأنا أرضى أن يؤدّي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة فسلّم الله البيادر كلّها، وحتّى أنّي أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وآله كأنّما لم تنقص تمرة واحدة. صحيح البخاري: ٣/ ١٩٩.

انظروا أية أخلاق هذه! مَنْ هو الذي يتفوه بهذه الكلمات؟ إنه ذلك الإنسان الرفيع الذي يفتخر جبرئيل بمحادثته، لكنه في تلك الأحوال لا يقول مزاحاً، بل كان جاداً لئلاً يضيع على يديه حق لأحد.

ثم كرّر النبي صلى الله عليه وآله القول مرتين وثلاثاً ـ وقد وردت تلك القضية في كتب التاريخ ومما جاء في مضمونها[1]: أنّ رجلاً قام وقال: يا رسول الله، لي عليك حق، فلقد كنتُ غير مرة على مقربة منك فضربتَ ناقتك فوقعت الضربة على بطني، وذاك ما أطلبه منك.

فرفع النبي صلى الله عليه وآله ثوبه وقال له: هلم خذ حقك ولا تدعه إلى يوم القيامة. فأخذ الناس ينظرون وهم حيارى ويقولون: أحقاً يريد هذا الرجل الإقتصاص من الرسول؟! وهل ستسمح له نفسه؟!

ثم إنهم رأوا النبي صلى الله عليه وآله قد أرسل مَن يأتيه بتلك العصا ثم توجه للرجل وقال له: هاك العصا واضربني ضربة بضربة. فتقدم الرجل، ودُهش الناس واستحوذت عليهم الحيرة والخجل لئلاً يفعل هذا الرجل فعلته.. وإذا بهم يشاهدونه يهوي على قدمي

(١) وقد جاءت في المناقب بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ربي حكم وأقسم ألا يجوزه ظلم ظالم فأنشدكم الله أي رجل كانت له قِبل محمد مظلمة إلا قام فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤس الملائكة والأنبياء.
فقام إليه رجل يقال له سوادة بن قيس فقال: إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فقال صلى الله عليه وآله لبلال: قم الى منزل فاطمة فأْتني بالقضيب الممشوق. فلما مضى إليها سألت فاطمة عليها السلام: وما يريد به؟
قال: أما علمت أنه يودع أهل الدين والدنيا، فصاحت وهي تقول: وا غمّاه لغمك يا أبتاه. فلما ورد إليه قال: أين الشيخ؟ قال: ها أناذا يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: فاقتص حتى ترضى، فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك، ثم قال: أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله، فقال: اللهم اعف. مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب: ١ / ٢٠٠.

النبي صلى الله عليه وآله يقبلهما وهمّ بتقبيل بطن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً قائلاً: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من نيران يوم القيامة.

اللهم إنا نسألك بمحمد وآل محمّد وبعزتك وبجلالك أن تنزل أفضل صلواتك وتحياتك وألطافك ورحماتك حتى قيام الساعة على الروح الطاهرة لنبينا صلى الله عليه وآله.

اللهم اجزه عن الإسلام والمسلمين وعن البشرية بأجمعها خير الجزاء، واجعلنا من أمته ومن السائرين على صراطه المستقيم، واجعل من مجتمعنا شبيهاً بمجتمعه، ومُنَّ علينا بهمّة اتّباعه(١).

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

الأُمة الإسلامية بين عطاء البعثة وطمع الاستكبار

الأمة الإسلامية بركة من بركات البعثة

إنّ إقامة الأمة الإسلامية بما لها من الخصوصيات الفذة تعدّ من بركات هذه البعثة العظيمة، إذ أن الأمة الإسلامية ليست مجرد مجتمع يتمحور حول عقيدة معينة، بل إنّ الأمة الإسلامية ـ في ضوء تعاليم نبي الإسلام والقرآن الكريم ـ مجموعة من الأفراد تتمتع بالعلم والأخلاق والروابط الاجتماعية الصحيحة المفعمة بالعدالة، وصولاً الى قمة التكامل الذي أودع الله سبله في قرار الإنسان.

إنّ الأمة الإسلامية نموذج التربية الإسلامية، والتي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله في أشد الظروف قوة، حيث صدع بنداء التوحيد وقد كانت جميع أقطار العالم محاطة بظلمة الكفر والجور والرذائل الأخلاقية وأنواع المفاسد.

وقد أُنجزت هذه الحركة العظيمة في حياة النبي بنحو إعجازي في مدة ثلاثة عشر عاماً، ليتم بذر النواة الأولى للأمة الإسلامية في المدينة المنورة، والذي أمكنه تحويل هذه النواة المحورية الى ما نعرفه عن الأمة الإسلامية في القرن الرابع والخامس للهجرة النبوية عبارة عن الايمان الثابت والتعاليم الواضحة والشاملة، والعزم الراسخ والجهاد المستمر، لتتحول تلك المجموعة الصغيرة من المسلمين الى أُمة عظمى تتمتع بالقدرة والعلم والعزّة، وتكون موئل العلم والحكمة وتصديرها لكافة أنحاء العالم.

سبب انتكاست أمة النبي صلى الله عليه وآله

ثم تعرضت هذه الأمة فيما بعد الى منعطفات وانتكاسات بسبب تنكرها لتلك التعاليم، فحيث أغفلت العلم والاخلاق والتكامل الاجتماعي والاقتدار المعنوي، والعزّة والوحدة، والعدالة على وجه التحديد توقفت الأمة الإسلامية عن التقدم، بل ونكصت على عقبيها، بل وتمكنت القوى الطامعة من تمزيقها وتضعيفها، والسيطرة عليها ونهب خيراتها.

عودة الأمة لتعاليم النبي صلى الله عليه وآله

وفي العصر الحاضر ومنذ العقود الاخيرة أدّت العودة لتلك التعاليم الى ظهور الصحوة الإسلامية من جديد، واعتلت راية التوحيد خفاقة مرة أخرى، وقد بلغت هذه الصحوة ذروتها بقيام نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي، ليشعر المسلمون بهويتهم وعزتهم. ونحن حالياً نواجه نفس التجربة التي واجهت الأمة الإسلامية في القرون التي بدأ فيها الزوال والانحطاط.

فحالياً تتعرض الأمة الإسلامية الى حملة تهدف الى القضاء عليها في مهدها، حيث بدأت القوى الاستكبارية الطامعة بخيرات البلاد الإسلامية ـ كما يصرحون بذلك ـ تحت حجج وذرائع كاذبة باسم الديمقراطية والحرية، في حين أن الهدف الحقيقي من وراء ذلك هو القضاء على مصدر العزّة الإسلامية ـ أي الإسلام وتعاليم النبي صلى الله عليه وآله ـ والقضاء على عناصر المقاومة، كي لا تبقى أي عقبة أمام الطامعين في خيرات هذه المنطقة، وكلما اظهرنا ضعفاً وعجزاً كان العدو يتقدم بنفس النسبة.

إن جميع بقاع العالم الإسلامي تتعرض حالياً للمصائب، فهناك مصائب في فلسطين، ومصائب في العراق، ومصائب في أفغانستان، وهناك كثير من الدول

الإسلامية تتعرض لتهديد هذه القوى الاستكبارية الطامعة، وبإمكاننا من خلال التمسك بتعاليم نبي الإسلام ﷺ أن نتغلب على هذا الضعف وأن نقف بوجه الأعداء، وإن ما يحتاجه العالم الإسلامي في الوقت الحاضر هو الإتحاد، فإنّ صدور الشعوب الإسلامية تضطرم بأنواع المظالم التي يرتكبها المستكبرون وأعداء الإسلام.

الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية

لم يكن منطق الاستكبار في يومٍ ما منطق الحوار والصلح العادل، بل كما تشاهدون نماذج ذلك في العالم فإن منطق الإستكبار هو منطق القوة والقتل والاستفادة غير العادلة من القوة التي يمتكلها، ولذلك فإنها تروّج الارهاب، في حين أن أميركا تقتحم البلدان باسم مكافحة الإرهاب، وتعرض الشعوب للكوارث وتحصدها بآلاتها ومعداتها الحربية فتقتل الأطفال والنساء والشيوخ، فهل الإرهاب غير استخدام القوة بشكل غير مشروع للإستيلاء على خيرات الشعوب والوصول الى الأهداف غير المشروعة؟!

إنّ نفس التواجد الأمريكي في العراق يعدّ تجاوزاً وانتهاكاً سافراً وظلماً واضحاً، وفي فلسطين حيث القلب النابض للعالم الإسلامي يتعرض الفلسطينيون قرابة ستين سنة لمظالم الصهيونية التي تستخدم قوتها بنحو غير مشروع لسحق الفلسطينيين، حتى اعتاد ساسة المسلمين منظر الجور الذي يطال العزّل من النساء والأطفال والشباب وهدم منازلهم ومزارعهم، فهل الإرهاب غير هذا؟!

لقد حمل مروّجوا الإرهاب راية القضاء على الإرهاب زوراً ونفاقاً، واتخذوا ذلك ذريعة لمهاجمة البلدان الإسلامية، فعلى العالم الإسلامي أن يتحد في وجه التحالف الاستكباري الأمريكي أياً كان وبجميع أنواعه، وليعلم المسلمون أن لا خيار لهم تجاه رفع الشر المتجسد بالاستكبار وأمريكا سوى الإتحاد، وإن أدنى مرونة أو تراجع لا

يمكنه أن يشبع النهم الاستكباري الذي لا يعرف الشبع، فإنهم لا يقنعون إلّا بالسيطرة المطلقة على العالم الإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص.

وعليكم أن تعلموا أنّ بإمكان الشعوب أن تقاوم، وأن تدحر القوى المدججة بأنواع الأسلحة المتطورة، كما تعلمنا ذلك من تجربتنا في الحرب المفروضة علينا سابقاً، ونجربها حالياً في فلسطين والعراق، حيث تخبط الأمريكان في وحل العراق، وعجز الصهاينة في كبح مجموعة صغيرة عزلاء إلّا من سلاح الإيمان والرغبة في نيل الاستقلال ورفض الظلم.

لقد منّ الله تعالى على المسلمين في باكورة البعثة وشدّ من عزائمهم في خوض هذه الميادين القاسية: **﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾**[١].

وإنّ رحمة الله للمسلمين والمؤمنين به تتجلى في أنهم إذا تخلوا عن بعض اللذات العابرة واختاروا الوقوف والصمود بوجه أمواج الكفر والفساد والاستكبار، فإنّ الله سيمدهم بعونه كما مدّهم سابقاً، إذ لم يكن في مقدور أحد أن يتصور إمكانية قيام الجمهورية الإسلامية في قلب العالم الإسلامي، حيث الضغوط الأمريكية والصهيونية.

ولكن برغم كل الضغوط تم غرس هذا البرعم الغض، وأخذ بالنمو، واستوى على ساقه وأثمر، وهو آخذ بالاشتداد والاستحكام بفضل الله وحوله وقوته. فهذه تجربة ماثلة أمامنا[٢].

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٣.

(٢) من كلمة ألقاها في: ٢٣/ ٦/ ١٣٨٣ الموافق ٢٧/ رجب/ ١٤٢٥ هـ. ق ـ طهران.

تصدي النبي صلى الله عليه وآله بنفسه للحاكمية

النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله لم يحبس نفسه في مكّة، ولو حبس نفسه في مكّة وفي داخل بيته، ولو لم يدعُ الناس للإسلام ولم يتعرّض لأحد، لم يكن الكفّار ليتعرّضوا له ويحاربوه [١].

والقرآن إذ يعبّر بقوله **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** ثمّ يقول **﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾** [٢] يريد بالنصر: النصر السياسي، والنصر العسكري، والوصول إلى السلطة وإلى سدّة الحكم.

اليوم هناك من يعترض فيقول: لماذا يقف البعض من علماء الدّين على رأس السلطة؟ في حين أنّ الأغلبية الغالبة من علماء الدين وطلبة العلوم الدينية مشغولون بمزاولة أعمالهم الخاصّة بهم في المدارس والمساجد. يقول هؤلاء لماذا سيطر هذا النفر من علماء الدين على السلطة؟ فذلك يخرج الدّين من قلوب الناس. أقول، كلا، إذا كان هؤلاء العلماء من العناصر الخيّرة والتقية وإذا كانوا عادلين ونزيهين فإنّ الشعب سيتّجه نحو الدّين والعلماء أكثر فأكثر، على رغم أنوف أولئك الّذين لا يسعدهم أن يروا ذلك.

وإذا كان الإنعزال عن السلطة ـ بالنسبة للحاكم الديني ـ يؤدّي إلى انتشار الدّين واتّساع رقعته، لكان أوّل من تنحّى عن السلطة هو الرسول صلّى الله عليه وآله، لقد كان بوسعه صلّى الله عليه وآله بعد أن هاجر إلى المدينة أن ينتخب واحداً من كبار الأنصار، وليكن على سبيل المثال سعد بن عبادة أو غيره ويولّيه زمام السلطة، ويفرّغ نفسه ليكون عالم المدينة وإمام الجماعة فيها. يكون ذاك الشخص هو الحاكم. لماذا لم

---

(١) من كلمة ألقاها في ٥ ذي القعدة ١٤١٥هـ

(٢) سورة النصر: ٢.

يخطُ الرسول هذه الخطوة؟ ولماذا أدرك عبدالله بن أبي سلول الّذي كان من المقرّر أن يُنتخب ملكاً من قبل الأوس والخزرج، وبقدوم الرسول صلى الله عليه وآله انهارت ملوكيّته المزعومة وتبدّدت، فأخذ في البداية يناصب العداء للرسول الله صلّى الله عليه وآله. والسؤال لماذا؟ لأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أمسك بالسلطة. هل من الممكن أن ننشر الدّين من دون الإمساك بزمام السلطة ؟

إنّ وقوع السلطة بيد الظلمة والجبابرة لمدّة زمنيّة طالت ١٣٠٠ عاماً وابتعاد أهل الدّين عن الحكم والسلطة طيلة هذه الفترة، أوجد هذا التفكير الخاطي، وهو أننا إذا أردنا للدّين أن ينتشر فلابدّ لأهل الدّين أن يتنحّوا جانباً وأن يكونوا بمنأى عن السلطة.

لو صحّ هذا الكلام فلماذا لم ينتشر دين الله في زمن بني أُميّة وبني العبّاس. حيث كان الأئمة موجودين وكانوا بمعزل عن السلطة. هذا الكلام الّذي يقوله البعض كلام فارغ.

أراد النبي للدين أن يحكم

كلاّ، إنّ دين الله إنّما يراد له أن يمسك بزمام السلطة، وهذا يعني أنّ على أهل الدّين أن يتصدّوا للسلطة، وإذا جاء أحد غيرهم للسلطة فسيحدث ما حدث طيلة هذه الألف والثلاثمائة سنة.

وهذا هو الخطأ الّذي الّذي وقع فيه بعض العلماء الّذين قاوموا الحركة الدستوريّة، عندما تخلّوا عن الدستوريّة وقبعوا في زاوية بعيداً عنها، أو لم يتداخلوا فيها أو لم يسمح لهم بالتدخّل فيها، والبعض الآخر من أمثال الشيخ فضل الله النوري الّذي أعدم. لقد كان الشيخ فضل الله النوري يرى أنّ على علماء الدّين أن يتدخّلوا في قضايا الدولة والحكم لأنّهم أهل الدّين.

ألا تريدون أن يكون الدّين هو الحاكم، إذن هذا التصوّر وهذا التحليل خطأ وليس له أي أساس من الصحة ومغاير لسنة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين والأئمة عليهم السلام.

هؤلاء يتصوّرون هذا التصوّر الخاطي وهو أنّ الناس ابتعدت عن الدّين بسبب تصدّي علماء الدّين للسلطة. نحن في داخل إيران وعلى علم تام بما يجري فيها، وبإمكانكم أن تسألوا الخطباء الّذين يصعدون المنابر في المناسبات والمجالس في أيّام شهر رمضان مثلاً، تسألوهم: هل ازداد تواجد الناس في المساجد في هذه السنة قياساً بما كانوا عليه قبل خمسة عشر سنة أو لم يزدد؟ ترى بماذا سيجيبون ؟ هل أنّ حضور الناس في صلاة الجماعة لهذه السنة أقلّ ممّا هو عليه في السنوات الماضية، أم أنّ حضورهم في تزايد مستمر[1].

(١) من كلمة ألقاها في ٢٣ شعبان ١٤١٥هـ

حروب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

النبي ومجابهة الاستكبار

إنّ جميع الأنبياء عليهم السلام جوبهوا من المستكبرين. ومن الآفاق المثيرة والجذّابة في القرآن هو جانب مجابهة الأنبياء للمستكبرين. ولو أنكم نظرتم إلى زمن جميع الأنبياء لرأيتم أنهم انتصروا على المستكبرين بلا استثناء. ربما استشهد بعضهم في منتصف الطريق أو مات، إلّا أن جبهة النبي كانت لها الغلبة على الدوام. وها هو القرآن يصرّح بالقول: ﴿**إننا لننصر رسلنا**﴾[١].

أحد جوانب هذه القضية هو أنّ أول عمل قام به المستكبرون عند مواجهتهم للأنبياء أنهم سخروا منهم واحتقروهم. قال تعالى لرسولنا الكريم ﴿**ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون**﴾[٢] مواساة له على ما كان يلقاه من امتهان وتثبيط لعزائم أتباعه.

تؤكد هذه الآية أنّ الكثير من الرسل استهزئ بهم، ومنهم الأنبياء الكبار كعيسى، وموسى، وابراهيم، ونوح إلّا أنّ المستهزئين قد حاق بهم ما كانوا يستهزئون به.

لعل الإسلام لم يول أهمية لقضية من القضايا الاجتماعية بقدر العدالة. تلاحظون في أكثر الروايات والأدعية والزيارات الواردة بشأن بقية اللّه والتي تتحدث عن

(١) سورة غافر: ٥١.

(٢) سورة الأنعام: ١٠.

القضايا التي تستتبع ظهوره، تأكيداً على أنه «**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً**». ومن الطبيعي أنّ الله يملأ الأرض بدينه على يد صاحب الزمان، لكن ما جاء في الزيارات والأدعية والروايات فهو أنه يملأ الارض قسطاً وعدلاً، ولم تقل انه يملأ الأرض بالدين أو دين الحق إلّا في بعض المواضع، أمّا ما يتعلق بكلمة «يملأ» فهو القسط والعدل، ومردُّ ذلك هو أنّ الناس يئنون تحت وطأة الظلم والجور أكثر من أي شيء آخر.

وهذه الحكومة قد سارت على طريق، ولا زالت تسير عليه، وقوامها بالعدالة أيضاً[1].

معركة بدر[2]

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم بدر متوجهاً بالدعاء إلى الله لنصرة الحق: «**اليوم برز**

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٤١٧هـ ـ جامعة طهران.

(٢) وجاء في تفصيلها: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكبا من قريش تجاراً قافلين من الشام، فخرج رسول الله في ثلاثمائة راكب ونيف و أصحابه أكثرهم مشاة، معهم ثمانون بعيراً وفرس، وذلك في شهر رمضان، فبلغ أبا سفيان الخبر، فأخذ العير على الساحل، وأرسل إلى أهل مكة يستصرخ بهم، فخرج منهم ألف رجل، معهم مائتا فرس ومعهم القيان (هي المرأة المغنية) يضربن الدفوف فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر وهي بئر وقد علم بفوات العير ومجئ قريش شاور أصحابه في لقائهم أو الرجوع، فقالوا: الأمر إليك وكان لواء رسول الله أبيض مع مصعب بن عمير ورايته مع علي، وأمدهم الله بخمسه آلاف من الملائكة، وكثّر الله المسلمين في أعين الكفار، وقلل المشركين في أعين المؤمنين كيلا يفشلوا، فأخذ كفا من تراب فرماه إليهم، وقال: شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلّا اشتغل بفرك عينيه وقتل الله من المشركين أربعين رجلاً وأسر سبعون. قصص الأنبياء – الراوندي: ٣٣٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٣.

الحق كله إلى الباطل كله»[١] .

وهذا هو الواقع فالرسول كان حقاً مطلقاً، والجبهة المعادية له كانت باطلاً مطلقاً. قل لي أين الحق في جبهة كفار قريش الذين كانوا مجرّدين من المعرفة ومن الأخلاق وكانوا يئدون بناتهم، ويسجدون للأصنام، ويظلم بعضهم بعضاً، ويقتل أحدهم الآخر؟ كانوا إذن تجسيداً للباطل المطلق، مثلما كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله تجسيداً للحق المطلق .

نستنتج في ضوء ذلك أنّ نظرية نسبية الحق مجرد سفسطة كلامية لا أقر بصحتها. أما قضية الوجود الخارجي للحق المطلق أو الباطل المطلق وتجسدها فينا، فهي بحث آخر. أجل أنا أوافق أيضاً على أنّ كل إنسان ومع أي فئة كان من الفئات السائرة على الحق، لابدّ وأن تشوبه شائبة من الخطأ والباطل. والعكس صحيح أيضاً[٢].

معركة أُحد

قال الله الحكيم في كتابه: ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تُحبون منكم من يُريد الدنيا ومنكم من يُريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾[٣].

الآية الكريمة التي تلوتها، واردة في معركة أُحد، فمع أنّ هذا المعركة كانت حادثاً

---

(١) عن الإمام علي (عليه السلام) : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلي تلك الليلة – ليلة بدر – وهو يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ، وأصابهم تلك الليلة مطر.

وقال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصباء ، فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال : شدوا ، فكانت الهزيمة . فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم. سيرة النبي (ص) – ابن هشام الحميري: ٢ / ٤٥٨.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٥ محرم ١٤١٩ هـ ق / جامعة طهران.

(٣) آل عمران: آية ١٥٢.

زمنياً قصيراً نسبياً وتافهاً بالقياس إلى الاحداث التاريخية والعالمية والاجتماعية الأخرى، إلّا أنّ الدرس الذي علمه القرآن إيّانا من هذه المعركة عظيم وخالد، وخلاصة ما حدث هو أنّ الله سبحانه وعد المسلمين بالعون، وهذا ما تحقق في أُحد فقال: ﴿**ولقد صدقكم الله وعده**﴾[١] أي أنّ وعد الله بمدّ يد العون إليكم قد تحقق، وانتصرتم مما اضطر العدو للتراجع والانسحاب حتى كنتم السبب وراء المشكلة التي أصابتكم. فقد ورد في الروايات أن النبي ﷺ قال: «**أنتم المنصورون أو أنتم الغالبون ما ثبتّم**».

حتى إذا طغى حب الدنيا، والغفلة عن الواجب، والتنافس على الحطام الدنيوي الفاني على الشعور بالتكاليف وتحكيم الضمير الباطني الديني، انقلب الأمر، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم**﴾[٢] بتركّكم أماكنكم التي قيل لكم أحرسوها والزموها انعكس الأمر وتغيّر، قال تعالى ﴿**ذلك بأنّ الله لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾[٣].

وهذا قانون كباقي القوانين الطبيعية والتاريخية الأخرى، كقانون الجاذبية مثلاً، فالله سبحانه وتعالى لا يسلب نعمة من أحد، بل نحن الذين نغيّر بسلوكنا وسوء تدبيرنا في الأمور، ومن هنا يأتي القرآن ليعلّمنا الإستغفار من الإسراف في أمورنا فيقول: ﴿**ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا**﴾[٤].

ثم يقول سبحانه ﴿**من بعد ما أراكم ما تحبّون**﴾ فإنهم اخطأوا بعد أن اراهم الله آيات النصر، إلّا أنهم حيث كانوا يؤمنون بالله ولم ينفضوا أيديهم تماماً ولا تركوا الهدف، ولا دلسوا إيمانهم بالله، فقد عفى الله عنهم حيث قال: ﴿**ولقد عفى عنكم**﴾ أي

(١) سورة آل عمران: ١٥٢.
(٢) سورة آل عمران: ١٥٢.
(٣) سورة الأنفال: ٥٣.
(٤) سورة آل عمران: ١٤٧.

عن خطأكم وسيثبتكم ويعينكم في المستقبل ﴿**والله ذو فضل على المؤمنين**﴾[١].[٢]

العبرة من معركة أُحد

عصرنا هذا يا أعزائي شبيه بمعركة أحد؛ فإن أحسنًا ستكون الهزيمة من نصيب العدو، ولكن إذا وقعت أبصارنا على الغنائم ولاحظنا بضعة أشخاص يتكالبون على جمع الغنائم، وغلبتنا مشاعر الطمع وتركنا مواضعنا وانهمكنا في الاستحواذ على الغنائم، تنعكس المعادلة حينذاك. أنتم تعلمون كيف انعكست القضية في معركة أحد، ولقد تكررت معركة أحد على مدى تأريخ الإسلام.

القائد الرباني الذي يرى بصفاء قلبه صفحة الحقيقة انتدب لذلك الموضع فئة من المسلمين وأوصاهم بعدم مغادرة أماكنهم، وأن يحرسوا هذه الجبهة. ولكن ما إن وقعت أبصارهم على الغنائم وشاهدوا أفراداً يحوزون الغنائم، زلزلت القلوب طمعاً. ولو استنطق كل منهم لقالوا: نحن أيضاً بشر، وقلوبنا تهوي مستلزمات العيش الرغيد. هذا صحيح، ولكن لاحظتم النتائج التي أدى إليها هذا الخنوع أمام الأهواء البشرية التافهة؛ فقد كسر ضرس الرسول صلى الله عليه وآله، وأصيب بجراح، وغُلبت جبهة الحق، وانتصر العدو واستشهد الكثير مِنْ أكابر المسلمين.

نداء الشهداء يدعو إلى عدم الانصياع لهواجس الغنائم. هذا هو نداؤهم لي ولكم ولجميع من يكرّم هذه الدماء الطاهرة المسفوكة ظلماً. لا تنظروا إلى من يعصي ويتجه إلى جمع الغنائم ﴿**لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾[٣]، عليكم بأنفسكم ولا يشغلنكم مَن اختار طريق الغواية. هذا ما يأمر به الإسلام وما تدعو إليه دماء الشهيد.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ٣ صفر ١٤١٢هـ.

(٣) سورة المائدة: ١٠٥.

يوم استشهد هؤلاء الأعزاء في الجبهة، كان بعض المخلّفين منهمكين في الكسب، وبعضهم الآخر غارقاً بجمع الأموال، وآخرون منكبين على انتهاز الفرص، وبعضهم الآخر كان منغمساً في الخيانة.

أما الشهداء فقد ساروا صوب الجبهات بدون الإلتفات إلى هؤلاء. وكانت النتيجة هي أنهم استطاعوا حفظ النظام الإسلامي، وغدا كل واحد منهم اليوم كوكباً منيراً ونجماً ساطعاً.

وعلى هذا يكون النداء الأول هو نكران الذات أمام الله تعالى، وأمام عباده، وأمام الإرادة الإلهية. ويجب علينا استيعاب هذا النداء، يا أعزائي، لا يمكن التغافل عن هذه الحقائق والمرور عليها مرّ الكرام؛ إنّها تستدعي من الإنسان العزم والإرادة.

النداء الثاني في مقابل أعداء الله، ومعناه الصمود والثبات المطلق بوجه العدو وعدم خشيته، وعدم التهيّب منه، أو الانفعال أمامه، ومن المهم جداً أن لا ينفعل المرء مقابل عدوّه[1].

ما مرّ كان صورة عما حدث في أُحد وهو درس عظيم لنا، إذ لا ينبغي أن نعتبر تلك الساعات القليلة التي حدثت فيها المعركة لا ترتبط بنا، فمجتمعنا يعيش الوضع نفسه منذ انتصار الثورة ولحد الآن، وما تحقق لنا من نصر كان نصراً مقطعياً، فنحن لازلنا مأمورين بحراسة الثورة والمحافظة عليها، فاذا غفلنا عن ذلك يلتّف العدوّ علينا ويصيبنا بخسائر عظيمة لا تعوض.

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجّة الحرام ١٤١٧هـ

الغفلة وأثرها

لننظر الى مسيرة الثورة منذ انتصارها ولحد الآن فسنجد أنّ الغفلة كانت السبب وراء كل حادثة خسرنا فيها وكل التفاف حدث علينا، تعالوا نسعى للعثور على موضع الغفلة، ودعونا من السعي وراء التحاليل السياسية في كل واقعة، لا ريب أني لا أنكر الفعل والانفعال والتأثير الخارجي الواقعي والسياسي، لكن سر القضية يكمن في ذواتنا.

يقول سبحانه وتعالى في نفس السياق بعد آيتين ﴿**إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا**﴾[١] فما تحقق لنا من نصر كان بسبب التقوى وأية خسارة قد نصاب بها في واقعة معينة لا بد أن يرجع سببها الى تزلزل في تقوانا وضعف في ذواتنا ومرض في نفوسنا نحن عنه غافلون.

علينا أن لا نغفل فإنّ أكبر عذاب إلهي ينزل بأمة عندما تصاب تلك الأمة بالغفلة، وأسوأ مرض تصاب به الأمة الغفلة، يجب أن لا نغفل عن ذكر الله، يجب أن يكون الله حاضراً في نفوسنا وقلوبنا وفي جميع قراراتنا وحركاتنا، في الأعمال الإدارية والسياسية والعسكرية، وعند صرف الأموال وتخصيص الميزانية، ووضع القوانين والقضاء، وفي جميع الحالات يجب علينا أن نذكر الله، يجب أن نعمل لله تعالى، وبهذا النحو يتقدم المجتمع فالكل يحتاج الى التقوى أنا وأنتم نحتاج التقوى لأمرين:

سبب حاجتنا للتقوى

الأمر الأول: إذا عملنا من غير تقوى وأصبنا أثر ذلك بخسارة فإنها تنزل بالإسلام لا

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٥.

بنا، وعندها يكون الوزر والوبال على عاتقنا.

لقد ذكرت على ما يخطر ببالي في إحدى خطب صلوات الجمعة قصة لمولوي لا زلت كلما تذكرتها اهتز، وحاصلها أنه كان في إحدى المدن الإسلامية محلّة يقطنها النصارى، وقد تعلق قلب إحدى الفتيات المسيحيات بالإسلام ورغبت في اعتناقه، وقاطعت الكنيسة والمراسيم الدينية، وقد احتار والدها في أمرها، وحدث أن عثر على مؤذن قبيح الصوت، فأعطاه الأب مالاً، وقال له: أذّن عند بيتنا، فعندما أذّن ذلك الشخص، وارتفع صوته النَكِر أصاب الذعر أهالي المحلة، فسألت الفتاة، ما الخبر؟ فأجابها الأب لا شيء إنه أذان المسلمين فقالت الفتاة: أهؤلاء هم المسلمون؟ فزال حبّ الإسلام من قلبها.

هذه القصة يذكرها مولوي في كتابه (مثنوى) وهو كتاب ملي بالحكمة وهذه من حِكمهِ.

وهذه حقيقة فإنه ينظر الى الإسلام من خلالنا، وبواسطتنا يتعرفون على الحقائق الإسلامية، وعندما نخطئ يحسب خطأنا على الإسلام، وانكسار المسلمين لا سامح الله يحسب على الإسلام أيضاً، إذ يقولون إنّ الإسلام انكسر، ولا يقولون إنّ مجموعة من الناس لم تفهم الإسلام، ولم تعمل به بالشكل الصحيح قد انكسرت. هذا هو فهمهم فلا تقولوا حتى بألسنتكم أنّ نظامنا ليس قيمياً بل هو كسائر أنظمة العالم فإنّهم يكونون قد وصلوا الى هدفهم وهذا انكسار لنا، فإنّ هدفهم تحطيم هذه الجبهة وهذه الجبهة لا تتقدم إلّا بالتقوى والطهارة والنزاهة ومحاسبة كل منا لنفسه محاسبة دقيقة وسليمة: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا**»[1] بدون ذلك لا يمكن أن يتقدم النظام.

إذا تصور أحد أننا نقوم بنفس الأعمال التي تقوم بها الحكومات الأخرى

---

(١) وسائل الشيعة: ١٦ / ٩٩ ح ٢١٠٨٢.

وموظفوها في العالم فذلك خطأ، فنحن نملك اصولاً وأساليب مخصوصة أساسها الإسلام، وهذه الأصول يجب أن تحكم العالم لا أن نقبل بالاصول الخاطئة الجاهلية السائدة في العالم الاستكباري التي يريدون فرضها علينا.

يجب المحافظة على النظام بالتقوى

يجب أن لا نغفل عن ذكر الله ولا ننسى الموت والحساب الإلهي، فلو تعرض عملنا أو احتملنا تعرضه لتفتيش مفتش بشري ضعيف قليل الاطلاع، لأخذنا جانب الحيطة والحذر، فكيف بنا ﴿**ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها**﴾(1).

عندما نصاب بالتعب ونشعر بعدم ضرورة الاستمرار بالعمل، وعندما يأتينا صديق، وعندما تميل أنفسنا، وتبرز روح الأنانية والتفكير الشخصي، وعندما يتخذ موقف باطل أزاء أخ مسلم، عندها تذكروا هذه الآية (ما لهذا الكتاب.....) فالآخرون لا توجد لديهم هذه الآيات، والأنظمة التي لا تعتقد بالله والقيامة يتصرف أصحابها على أساس الخداع والحيلة وقلب الأمور والتمويه حتى لا يطلع المفتش والقاضي والمحكمة والجهات العليا وتنتهي القضية.

أما نحن فلسنا هكذا، فعندما لا يطلع الأخرون، ولا يشخصوا خطأنا، تبدأ مشكلتنا، فلا ينبغي لأنفسنا أن تتغلب علينا، وتوسوس لنا.

أيها الأخوة يجب المحافظة على النظام على أساس التقوى وطريق التقوى ذكر الله تعالى .

إنّ أقل فشل تصاب به أمتنا اليوم يؤدي الى تراجع الصحوة الإسلامية خمسين سنة

(1) سورة الكهف: ٤٩.

أو أكثر الى الوراء، فهؤلاء الشباب في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وحتى في مدن البلدان الأوروبية يهتفون باسم الإسلام، ويتحركون باسم الجمهورية الإسلامية، هؤلاء شاهدوا الإسلام مع كل هذا التقدم مع ذلك الوجه النوراني والكلمات النورية، والإدارة الإلٰهية للمجتمع مع تلك التقوى التي عمّت المجتمع ببركة الثورة الإسلامية وشملت جميع الأفراد وبمستويات مختلفة فإن حصل انكسار أو فشل أو عمل شيء فستبقى آثار وتغيرات سلبية، ويتجرأ العدو علينا.

التوفيق مشروط بالتقوى

الأمر الثاني: إنّ حركة هذا النظام وموفقيته لا تتحقق إلّا ببركة التقوى.

وهذه خصوصية النظام الالهي فنظام الحق لا يتقدم إلّا بالتقوى، أما نظام الباطل المقابل لنظام الحق فهو شكل آخر، وهناك ثمة أصول وقواعد يجب الالتزام بها أيضاً حتى يمكن التقدم، أما التقوى فهي بمعنى الطهارة والنقاء والورع ورعاية كل القيم المطلوبة في مجتمع إسلامي عقائدي، أما في جبهة الباطل فهذه الأمور ليست لازمة، فهؤلاء لما كانوا غير ملتزمين، فلا يتورعون عن الأساليب الباطلة، ولا تهمهم النتائج القبيحة، فهم يقتحمون، ويتحركون ويفقدون شيئاً ويكسبون آخر. أما جبهة الحق فليست كذلك فهي لا تستطيع الوقوف بوجه الباطل والتقدم إلّا عندما تكون مع الله ومتحلية بالتقوى فقط لا غير.

يجب المحافظة على أن يكون نظاماً دينياً، نظاماً قيميّاً ولكن الاستكبار وأياديه وأبواقه يسعون في هذه السنوات الى إقناعنا بعدم فائدة ذلك، وإيصالنا الى حالة الندم فتراهم يكثرون القول بأنّ هؤلاء رجعيون متعصبون، وقد قاموا بعرض بعض الأحكام الإسلامية وشوهوها، ويحسبون أعمالنا الشخصية أو أعمال غيرنا من المسلمين على الإسلام، كل ذلك من أجل أن نرتعب وتزهق نفوسنا، وتسبق منا كلمة، ونقول، نظامنا

ليس نظاماً دينياً بل هو نظام كسائر أنظمة العالم المختلفة[١].

غزوة حمراء الأسد

وفيها نزل قوله تعالى[٢]: ﴿**الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**﴾[٣]، فكان جوابهم ﴿**حسبنا الله ونِعم الوكيل**﴾[٤] وبالتأكيد فإن ﴿**حسبنا الله ونعم الوكيل**﴾ لا يتأتى مع القعود والراحة. فليس من المعقول أن نعقد أيدينا على صدورنا، ولا نبذل جهداً، ولا نقوم بحركة، ولا نحمل أرواحنا على أكفنا، ولا نريق ماء وجوهنا، ثم نقول ﴿**حسبنا الله ونِعم والوكيل**﴾ وليس الله بكاف عبده إلّا أن يجاهد في سبيله في ساحة النزال.. وإننا اليوم في ساحة للقتال حتى لو لم تكن معركة عسكرية ولا حرب حياة أو موت.

ولأن المستكبرين في العالم يعادون الإسلام والنظام الإسلامي بضراوة، فكل إجراء جيد نقوم به، وكل قانون جيد نشرعه، وكل تطبيق جيد نقدم عليه، وكل حكم جيد نصدره، وكل حركة جيدة تبدر منا، وكل عمل تكون غايته تقوية هذا النظام وتقوية الإسلام، فإننا في الواقع نكون قد وجهنا ضربة للعدو، وعندئذ نقول ﴿**حسبنا الله ونِعم الوكيل**﴾ ويكون الجواب الإلهي ﴿**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**﴾[٥] [٦].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٣ صفر ١٤١٢هـ.

(٢) انظر الصحيح من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله: ٨ / ٣٧١ - ٣٧٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٤.

(٦) من كلمة ألقاها في ٧ ربيع الثاني ١٤٢١هـ - طهران.

حرب الخندق

كانت معركة الخندق آخر المعارك التي شنها مشركو قريش ضد النبي صلى الله عليه وآله بل وهي واحدة من أهمها حيث استجمعوا قواهم واستعانوا بالآخرين أيضاً للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وعدّة مئات من أصحابه المقربين ـ حسب زعمهم ـ ونهب المدينة ثم يعودون وقد ارتاحت خواطرهم حيث لا أثر للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه؛ وقبل قدومهم نحو المدينة كان النبي صلى الله عليه وآله قد علم بالأمر فبادر إلى حفر خندق عرضه أربعون متراً تقريباً من الجهة التي يسهل اختراقها.

كان ذلك في شهر رمضان والمناخ قارص البرودة كما تنقل الروايات، ولم يهطل المطر في ذلك العام، من هنا فقد عمّ الجدب وعانى الناس من المصاعب.

كان النبي صلى الله عليه وآله أكثر الناس عملاً في حفر الخندق؛ فحيث وقعت عيناه على مَن أعياه العمل وأصيب بالارهاق أو عجز عن المواصلة، كان صلى الله عليه وآله يتناول معوله ويمارس العمل والبناء بدلاً عنه؛ فلم يسجل حضوره بإصدار الايعازات فقط، بل كان يشارك المسلمين بكيانه ووجوده أيضاً، ولمّا رأى الكفار الخندق ولمسوا عجزهم أصيبوا بالإحباط والهزيمة وافتضح أمرهم، وأخيراً اضطروا للإنسحاب، إذ ذاك نادى النبي صلى الله عليه وآله بأن الأمر قد انتهى، وهذه كانت آخر المعارك التي يشنها كفار مكة ضد المسلمين، وقد حل دور المسلمين للتوجه نحو مكة(١).

---

(١) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

صلح الحديبية

بعد عام من حرب الخندق أراد النبي صلى الله عليه وآله التوجه إلى مكة لأداء العمرة ـ وأثناء ذلك وقع صلح الحديبية الغني بالمعاني والأهداف ـ وكان مسير النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة في شهر محرم الحرام ـ حيث كانوا يحرمون فيه القتال ـ فأصبحوا في حيرة من أمرهم ما عساهم صانعين؛ أيسمحون له بالتقدم في مسيره؟ وماذا سيفعلون أزاء نجاحه هذا، وكيف يواجهونه؟ أيقاتلونه وهم في شهر محرم؟ وكيف يقاتلونه؟ وأخيراً قرروا عدم السماح له وإبادته هو وأصحابه إن سنحت لهم الفرصة.

تميز تصرف النبي صلى الله عليه وآله بأسمى درجات التدبير، حيث قام بما دفعهم لأن يجلسوا مع النبي صلى الله عليه وآله ويبرموا معه صلحاً لكي يعود إلى المدينة على أن يأتي في العام القادم لأداء العمرة، وتفتحت الأجواء جميعها أمام النبي صلى الله عليه وآله من أجل التبليغ؛ كان ذلك صلحاً، بيدَ أن الباري تعالى يصرح في كتابه بالقول: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾[١] ومن يراجع مصادر التاريخ المتقدمة والصحيحة يجد العجب في واقعة صلح الحديبية.

وفي العام التالي توجه النبي صلى الله عليه وآله لأداء العمرة وأخذت شوكته تزداد قوة يوماً بعد يوم، ولما نقض الكفار العهد في العام اللاحق ـ أي العام الثامن للهجرة ـ تقدم النبي صلى الله عليه وآله نحوهم وفتح مكة، فكان فتحاً عظيماً ينبئ عن اقتدار النبي صلى الله عليه وآله وتمكنه.

وتأسيساً على ذلك فقد اتسم تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع هذا العدو بالتدبير والاقتدار والتأني والصبر بعيداً عن الارتباك، ولم يتراجع أمامه ولو خطوة واحدة، بل كان يتقدم نحوه يوماً بعد يوم وآناً بعد آن[٢].

وهناك أمور تتعلق بصلح الحديبية وما تلاه من اختبارات مهمة وذات مغزى عميق

(١) سورة الفتح: ٢.

(٢) من كلمة ألقاها في: ٢٤ صفر ١٤٢٢هـ ـ طهران.

حصلت في عهد الرسول ﷺ فروي أنه بعد أن سار الرسول الأعظم ﷺ إلى الحديبية قاصداً مكّة، وعند توقّفه في الحديبية حاول المشركون فرض الحرب عليه، غير أن التدبير الإلهي للنبي الأكرم ﷺ حال دون ذلك، وعاد المسلمون دون أن يدخلوا في الحرب، وتمكن الرسول من عقد معاهدة مع المشركين، كانت على درجة من الأهمية بحيث أشارت إحدى الروايات إلى أن سورة الفتح نزلت بشأن هذه المعاهدة وعبّرت عنها بالفتح، وذلك قوله تعالى: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾[1] وقد استطاع الرسول أن يشرح الأوضاع للمسلمين من خلال الآيات الشريفة ويعيّن لهم مواقع الجبهات[2].

لقد تذرع عدد من المسلمين الذين ألجأهم الخوف إلى التخلف عن مرافقة الرسول عند توجهه إلى الحديبية ظناً منهم أن الرسول ﷺ وكل المسلمين سيُقتلون على أيدي الكفار؛ تذرعوا للرسول عند عودته بأنهم منعتهم مشاغلهم عن مرافقته، وطلبوا منه أن يستغفر لهم ربّهم، بينما كان كلامهم نوعاً من التظاهر، ولم يطلبوا الاستغفار حقّاً، وهم يظنون أن عدم ذهابهم كان ذكاءً منهم؛ تقول الآية الشريفة: ﴿**سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم**﴾[3].

وأمثال هؤلاء لا يمكن وصفهم بأنهم أعداء أو كفار أو منافقون، كلاّ، ولكنهم ذوو نفوس ضعيفة ومنهارة. والناس الضعفاء لا يمكنهم تأدية دور عند الشدائد.

هذه هي الروح المعنوية التي يكون النظام الإسلامي والمجتمع الإسلامي والمسؤول الإسلامي مسؤولاً عنها[4].

---

(١) سورة الفتح: ٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ ـ طهران .

(٣) سورة الفتح: ١١.

(٤) من كلمة ألقاها في ١٦ رمضان ١٤٢٠هـ ـ طهران .

فتح مكة

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً * هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾[١].

قد تكرر عنوان «إنزال السكينة» على قلوب المؤمنين ثلاث مرات في هذه السورة[٢]، فمن الاختبارات المرة والصعبة التي تعرض لها المسلمون كانت هذه القضية المتصلة بسورة الفتح حيث قرر النبي الأكرم ـ وفي ضوء سياسة سليمة وإلهية ـ التوجه نحو مكة التي كان أهلها ـ وقبل سنتين من هذه الواقعة ـ قد حاصروا المدينة محاولين الفتك بأهلها ووقعت معركة الأحزاب بظروفها الصعبة حيث كانوا متعطشين لدماء النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فقال النبي صلى الله عليه وآله إننا نريد العمرة وخاطب المسلمين داعياً إياهم للذهاب، فخاف البعض وقالوا إنّ النبي لن يعود للمدينة وهو محكوم بالفناء والإبادة، وبهذه الواقعة تتعلق قضية «إنزال السكينة» إذ أن الله سبحانه وتعالى قد بعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين بحيث ذهبوا وواجهوا العدو ثم عادوا مكللين بنصر مؤزر وتحقق ما كان يبتغيه النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة الفتح: ١ ـ ٦.

(٢) وهي: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ الآيات من سورة الفتح: ٤ ـ ١٨ ـ ٢٦.

أسلوب الدعوة عند النبي صلى الله عليه وآله

صعوبة بداية دعوة النبي صلى الله عليه وآله

طرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله دعوته في مجتمع كانت جميع العوامل فيه تناهض هذهِ الدعوة، فجهْل الناس وحميّتهم، وشرف الأشراف المسيطرة على الناس تقف تجاه هذه الدعوة. فأي نجاح يمكن أن تطمح به دعوة كهذه في المجتمع.

قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بطرح مثل هذه الدعوة ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[١]، في البداية عمد الأعمام المتكبرون وأصحاب الرؤوس المليئة بالعصبية والغرور والعنجهية وغير المذعنة للحق والساخرة بكل كلام متين في الدنيا، عمدوا إلى الاستهزاء والسخرية، مع أنه صلى الله عليه وآله كان جزءاً منهم وكانت عندهم عصبية تجاه العِرق، فجميع الناس آنذاك كانوا كذلك، فأحياناً يقتتلون عشر سنوات انتصاراً لقريب لهم. ولكنه عندما حمل هذا القريب هذا المشعل بيده زوى الجميع أعينهم وصرفوا وجوههم ولم يحتفلوا به وأهانوه وحقّروه وسخروا منه[٢].

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٢) قال عز من قائل : (ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا) كانت قريش يؤذون النبي صلى الله عليه وآله بجميع ما يمكنهم حتى كان يصلي في البيت إجتمعوا حوله فبعض يصفق وبعض يصوت ويؤذونه بالليل إذا تلى القرآن وصلى عند الكعبة ، وكانوا يرمونه بالحجارة ، إن المنافقين في تبوك إذا خلا بعضهم بعضا سبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وهموا بقتله ثمانية من قريش وأربعة من العرب ليلة العقبة، وكان الحكم بن أبي العاص عم عثمان بن عفان يستهزئ من رسول الله بخطوته في مشيته =

وهنا قام الغلام وقال: أنا يا رسول الله. طبعاً كان قد آمن قبل ذلك إلّا أنّه هنا أعلن إيمانه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) هو ذلك المؤمن الذي لم يكن إيمانه مستوراً أبداً طيلة ثلاث عشرة سنة من بداية البعثة إلّا في الأيام القليلة الأولى، فقد أخفى المسلمون إيمانهم لعدة سنوات، إلّا أنّ الجميع كانوا يعرفون بأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قد آمن منذ البداية.

جسّدوا هذا الأمر في ذهنكم بشكل صحيح ففي الوقت الذي يمارس فيه الجيران وكبار المجتمع الإهانات والتضييق، إذ يسخر الشاعر والخطيب والثري، ويوجّه الحقير والسافل الإهانات، يقف الإنسان وسط هذهِ الأمواج الجارفة والمعارضة شامخاً صلباً كالجبل الأشم معلناً: عرفت الله، وعرفت هذا الطريق وأصر عليه. فهذه هي الشجاعة، وقد تجسّدت هذهِ الشجاعة في مكة والمدينة وفي مبايعة النبي الأكرم ﷺ(١).

=، ويسخر منه وكان رسول الله ﷺ يوماً والحكم خلفه يحرك كتفيه ويكسر يديه، خلف رسول الله ﷺ استهزاء منه بمشيته فأشار رسول الله ﷺ هكذا تكون، فبقي الحكم على تلك الحالة من تحريك أكتافه وتكسّر يديه. وكان المستهزؤن برسول الله ﷺ خمسة أقبلوا إليه وقالوا: يا محمد ننتظر بك الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك، فدخل النبي منزله مغتماً بقولهم حتى نزل جبرئيل بهذه الآية (إنا كفيناك المستهزئين) وكان هلاكهم في ساعة واحدة، وبقي منهم واحد الى أن قتله الله وهو المغيرة بن أبي العاص.

وكان ﷺ يصلي جاء أبو جهل ليطأ على رقبته فجعل ينكص على عقبيه فقيل له: إن بيني وبينه خندقاً من نار مهولاً، ورأيت ملائكة ذوي أجنحة.

قال ابن عباس: إن قريشاً أجتمعت في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومنوه لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحد ولنقتلنه فدخلت فاطمة على النبي ﷺ باكية، وحكت مقالتهم فقال: يا بنية احضري لي وضوئي فتوضأ ودعا، فدفع الله عنه شرهم (شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري: ٢ / ٢٢٩.

(١) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ.

بيعة الرضوان

فقد عمد النبي الأكرم ﷺ عدّة مرات ولعدة مناسبات على أخذ البيعة، وإحدى تلك البيعات وربما أصعبها هي بيعة الشجرة (بيعة الرضوان) في حادثة الحُديبية.

فعندما إزداد الموقف حرجاً جمع النبي الأكرم ﷺ ذلك الألف وبضع مئات من الذين تحلّقوا حوله ـ على ما هو مذكور في كتب التاريخ[1] ونقله الجميع قائلاً: تبايعوني على الموت وعدم الهزيمة وأن تحاربوا حتى النصر أو القتل.

وأتصور بحسب الظاهر ـ أنّ النبي ﷺ لم يأخذ مثل هذهِ البيعة من المسلمين في موضع آخر غير هذا الموضع، وكان في هذهِ الجماعة مختلف الناس وكان فيهم ضعاف الإيمان إذ يذكرون بعض الأسماء أيضاً وفيهم حتى من المنافقين في هذهِ البيعة.

وأول من بايع لرسول الله ﷺ هو شاب يافع له من العمر عشرون سنة ونيف ألا وهو علي بن أبي طالب ، فرفع يده وقال: (أبايعك على الموت)، وبعد ذلك تشجع المسلمون وتقدموا وبايعوا واحداً بعد الآخر. وحتى الذين لم يرغبوا في ذلك اضطروا إلى المبايعة ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم...**﴾[2] وهذهِ شجاعة من أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي حياة النبي ﷺ أينما وجد موضع لإظهار الجوهر الإنساني كان هذا العظيم يتقدم، فكان السبّاق في كل الصعاب[3].

---

(١) انظر مسند أحمد: ٣ / ٣٢٢، ومكاتيب الرسول: ١ / ٢٥٠ .

(٢) سورة الفتح: ١٨.

(٣) من كلمة ألقاها في ١٩ رمضان ١٤١٦ هـ

إبتلاء النبي صلى الله عليه وآله

أنظروا كيف أن الله عزّ وجلّ قد إبتلى نبيه الكريم إبتلاءً عسيراً وكانت سمعة النبي وشأنه أكثر ما تعرض للصدمة في تلك الواقعة التي ورد ذكرها في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسِكْ عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه**﴾[١].

كان ممكناً في تلك الواقعة أن يُثار الرأي العام ومشاعر الملأ ضد النبي، إذ كان الموقف موقف إتهام ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾[٢]؟، فيقول الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله: إنك تخشى كلام هذا وذاك بينما يتعين عليك أن تخشى الله، والنبي صلى الله عليه وآله بخشيته الله سبحانه إجتاز ذلك الإبتلاء العسير والصعب، ثم يرد الذكر في الآية المثيرة؟ ﴿**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا**﴾[٣].

وهذا ما يتميز به تبليغ رسالات الله ويستلزمه، فقد يضع الإلتباس وسوء الفهم أو الدعايات المعادية فئة من الناس في مواجهة الإنسان ويبقى السبيل الوحيد للمواجهة هو أن يتخذ الإنسان الحساب الإلهي ملاكاً، لذلك يقول تعالى في خاتمة هذه الآية ﴿**وكفى بالله حسيباً**﴾، فالله هو المحاسب وهو الذي سيحكم ما إذا كنا أنا وأنتم قد أحسنّا التحرك في هذا الطريق أم لا!

وحينما يقضي الله، إذ ذاك تكون ميزة الوقوف مع الله أنه هو الذي سيتكفل إصلاح

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٩.

ما يصدر عن الناس «**من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس**»[١].

وهذا ما يتكفل به الله تعالى مثلما تولى إيضاح الحقيقة في تلك القضية ـ قضية النبي صلى الله عليه وآله ـ.

قام الباري تعالى برفد الناس بالمعلومات، أي أنه أوضح حقيقة الأمر وأفهم الناس أن هذا الفعل الخطير الذي ولّد سوء الظن لدى الناس إزاء النبي الأكرم إنما هو سنّة خاطئة لابد من القضاء عليها في المجتمع بشكل عملي ﴿**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له**﴾[٢] فلقد أوجب الله تعالى عليه أن يفعل ما من شأنه إزالة هذه السُنة الخاطئة من أوساط الناس حيث يتبنى إبناً ويتخذه ولداً لما كان يتسبب به من مشاكل للنظام الإجتماعي يومذاك، ومن أجل هذه المهمة جعل من نبيه قرباناً للحقيقة ونزل به إلى الميدان لكنه دافع عنه وقام بمهمة الرفد المعلوماتي، وهذا هو أساس العمل حيث نبادر ونقوم ببيان الحقيقة، فبدون بيان الحقيقة سيبقى الرأي العام يدور في دوامة الظلام وتبقى الأجواء ملبدة بالغبار فيستغلها العدو[٣].

النبي صلى الله عليه وآله في الشُعب

مرّت في الشعب على المسلمين فترة عصيبة من تاريخ صدر الإسلام. فبعدما أعلن الرسول دعوته في مكة بدأ أهالي مكة يستجيبون له وخاصة الشباب منهم والعبيد. أما أكابر الطواغيت من أمثال أبي لهب وأبي جهل فرأوا أنهم لا سبيل أمامهم سوى إخراج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأصحابه من مكة؛ وهكذا أخرجوهم وكان عددهم قد بلغ عشرات العوائل .. وفيهم الرسول وأهل بيته وأبو طالب الذي كان من أكابر

(١) نهج البلاغة: ٤ / ٢٠ رقم ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٨.

(٣) من كلمة ألقاها في ٢٧ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ ـ طهران.

قريش ووجوهها.

كان لأبي طالب عليه السلام شعب ـ والشعب هو الشق بين جبلين ـ على مقربة من مكّة يُسمّى بشعب أبي طالب، عزموا على الذهاب إليه مع ما يتسم به جو تلك المنطقة من حر شديد في النهار وبرد قارس في الليل. أي أنّ الظروف كانت صعبة لا تُطاق، إلّا أنهم مكثوا ثلاث سنين في ذلك الشعب القاحل وتحملوا الجوع وتجرعوا الشدائد والمحن. وكانت تلك الفترة من الفترات العسيرة التي مرّت في حياة الرسول الذي لم تنحصر مسؤوليته حينذاك في قيادة تلك المجموعة وإدارة شؤونها، بل كان ينبغي عليه أيضاً الدفاع عن موقفه أمام أصحابه الذين وقعوا في تلك المحنة. فأنتم على بيّنة أنّ الجماعة الملتفّة حول القيادة، تبدي إرتياحها ورضاها في حال الرخاء.. وتعبّر عن امتنانها. ولكن حينما يعرّضون للبلاء أو يقعون في محنة يبدأ الشك يتسرب إلى نفوسهم ويلقون على تلك القيادة مسؤولية قيادتهم إلى ذلك المآل الذي لم يكونوا راغبين في الوقوع فيه أبداً.

من الطبيعي أنّ أصحاب الإيمان الراسخ يصمدون ويصبرون في مثل هذه الظروف، إلّا أن جميع الضغوط تصب في نهاية المطاف على كاهل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وفي تلك الظروف العصيبة والضغوط النفسية الشديدة التي كان يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله توفي في أسبوع واحد كل من أبي طالب الذي كان أكبر عون وأمل له، وخديجة الكبرى التي كانت خير سند روحي ونفسي له، فكانت حادثة مريرة بقي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على أثرها وحيداً فريداً[1].

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

أساليب النبي صلى الله عليه وآله المتعددة

لقد طبّق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقانون الإسلامي في بعض الموارد حدوداً تتسم بالشدّة، مع أن بعض هذه الحدود الإلهية لو تم طرحها وتناولها في تلك البيئات والثقافات الغربية لكانت أمراً لا يحتمل ولسارعوا إلى رفضها، مع أن الصحيح هو ما جاء به الإسلام، ولو احتلّت هذه الحدود الإلهية مكانها المناسب وحدث التنسيق المطلوب بينها وبين سواها من الأمور الضرورية لكان فيها العلاج الناجع.

كما كان رسول الإسلام صلى الله عليه وآله يلجأ أحياناً إلى الأساليب الأخلاقية؛ فيعفو تارة، وينصح أخرى، ويقف بوجه التطرف ويشجبه تارة ثالثة.

وهناك حالات كثيرة وقف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فيها أو أمير المؤمنين عليه السلام بوجه المتطرفين والغلاة كي لا يتجاوزوا حدود الله، ويلتزموا بما هو كائن. فمواجهة البدعة تستدعي أسلوباً معيّناً، بينما تستدعي مواجهة الكلام أسلوباً آخر.

وهكذا فلكل مقام مقال؛ فحينما يتم تجييش الجيوش لقتال الطغاة والجبابرة والجائرين، فإن لبّ الأمر في كثير منه يتعلق بأمر ثقافي. وفي موارد أخرى يكون خلاف ذلك ويكتفى بالمرونة والمداراة وما إلى ذلك[1].

إجتماع الجانب المعنوي والمادي في دعوة النبي

الدنيا والآخرة إذا اجتمعتا تحققت إرادة الأنبياء عليهم السلام وهي سعادة الدنيا والآخرة. لذا نشاهد أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء بالدين وبالبصيرة واعتمد على الجانب المعنوي، لكنه في الوقت نفسه وفّر الوسيلة الماديّة وذلك إمّا مباشرة بتعليمهم إدارة شؤون

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٢٤١ هـ ـ طهران.

الحياة، وامّا بفرض التعلّم عليهم وأمرهم بالتبصّر والاكتشاف في الموارد التي تحتاج الى تخصّص. وكان نتيجتها عظمة واقتدار هذين الأمرين في صدر الإسلام، وببركة الإسلام صار المسلمون في قمة العلوم البشرية المادّية، ولا يمكن للغرب إنكار هذا التاريخ وسلبه من الدول الإسلامية.

لو اجتمعت الدنيا والآخرة كان الأمر هكذا، وإن أُخذ بأحدهما دون الأخرى، واجه إشكالات. إنّ ما يلاحظ اليوم في الأنظمة التي أوجدتها الثقافة الغربية ـ سواء في الغرب أو في سائر بقاع العالم ـ هو تقدّم الجانب الدنيوي وفي شؤون الحياة المادّية، أنهم استطاعوا الوصول الى بعض الكواكب وتمكّنوا من تصليح وإعمار التلسكوبات وهي في الفضاء، ويعتبر هذا تقدّماً علمياً عظيماً وخارقاً للعادة، ولا أحد ينكر ذلك، لكنّها تخلّفت كثيراً في تحديد مسار الحياة الإنسانية الصحيحة التي هي بحاجة الى تلك الوسائل المادّية ـ فبدون تحديد المسار تكون هذه الوسائل مضرّة بالبشر ـ، ومن هنا يلاحظ أنّ الدنيا ملئت ظلماً وجوراً.

وللأسف فإنّ البعض لا يفهم المسألة بهذا الوضوح، أليست هذه الدنيا خلقت للبشر؟ أليس التقدّم العلمي لأجل أن يستفيد الإنسان منه؟ ألا يكفي ما نراه اليوم من الأوضاع المأساوية السائدة في العالم، في حين أنّ زمرة تُقْدم على ظلم الإنسانية بهذه الصورة وبالوسائل العلمية التي خلقت لها؟ ألا يكفي هذا الأمر لمعرفة أنّ أحد جناحي الإنسانية ـ أي جناح المعنوية ـ مكسور ؟

إذا غضضنا النظر عن البعد المعنوي وسعينا الى إبعاده عن مجتمعنا، كالذي حصل في أواخر حكومة ناصرالدين شاه، عندما بدأت تأثيرات وطلائع الثقافة الغربية تغزو إيران بصورة مبرمجة ومدروسة ـ لا التي هي طبيعية ولازمة للحياة العامة للإنسان ـ بدأت محاربة الدين ومحاولة إبعاده عن الحياة ـ طبعاً هناك من يعلم بهذه الحقيقة بالنسبة لرضا شاه لكن لا يعلمها عن سلاطين القاجار ـ بدأوا بحذف الدين وإبعاد

علماء الدين وسعوا الى استغلال البعد المعنوي لأهدافهم الخبيثة.

صار المجتمع مجتمعاً المطلوب فيه وسائل الحياة أي ما نعبّر عنها بالدنيا، صار مجتمعاً المطلوب فيه العلوم المتطوّرة وذات الاختراعات والاكتشافات الكثيرة التي تدرّس في الجامعات اليوم. فإذا أبدينا اهتماماً بهذا الجانب وغفلنا عن الجانب الآخر، أصبح أحد بُعدي الحياة ناقصاً وهو البعد المعنوي. نعم قد يلاحظ تطوّر وتقدم في جانب من العلوم المرتبطة بوسائل الحياة في مجتمع ما كالمجتمعات الغربية، وقد لا يلاحظ أيّ تطور حتّى في هذا الجانب كالحاصل اليوم لكثير من المجتمعات المنقادة للغرب والتي تركت الجانب المعنوي ولم تتمكّن من الفوز بالماديات.

وكوضعنا المعيشي في عصر الحكومة البهلوية، أبعدنا المعنويات ولم نتمكن من اكتساب المادّيات بالكيفية المتطورة والعلمية الحديثة والحقيقية فأصبحنا كالّذي **﴿خسر الدنيا والآخرة﴾**(١).

والطرف الآخر للقضية: هي أن يبدي المجتمع اهتماماً بالبعد المعنوي فقط ويغفل عن التقدّم العلمي وعن الاكتشافات والاختراعات العلمية وعن تحصيل العلوم بين أبناء الوطن، عن تخريج أناس لإدارة شؤون الحياة، وإبداع الوسائل المناسبة لاحتياجات البشر بالسهولة والسرعة المطلوبة في عصرنا الحاضر، كان الأمر كالأول، أي أنّ الجناح الآخر مكسور. فلا تتصوّروا أنّ الإسلام يؤيّد حصر جميع الأمور في الجانب الروحي والمعنوي ولا ينظر الى المادّيات نهائياً، إنّ هذا انحراف كالانحراف الأوّل، إنّ الإسلام يرفض الإنزواء والانعزال عن الدنيا وعن الحياة بصورة واضحة كما ورد في كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، في كتاب الزهد(٢).

---

(١) سورة الحج: ١١.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢ رجب ١٤١٤ هـ.

الإستدلال العقلي والإسلوب العاطفي في بعثة النبي

يلاحظ أنّ قضية البكاء والإبكاء على الإمام الحسين عليه السلام كانت تحتلّ مكانة متميزة في زمن الأئمة عليهم السلام فلا يتصوّر أحد أنّه مع وجود المنطق والاستدلال، فما هي الحاجة للبكاء وما هي الحاجة للبحث في قضايا قديمة من هذا القبيل ؟

إنّ هذا النوع من التفكير بيّن البطلان، لأنّ لكلٍ من هذه الأمور دوراً في بناء شخصية الإنسان وتكامله. فالعواطف لها دورها والمنطق والبرهان لهما دورهما المهم أيضاً. فالعاطفة لها دور في حلّ كثير من المشاكل والمعضلات التي يعجز المنطق والاستدلال عن حلّها.

ولذلك حينما نراجع تاريخ الأنبياء سوف نرى أنّه في أوائل بعثتهم كان يلتفّ حولهم أناس لم يكن المنطق والبرهان هما الدافع الأساسي لإيمانهم ولالتفافهم حول أولئك الأنبياء صلى الله عليه وآله.

فلا تجدون في تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله ـ وهو تاريخ مدوّن وواضح ـ بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمع في أوّل البعثة مع مجموعة من الكفّار وبرهن لهم بالأدلّة العقلية على وجود اللّه ووحدانيته أو بطلان عبادة الأصنام ـ مثلاً ـ. فالاستدلالات العقلية للنبي صلى الله عليه وآله جاءت بعد أن تقدّمت الدعوة وانتشر أمرها.

أمّا في المرحلة الأولى فقد كان عمل الدعوة يقوم على أساس كسب المشاعر والعواطف الصادقة لدى الناس.

ففي هذه المرحلة كان النبي صلى الله عليه وآله يقول للكفار: إنّ هذه الأصنام التي تعبدونها ما هي إلّا أحجار لا تضرّ ولا تنفع. من دون الحاجة الى ذكر الدليل العقلي والمنطقي على بطلان عبادتهم لتلك الأصنام.

ولم يكن يستدلّ للناس بالأدلّة العقلية والفلسفية على وجود اللّه ووحدانيته، بل

كان يكتفي بالقول: «**قولوا لا إله إلّا اللّه تفلحوا**»[١] . فلم يبرهن للناس عقلياً أو فلسفياً بأنّ الإعتقاد بـ(لا إله إلّا اللّه) يؤدّي الى فلاح الإنسان وسعادته، بل إنّ هـذه العبادة تخاطب مشاعر الإنسان وأحاسيسه الصادقة.

طبعاً إنّ كلّ مشاعر وأحاسيس صادقة وسليمة تنطوي على برهان فلسفي واستدلال عقلي. لكن المسألة هي أنّ كلّ نبي عندما كان يريد البدء بالدعوة لم يكن يطرح الدليل العقلي والفلسفي من أجل هداية الناس، بل إنّه كان يبدأ بتحريك العواطف والأحاسيس الصادقة والسليمة التي تحمل المنطق والاستدلال في ذاتها.

وهذه الأحاسيس والعواطف توجّه أنظار الإنسان الى ما يعيشه المجتمع من ظلم واضطهاد وتمايز طبقي، وما يمارسه أنداد اللّه من البشر (شياطين الانس) من ضغط وإرهاب ضدّ أبناء ذلك المجتمع. أمّا طرح البراهين العقلية والمنطقية فكان يبدأ حينما تستقر الدعوة وتأخذ مجراها الطبيعي.

فمن كانت له القابلية العقلية والفكرية ـ في هذه المرحلة ـ فسوف يستوعب بعض الاستدلالات العقلية والفلسفية الميسّرة التي كان يطرحها النبي صلى الله عليه وآله.

أمّا الذي لم يكن يمتلك تلك القابلية، فيبقى في المرحلة العقلية الابتدائية التي يعيشها.

طبعاً ليس شرطاً أن يكون الإنسان الذي يمتلك قوة استدلال أكبر أعلى شأناً من غيره من الناحية المعنوية. فقد تكون عواطف بعض أصحاب المستوى الفكري المتواضع أصدق وأسلم، وارتباطهم وتعلّقهم بالنبي وبمبدأ الغيب أقوى وحبّهم أصدق وأعمق. وهذا من شأنه أن يكسبهم مكانة معنوية أعلى ومرتبة أسمى عند اللّه سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥١.

فلكلٍ من العاطفة والاستدلال دوره ومكانته، فلا العاطفة تستطيع أن تحتل مكان الاستدلال العقلي، ولا الاستدلال بإمكانه احتلال مكان العاطفة[١].

الهداية في مفهوم النبي صلى الله عليه وآله

إنّ هداية البشر والعمل على خلاصهم ليس بالأمر الهيّن على كل إنسان؛ فحتى عندما يقول تعالى ﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾[٢] فإن الإمام عليه السلام يصرّح في بعض الروايات بأن هذا الطعام هو الطعام المعنوي؛ أي طعام الدين والأخلاق. والنظر إلى الطعام معناه إعطاء الأهمية لما يتناوله الإنسان أو ما يعطيه للآخرين لكي يتناولوه. وهذا يدل على أهمية الغذاء الروحي والمعنوي.

وهناك رواية أخرى تقول بأن أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يستعد للسفر إلى اليمن من أجل تولّي أمر القضاء ـ ويبدو أن ذلك كان في أواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله ـ فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله يسأله الوصية والنصيحة؛ وعندئذ قال له الرسول صلى الله عليه وآله: «**يا علي، لئن يهدي الله بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه**»[٣].

وهذا يعني أن الإنسان لو قدّموا له كل ثروات العالم ومنحوه كافة أنواع السلطة والسيطرة وحاز أسمى المناصب المادية فإن ذلك كله لن يرقى إلى مرتبة أن يهدي الله به شخصاً واحداً.. وهذا أمر طبيعي، لأن الثروة والسلطة والمنصب كلها عرض زائل وليست لها قيمة حقيقية، ولكن هداية إنسان واحد لها كل هذه الأهمية الكبرى عند الله تعالى[٤].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٩ ذي الحجّة ١٤١٤ هـ ـ مصلى ياسوج.

(٢) سورة عبس: ٢٤.

(٣) الكافي: ٥ / ٢٨ ح ٤.

(٤) من كلمة ألقاها في ٢١ رمضان ١٢٤١ هـ ـ طهران.

ترسيخ النبي صلى الله عليه وآله للوحدة الإسلامية

شخصية النبي الإستقطابية

إنّ كل أمل وكل طموح لا يمكن أن يتحقّق من دون جهد ومثابرة وعمل متواصل، وعندما نفكّر في الآليات والأساليب العمليّة لتحقيق هذا الأمل نجد أنّ شخصية الرسول الأكرم ﷺ والتي تعتبر أفضل وأعظم شخصية في الإسلام، هذه الشخصية الفذّة هي المحور الأساس الذي تتمحور حوله عواطف وعقائد المسلمين كافة. وقلّما تجد مفردة من مفردات الإسلام أو حقيقة إسلامية تكون مورد اتفاق جميع المسلمين وقادرة على استقطابهم وتستأثر بكل عواطفهم كما هو الحال بالنسبة إلى شخصية الرسول محمّد ﷺ. وأقول عواطفهم ـ أي عواطف المسلمين ـ نظراً لدور وتأثير العواطف البالغ الأهمية؛ بحيث إننا إذا استثنينا بعض الفرق الشاذّة التي لا تهتم بالجانب العاطفي والولاء القلبي ولا بمسألة التوسّل، فإنّ عموم المسلمين تشدّهم بالرسول الأعظم ﷺ عواطف وأواصر حبّ قوية.

وبناءاً على ذلك يمكن لهذا الوجود المبارك وهذه الشخصية العظيمة أن تكون محور الوحدة التي نحن بصدد بيانها وتحقيقها[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٦ هـ.

ضرورة وحدة أمة النبي

تشكّل مسألة الوحدة اليوم بالنسبة إلى المسلمين ضرورة ملحّة وأكيدة، لأنّ أعداء الإسلام اليوم يتّصفون بصفتين لم يكونوا قد توفّروا عليهما من قبل.

الأولى: أنّهم اليوم يمتلكون أكبر قدر ممكن من عناصر القوة، كالمال والسياسة والإعلام، كما يمتلكون كافة وسائل وآليات السيطرة والنفوذ والهجوم والمباغتة.

والآن، لنرى ـ أوّلاً ـ من هم أعداء الإسلام ؟

إنّ أعداء الإسلام يشكّلون جبهة واحدة في قبال الإسلام بدءاً بالاستكبار وعلى رأسه أمريكا والصهيونية ومروراً بشركات النفط العالمية وانتهاءاً بذوي الأقلام المأجورة والمتنوّرين الّذين يعملون لصالحهم؛ وهم مجهّزون بمختلف الوسائل والمعدات وأحدثها.

ونظرة سريعة إلى تأريخ الصراع المحتدم بين الإسلام والقوى المضادة ـ من زمن النبي وحتى قريب عصرنا ـ تثبت أنّ القوى المضادة لم تكن في يوم من الأيام مجهزة بكلّ هذه الإمكانيات والمعدات وعناصر القوة كما هي عليه اليوم.

الصفة الثانية: أنّ هذه الجبهة المناوئة للإسلام حساسة وبشدة تجاه الخطر الإسلامي الذي يهدّدها أكثر من أيّ وقت مضى. ومنشأ هذا التحسّس أنّها ترى الإسلام قد خرج عن كونه مجموعة وصايا أخلاقية وأصبح تياراً فكرياً له نظامه الخاص به.

لقد شاهد أعداء الإسلام بأمّ أعينهم أنّ الإسلام وتعاليم نبينا الكريم صلى الله عليه وآله استطاع أن يحدث ثورة ويوعّي شعبنا ويخرجهم من مواقع الهزيمة ويرسّخ ثقتهم واعتزازهم بدينهم وأنفسهم، كما شاهد كيف استطاع الإسلام أن يؤسّس نظاماً يتمتع بالاستقرار والثبات، وبالإضافة إلى هذا وذاك رأى كيف أنّ الإسلام بمقدوره أن يمنح القوة

والعزيمة والاقتدار لشعب بحيث لا تؤثّر فيه كافة الوسائل والمعدات التي أشرنا إليها.

فبعد مرور سبعة عشر عاماً تقريباً على انتصار الثورة الإسلامية وتأسيس الجمهورية الإسلامية نجد أن أعتى الدول الاستكبارية وأقواها قد اضطرت إلى التقهقر في المجال السياسي والاقتصادي. وهذه من المسائل التي لا تغيب عن أنظار محلّلي الاستكبار العالمي.

لقد برهن الإسلام على اقتداره وقوّته. وها هم اليوم يرون أنّ كل فئة في العالم الإسلامي تنشد الإصلاح وتتوخّى التغيير في مجتمعها وحكومتها تتمسك بالإسلام.

وقبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران كانت الجماعات التي ترفع شعار الإصلاح والتغيير تتشبّث بالماركسية والقومية الإفراطية. ولكنكم اليوم إذا ألقيتم نظرة عابرة على الدول الإسلامية فستجدون أن كلاً من المثقفين والشباب وعلماء الدين والجامعيين ومختلف فئات وقطاعات الشعب الأخرى إذا أرادوا رفع دعوى الإصلاح والتغيير فإنّهم يتمسكون بالإسلام. وهذا يعبّر عن قوة الإسلام ومدى قابليته على الاستجابة لمتطلبات وضرورات الحياة.

لقد راقب الاستكبار جميع هذه الأمور عن كثب؛ ولذلك تراه يبدي حساسية شديدة تجاه الإسلام.

واليوم يتصدى العالم الإسلامي لمواجهة أعداء الإسلام والمسلمين الذين يتمتعون بالخصيصتين اللتين ذكرتهما آنفاً وهما: وفرة المعدات والوسائل وآليات الصراع والتي هي أكثر وأعقد من أي وقت مضى، وثانياً التحسّس الشديد تجاه الإسلام وهو الآخر يفوق التحسّس الذي كان يبديه أعداء الإسلام على طول تأريخ الصراع.

مخطط الإستكبار لتفتيت أمة النبي

والسؤال المطروح هو ما الّذي يخطّط له أعداء الإسلام في الوقت الراهن؟

إنّ أفضل وسيلة يمتلكها الأعداء هي بثّ الفرقة والاختلاف بين المسلمين؛ بالخصوص بين من له القدرة على التأثير في الآخرين وأن يكون مثلاً أعلى وأسوة لغيره.

واليوم تنفق أموال طائلة في بعض البلدان الإسلامية من عائدات النفط ومن غيرها في تأليف كتاب يتضمّن عقائد غريبة تنسب إلى الشيعة. وأنا شخصياً كنت قد جمعت في فترة من الفترات مجموعة كبيرة من هذه الكتب. وتجدهم يأخذون بنظر الاعتبار أدقّ وأذكى الأساليب في تأليف وإعداد هذه الكتب؛ سعياً منهم لإشعال فتيل الفرقة والاختلاف، ولكي يجعلوا الجماعات المسلمة التي رفعت لواء الإسلام وعلى رأسها إيران الإسلام وغيرها والتي أخذت تصارع الأحداث والاستكبار يجعلونها بمعزل عن العالم الإسلامي.

إنّ العالم الإسلامي اليوم يتمتع بثروة كبيرة وبطاقات فكرية وبشرية هائلة؛ حيث هناك الكثير من العلماء والشعراء والكتّاب والفنانين والشخصيات السياسية الكفوءة، كما أنّ قسماً كبيراً من مصادر الثروة المالية ومصادر الثورة الطبيعية والمعادن موجودة في البلدان الإسلامية. فلو اتّحدت هذه البلدان فيما بينها واختطّت لها مساراً واحداً، أو على الأقل لا يتآمر بعضها على البعض الآخر فسترون حينئذ ما الذي سيحدث في العالم وإلى أين ستصير الأمور آنذاك.

إنّ الأعداء يسعون جاهدين للوقيعة بين دول العالم الإسلامي وبذلك فهم يحاولون إهدار الطاقات البشرية والمادية الموجودة لدى الدول الإسلامية؛ ولذا غرّروا بالنظام العراقي وأشعلوا فتيل الحرب في هذه المنطقة لمدة ثمان سنوات

وساعدوه؛ علّه يستطيع اجتثاث جذور هذا الغرس الطيّب، ولكنّه لم يستطع وأنّى له ذلك، ﴿**ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت** ـ وهذه هي خصوصية الكلمة الإسلامية التي لا يمكن أن تُجتثّ أبداً ـ **وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها**﴾[١].

واليوم فإنّ الأعداء يبذلون جهوداً حثيثة ومتواصلة في المجال السياسي ليحقّقوا أغراضهم الخبيثة. وأنا من موقعي هذا أرى وأعتقد بأنّ وحدة المسلمين تعدّ ضرورة حيوية وليس شعاراً ولا من البطر في شيء.

أقولها جاداً إنّ على المجتمعات الإسلامية أن توحّد كلمتها وتسير باتجاه واحد، وبالطبع فإنّ مسألة الوحدة مسألة معقدة وليست بالسهلة، فالوحدة مشروع عمل صعب ومعقد.

إنّ الاتحاد بين الشعوب الإسلامية لا يلغي الاختلاف الموجود ولا الفروق الموجودة في الآداب والتقاليد المتبعة في المجتمعات الإسلامية، كما أنّه لا يلغي الاختلافات الموجودة في الاجتهادات الفقهية، ومعنى أن تتحد الشعوب المسلمة هو أن تتخذ موقفاً موحداً فيما يخصّ مجريات ومسائل العالم الإسلامي، وأن تتعاون فيما بينها، ولا تهدر ثرواتها في فتن وصراعات داخلية[٢].

محبة وموالاة النبي موضع اتفاق المسلمين

أمّا ما يتعلق بعالمنا الحالي فثمة نقطة أؤكد عليها دوماً، وهي وجود مركز مشترك بين المذاهب الإسلامية ـ إذ يعاني المسلمون اليوم من كثير من المصائب والمعضلات وعليهم استغلال كل وسيلة لاستنقاذ أنفسهم منها ـ والحال أن هذا المركز وهذه النقطة

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٦ هـ

لا يختلف فيها اثنان. فحتى عقيدة التوحيد المتفق عليها قد يكون للبعض فيها تفسير ورأي لا يقبله الآخر، ولكن هذه النقطة لا اختلاف بشأنها بين الفرق الإسلامية، وتلك هي محبة وموالاة رسول الله محمّد بن عبدالله ﷺ. هذه نقطة اتحاد وتكاتف وينبغي العمل من أجلها. وقد سبق لنا وأن ذكرنا هذا، وهو ما سعى بعض أصحاب الهمّة على أساسه لإرساء أُسس الوحدة بين مذاهب المسلمين، والآن أيضاً يجب على المجدّين أن يركّزوا أنظار المسلمين على هذه النقطة الوحدوية[1].

شخصية الرسول الأعظم وأهل بيته المحور الأساس للوحدة

ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبر شخصية الرسول الأعظم ﷺ المحور الأساس للوحدة، ولذا ينبغي على المسلمين خاصة مثقّفيهم أن يتمحوروا حول شخصية وتعاليم هذا الرمز الكبير والحب والولاء له.

ومن الشواخص الأُخرى التي يمكن أن تكون محوراً ومنطلقاً للوحدة هم أهل بيت النبي (عليه وعليهم السلام) الذين هم محل اتفاق وإجماع كافة المسلمين. إذ أنّ كافة المسلمين يقرّون بلزوم اتّباع نهج أهل البيت عليهم السلام، سوى أنّ الشيعة يعتقدون بإمامتهم، وأمّا غير الشيعة فلا يقولون بإمامتهم بحسب الإصطلاح الشيعي، ولكنهم يذعنون أن أهل البيت هم من أعاظم المسلمين وكبارهم، وأنّهم أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، وأنّهم أكثر الناس اطّلاعاً واستيعاباً للمعارف والأحكام الإسلامية.

ومن هنا يتحتّم على المسلمين أن يتّفقوا على صعيد العمل بكلمات وأحاديث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) . هذا الاتفاق بشأن كلمات وأحاديث أهل البيت أحد طرق الوصول إلى الوحدة.

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ

دعوة المسلمين للأخذ بحديث أهل بيت النبي

وهو بالطبع أمر صعب وشاق ويحتاج إلى مقدمات، ولا يعلم مقدمات هذا الأمر إلّا أهل الفن من أهل الحديث والعلوم المتعلّقة بالحديث، إذ توجد هناك ملاكات ومعايير لصحة الحديث، وملاكات لفهم وتلقّي الحديث ينبغي أن يتم التوافق بشأنها، كما أنّه يجب أن يتّفق في خصوص رجال الحديث.

في السابق وعلى عهد بني العباس بالذات وبني أُميّة إلى حدٍّ ما كان الجهاز الحاكم يسعى لمنع انتشار علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام في العالم الإسلامي؛ ولذلك نجد أنّ الروايات المنقولة عنهم آنذاك قليلة.

فالمحدِّث الذي ينقل الحديث سيّان عنده بين أن يأخذ الحديث من الحسن البصري، أو من قتادة أو غيرهم، فلماذا إذن لا يأخذ الحديث عن جعفر بن محمّد عليه الصلاة والسلام ؟

الواقع أنّ الحكّام آنذاك من أمثال هارون والمأمون والمعتصم والمتوكّل وغيرهم هم الذين كانوا يمنعون الرواة من نقل ورواية أحاديث أهل البيت عليهم السلام[1].

والبعض منهم كان يتّهم رجال الحديث بشتّى التهم إذا ما روَوا عن أهل البيت عليهم السلام .

ومن هنا فإنّ أحد أهم الإجراءات التي يجب أن تُتّخذ هو التلقّي المشترك لمقدمات الحديث. وهذه من وظائف العلماء والمفكرين المسلمين.

إنّه من دواعي الأسف أن يغفل المفكّر الإسلامي رسالته الخطيرة، فتجده بدل أن يكرّس قلمه وكتاباته في الذود عن عزّة وكرامة المسلمين ورفع شعار الإسلام، يثير

---

(١) انظر بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٠، ومكاتيب الرسول: ١ / ٥٨٤ .

المسائل التي هي مورد اختلاف المسلمين ويحاول أن يبثّ الفرقة ويزرع الشقاق بينهم، يتهم واحداً ويخرج الآخر عن الدين و...

ومن هنا بات من الضروري على علماء المسلمين من كلا الطرفين أن يتصدّوا لتحمّل مسؤولية تهيئة مقدمات الوحدة والعمل على إنجاح مشروع الوحدة هذا.

يسعى العدو ومن أجل بثّ الفرقة والاختلاف إلى استغلال أناس سذّج طيّبي القلب من الشيعة ومن السنة على حدّ سواء، وقد تحدث إثر ذلك حركة في المجتمع الشيعي من شأنها استثارة المسلمين غير الشيعة، وقد تحدث حركة من هذا القبيل أيضاً في المجتمع السني تثير الشيعة وتنفّرهم. والسؤال المطروح هنا هو: من وراء مثل هذه الحركات؟

واليوم إذ يقف الأعداء في صف واحد ضدنا، فإنّ مسألة الوحدة تتخذ أهمية قصوى؛ علماً بأنّ هناك قواسم مشتركة كثيرة يمكن أن تشكّل الأرضية المناسبة للوحدة، منها أنّ كتابنا واحد، وسنّتنا واحدة، وقبلتنا واحدة.

وبالطبع توجد هناك ثمة فروق واختلافات وهي طبيعية جداً شأنها شأن أي اختلاف يمكن أن يحدث بين عالمين؛ أضف إلى ذلك أن هناك عدواً واحداً يهدّد العالم الإسلامي؛ بما يجعل من مسألة الوحدة بين المسلمين مسألة في غاية الأهمية. ولذلك يجب أن يُتعامل معها بجدية.

إنّ التأخير بمسألة الوحدة يعدّ خسارة كبيرة بالنسبة للعالم الإسلامي؛ خصوصاً في هذه الأيام الحسّاسة التي قد تترك آثاراً كبيرة على المستقبل.

يجب أن لا نتماهل في أمر الوحدة. وبفضل الله تعالى فإنّ الجمهورية الإسلامية لها السبق في العمل على تحقيق الوحدة منذ اليوم الأوّل لتأسيسها.

ويعتبر إمامنا الراحل (رض) بحقٍّ رائد الوحدة الإسلامية.

وفي هذا المضمار هناك جهود ومساعٍ حثيثة بذلت من قبل العديد من الشخصيات والمسؤولين والمتكلّمين والكتّاب والمؤسسات ومفكّري وعلماء العالم الإسلامي، فعليكم أن لا تضيّعوا هذه الجهود المشكورة(١).

معنى الوحدة الاسلامية

قضية اتحاد المسلمين هذه، يجب على جميع الفرق الإسلامية ـ شيعية وسنية، سواء المذاهب المختلفة لأبناء السنة، أو المذاهب المختلفة لأبناء الشيعة ـ أن تأخذها مأخذ الجد.

والوحدة الإسلامية معناها واضح؛ إذ ليس المراد منها تذويب كل المذاهب في مذهب واحد، فالبعض يرى أنّ طريق الوحدة يتلخص في رفض المذاهب، إلّا أنّ رفض المذاهب لا يحل المشكلة، بل يحلّها إقرار المذاهب القائمة حالياً.

على كل واحد أداء مهامّه العادية في نطاق عمله وموقعه، ولكن عليهم الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع بعضهم.

إنني أرى بعيني الأيدي المتواطئة ـ خاصة في السنوات الأخيرة، من بعد الهجمة التي أعقبت انتصار الثورة، وفشلت بسبب الموقف الحازم للثورة الإسلامية وزعيمها المبجّل الإمام القائد ـ قد عادت من جديد منذ بضع سنوات وبشكل بالغ الخطورة ساعية لبثّ الفرقة بين مذاهب المسلمين.

الأعداء يعارضون على الدوام اتحاد المسلمين، والتاريخ شاهد على هذه الحقيقة، ولكن اليوم حيث عاد لواء الإسلام الظافر يرفرف خفّاقاً على ربوع هذه البقعة من

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٦ هـ

العالم، صار الأعداء يخشون الوحدة الإسلامية أكثر من أي وقت مضى[١].

ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله محور الوحدة

إنّ إحدى الصدقات الجارية للثورة الإسلامية والتي تحقّقت ببركة عبقرية الإمام الراحل الخميني رضوان الله عليه هي تخصيص أيام ذكرى ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالوحدة.

فالوحدة الإسلامية أمل وغاية ، البعض يعيش هذا الأمل بكل وجوده، والبعض يتّخذه شعاراً فحسب دون أن يكون جاداً في تحقيقه، وعلى أية حال هناك طرق عملية لتحقيق هذا الأمل لابدّ من التوفّر عليها[٢].

من هم الذين يعارضون قضية الوحدة هذه الأيام؟ إنهم المستكبرون الذين يستغلون الفرقة والشرك والظلم لصالحهم، ويبنون وجودهم وفلسفة حياتهم على سياسة التمييز والتبعيض العنصري.

إنّ الذي يخنق الديمقراطية على الصعيد العالمي في هذه الايام قوى الاستكبار المادي في العالم والذين يحملون في دولهم شعار الدفاع عن الديمقراطية والمساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق ومكافحة الاستبداد الحكومي. إنّ مبنى عملهم هو ترجيح شعب على آخر، وتفضيل منطقة على أخرى ودم على غيره. لقد رسخوا سطوة الاستبداد في الدنيا وهم يديرون العالم كيف ما يشاءون، هذا هو وضع البشرية في عصرنا الراهن. البشرية بحاجة ماسة اليوم الى اطلاق صرخة كالتي أطلقها نبي الإسلام صلى الله عليه وآله صرخة تدعو للتوحيد والعدالة بين البشر.

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٨هـ.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٧ ربيع الأول ١٤١٦ هـ.

أقسام وجوانب الوحدة

وللوحدة عدّة جوانب يمكن طرحها: أولاً: الوحدة بين أفراد الشعب الإيراني.
الوحدة بين مختلف طبقات الشعب من أي زي كانوا أو أي عمل يزاولون.
والوحدة بين آحاد هذا الشعب الثوري العظيم وبين فئات المجتمع.

الوحدة بين أفراد الشعب الإيراني

والحمد لله فإنّ الوحدة من هذا الجانب متحققة. فئات الشعب متحدة مع بعضها وتسير باتجاه واحد وهو اتجاه الإسلام وتحكيم الدين على الرغم من المؤامرات وبذور الفتنة التي ينشرونها هنا وهناك. لا يوجد في إيران الإسلامية أي فرق بين الشيعة والسنة ولا بين القوميات المختلفة من فرس وعرب وترك وتركمان وبلوش وكرد وغيرهم. فإنّ شعبنا كالجسد الواحد.

لقد أصبح الشعب الإيراني حقاً شعباً مثالياً ببركة الإسلام. إنه قدوة ناجحة في مقدمة سائر الشعوب الإسلامية. وإن الله سبحانه راضٍ عنكم أيها الشعب الإيراني نتيجة تلبيتكم بصدق لنداء دينكم ونبيكم ﷺ وإمامكم العظيم. يجب أن تحفظوا هذه الوحدة، هذه الوحدة المهمة التي تمكنتم ببركتها أن تحققوا كل هذه الانتصارات، اعلموا أنّ الأعداء يتربصون بكم الدوائر للنيل من وحدتكم، فكونوا اذن على حذر. لا تسمحوا ببروز الخلافات بينكم. حاذروا من الأمور الموجبة للخلاف والتي يستطيع الأعداء أن يجعلوا منها مستنداً لزرع الفرقة.

على سبيل المثال يجب أن يحذر الشيعة وإخوانهم السنة من الخلافات المذهبية التي أساء الأعداء استغلالها لقرون متمادية، وكذلك بالنسبة للقوميات المختلفة يجب أن يعوا جيداً أنّ الأعداء قد قعدوا لهم بالمرصاد لعلهم يتمكنون من زرع بذور الفرقة

بين القوميات الإيرانية التي عاشت مع بعضها على مر التاريخ. هذه أمور يحاول العدو أن يخترق من خلالها صف وحدتنا ويزرع بيننا الفرقة والخلاف ويجب أن تقفوا في وجه هذه المؤامرات.

وحدة الأمة الإسلامية

والوحدة الأعلى من الوحدة بين أعضاء شعب ودولة واحدة هي وحدة الأمة الإسلامية. لو فسح حكام الدول الإسلامية المجال لشعوبهم للتعبير عن رأيهم واظهار أحاسيسهم تجاه القضايا الدولية ووجهوا حركة شعوبهم فسوف يصلون الى نفس المستوى الذي وصل إليه الشعب الإيراني. وحينها سترون بأنفسكم ماذا يحصل على الصعيد العالمي.

لو كانت هكذا وحدة ومواساة وتضامن موجودة بين الشعوب الإسلامية هل كان الأعداء يجرؤون على القيام بمحاصرة شعب البوسنة والهرسك الأعزل المظلوم بهذه الكيفية؟ وهل كانت المحافل الدولية تجرؤ على تجاهل هذه القضية وعدم اتخاذ رد فعل عملي تجاهها؟ حقا إنّ ما يحدث هذه الأيام أمر عجيب. فمع كل دعاواهم بالدفاع عن حقوق الإنسان، عندما تصل النوبة الى جماعة من المسلمين تصبح هذه الدعاوى قيد النسيان. ما هذا العناد الذي يبديه الأعداء وقوى الاستكبار العالمي للإسلام؟ إنها حرب صليبية يشنونها على الإسلام والمسلمين بحيث يرى الإنسان آثارها ونتائجها في كل مكان. ما هذه المظلومية التي يتعرض لها المسلمون في كل أرجاء العالم وفي كل مكان يتسلط الأعداء فيه عليهم؟ من أي شيء نشأ هذا الوضع؟ لقد نشأ عن وجود الفرقة بين المسلمين والأمة الإسلامية والبلدان الإسلامية.

التفرقة تعود بالفائدة على المستكبرين

وهذه الفرقة والخلاف من فعل الأعداء. فالدول الإسلامية لا يوجد تضاد مصلحي فيما بينها. إنّ التكتل والتجمع مفيد للجميع لا لمجموعة معينة. الدول الإسلامية الكبيرة تستفيد أيضاً من وجود تكتل إسلامي. وكذا تستفيد منه الدول الصغيرة والضعيفة والفقيرة.

إنّ وحدة كهذه في صالح الجميع. فمن الذي يضّر به وجود تكتل من هذا القبيل؟ من الذي يتضرر من اجتماع المسلمين؟ انها تضر بالقوى التي تريد فرض أغراضها الفاسدة على المسلمين؟ فالفرقة بين المسلمين تعود بالفائدة على القوى المستكبرة كأمريكا واقطاب السياسة الاستعمارية.

ماذا يريد هؤلاء؟ لماذا يريدون زرع الفتنة بين الأخوة الجيران؟ لماذا يريدون خلق العداء بين الاخوان لأجل تبرير حضورهم في الخليج الفارسي؟ لماذا يحاولون تشتيت الدول الإسلامية بغية القضاء على تضامنها؟ لأنها إذا اتحدت فسوف تصبح قبضة محكمة لا يجرؤ العدو على مواجهتها من هم هؤلاء؟ لا شك أنهم القوى الاجنبية.

إنّ نداءنا للوحدة الإسلامية أساس لعزّة وكرامة واستقرار الجميع، الوحدة أُمنيتنا. نحن نتمنى أن يصبح مليار مسلم يداً واحدة حقاً.

وكذلك يجب أن تتحرك الدول والحكومات بهذا الاتجاه أيضاً بروحية واحدة وقلب واحد ـ وإن كان الظاهر أن أمراً كهذا لن يحصل قبل ظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه ـ الوحدة بين الشعوب والبلدان الإسلامية سبب عزّة وقوة المسلمين. فإنّ عزتكم ورفعتكم أيها الشعب الإيراني كانت رهينة اسلامكم وتضامنكم ووحدتكم الإسلامية.

إنّ العزّة والقوة غير ممكنتين إلّا في ظل التقوى والتمسك بالقرآن وتعاليم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وعدم الخشية إلّا من الله تعالى.

ولو راعينا هذه الأمور فإن الله سبحانه سوف يكون ظهيراً لنا سواء كان الآخرون معنا أم لم يكونوا [١].

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٧ ربيع الأول ١٤١٣ هـ ـ طهران.

التوحيد في المنظور النبوي

أبعاد التوحيد

١ ـ التوحيد على صعيد التصور (النظرة العامة للكون والحياة):

ومعناه وحدة جميع العالم وانسجامه وائتلاف أجزائه وعناصره ، أي مبدأ الخلقة واحد، وجميع المخلوقات من ذلك المبدأ الواحد، وليس هناك آلهة متعددة في خلق العالم وإدارته، وهذا يستتبع وحدة جميع أجزاء العالم في التكوين والإتجاه قال تعالى: ﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾[1].

وقال عزّ من قائل: ﴿**أوَ لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلّا بالحق وأجل مسمى**﴾[2].

العالم المتحرك ـ انطلاقاً من هذا التصور ـ قافلة متصلة الأجزاء، كاتصال حلقات السلسلة الواحدة، وكارتباط أجزاء الجهاز الواحد العاملة في اتجاه واحد، وكل جزء من هذه الأجزاء يكتسب معناه الواقعي ويتضح واجبه من خلال فهم مكانته في مجموع هذا التركيب، كل الأجزاء يعاون بعضها الآخر، ويكمّل بعضها الآخر في هذا السير التكاملي الحثيث، وكل واحد منها آلة ضرورية في هذه المجموعة، وكل توقف وفساد وركود وانحراف في أي واحد من هذه الأجزاء يؤدي إلى خبط وفساد

---

(١) سورة المُلك: ٣.

(٢) سورة الروم: ٨.

وانحراف في جميع الجهاز، وبهذا الشكل ترتبط جميع الذرات مع بعضها برباط معنوي عميق.

التوحيد يعني أن للعالم هدفاً ويقوم على أساس حساب وانضباط دقيق، وأن لكل واحد من الأجزاء روحاً ومعنى.

العالم له خالق حكيم، وبناءاً على هذا فإن لأصل الوجود ـ كما لكثير من أجزائه ـ حكمة وغاية واتجاهاً وهدفاً كما قال تعالى: ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين...**﴾[1].

العالم بمجموعه ـ انطلاقاً من هذا التصور ـ ليس بالحائر العابث، بل هو مثل ماكينة مصنوعة ومرصودة للعمل من أجل هدف معيّن، يمكن السؤال عن هدفه ولا يمكن السؤال عن أصل هذا الهدف. إنه قصيدة ذات مضمون ينبغي التأمل والتدبر فيها لفهم مضمونها، ولا يمكن اعتبارها إطلاقاً صوتاً منطلقاً من حركة عشوائية.

والتوحيد يعني أبعد من ذلك خضوع كل عناصر العالم وكل الأشياء لله.

فلا يوجد بين هذه المجموعة عنصر شاذ متمرد، كل قوانين الطبيعة وكل ما يخضع لسيطرة هذه القوانين منصاع لله وعبد له. فوجود القوانين التكوينية والطبيعية على ساحة الكون لا يعني نفي ربوبية الله ومبدئيته، قال عز من قائل: ﴿**إن كل مَن في السماوات والأرض إلّا آتي الرحمن عبداً**﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿**بل له ما في السماوات والأرض كلٌ له قانتون**﴾[3].

وقال: ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات**

---

(١) سورة الأنبياء: ١٦.

(٢) سورة مريم: ٩٣.

(٣) سورة البقرة: ١١٧.

مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[١].

٢ ـ التوحيد على صعيد فهم الإنسان

التوحيد يعني وحدة أبناء البشر وتساويهم في ارتباطهم بالله:

إنه رب جميع الناس، وليس لأحد ـ بسبب طبيعته الإنسانية ـ علاقة خاصة متميزة به، ولا لأحد معه قرابة، ليس إله شعب خاص أو قبيلة معيّنة، ولم يختر شعباً معيّناً ليكون ذلك الشعب سيداً والباقي مَسُودين. كل الناس أمام الله سواسية، وليس لأحد عند الله كرامة خاصة، إلّا بالعمل الصالح، أي بالسعي والمثابرة على طريق خدمة الناس والعمل بأحكام الله وتعاليم نبي الإسلامﷺ المؤدية إلى سمو الإنسان قال تعالى: ﴿**وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون**﴾[٢].

﴿**فمَن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون**﴾[٣].

وقال: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لِتَعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[٤].

والتوحيد يعني وحدة أبناء البشر وتساويهم في الخلقة والتكوين الإنساني:

الإنسانية عنصر واحد يسري في جميع أفراد النوع البشري بشكل متساوٍ، ليس هناك آلهة متعددة خلقت فئات بشرية متعددة.

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة البقرة: ١١٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٤.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

ولذلك فلا توجد ثمة اختلافات وفواصل منيعة في الخلقة، كما أن إله الطبقة الاجتماعية العليا ليس بأقوى من إله الطبقة الاجتماعية السفلى. كل الناس مخلوقات الإله الواحد الأحد، وكلهم متشابهون في جوهر خلقتهم قال تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾**[١].

والتوحيد يعني تساوي أبناء البشر في الإمكانات المتاحة لهم من أجل السمو والتكامل.

البشر متشابهون في جوهرهم الإنساني وطبيعتهم الإنسانية، وهذه الطبيعة الإنسانية جُبِلت بيد بارئ حكيم؛ فليس هناك إذاً فرد عاجز ذاتياً عن ارتقاء مدارج الصراط المستقيم نحو السمو والتكامل.

من هنا، فدعوة الله التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام دعوة عامة ولا تختص بشعب معيّن أو فئة خاصة.

الظروف المختلفة لها آثارها المختلفة على الإنسان، لكن هذه الظروف الطارئة لم تستطع أن تصنع من الإنسان بشكل دائم شيطاناً أو مَلَكاً، وتغلّ يديه، وتسلب اختياره، وتسدّ الطريق أمام انتخابه وتغيّره قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلّا كافة للناس﴾**[٢].
﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾[٣].

وقال: **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيُدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً**

(١) سورة النساء: ١.
(٢) سورة سبأ: ٢٨.
(٣) سورة النساء: ٧٩.

مستقيماً﴾[1].

والتوحيد يعني حرية جميع الناس من قيود الأسر ومن قيود العبودية لغير الله وهو تعبير آخر عن ضرورة العبودية لله تعالى.

حقيقة التوحيد في الأفعال

أفراد البشر الراضخون بشكل من الأشكال تحت سيطرة غير الله (سيطرة فكرية وثقافية، أو اقتصادية، أو سياسية) هم مستعبدون لعباد من أمثالهم بالمفهوم الواسع للعبادة، هؤلاء قد اتخذوا لله أنداداً. والتوحيد يرفض هذا الشكل من الحياة، ويعتبر الإنسان عبداً لله فقط، ويحرره من العبودية والرضوخ لكل نظام، بل لكل عامل مسيطر يضع نفسه مكان الله. فالتوحيد يعني التسليم لله وحده، ويستتبع ذلك رفض كل سلطة غير سلطة الله مهما كان شكلها ونوعها.

وقال سبحانه وتعالى: **﴿إنِ الحكم إلّا لله، أمر أن لا تعبدوا إلّا إياه ذلك الدين القيّم﴾**[2].

﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلّا إياه﴾[3].

والتوحيد بالمعنى المتقدم يعني تكريم الإنسان وتثمينه:

فالعنصر الإنساني السامي أعظم من أن يخضع ويرضخ لأحد غير الله؛ فالوجود المطلق والجمال المطلق هو وحده الذي يستحق عبادة الإنسان وثناءه وتعشّقه. وهذا النزوع المتسامي هو درجة من درجات السمو.

---

(١) سورة النساء: ١٧٤-١٧٥.

(٢) سورة يوسف: ٤٠.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

كل شيء غير ذات الباري يدنس الإنسان

لا شيء ـ غير ذات الله تعالى ـ يتمتع بمنزلة يستحق فيها عبادة الإنسان ودعاءه. كل الأصنام الجامدة والمتحركة التي فرضت نفسها على فكر الإنسان وقلبه وجسمه، واغتصبت حاكمية الله في حياة إنسان هي رجس وأوثان تُبعد الكائن البشري عن طهره ونقائه الفطري، وتذلّه وتصدّه عن حركته. ولابد للإنسان ـ إن أراد استعادة مكانته السامية ـ أن يجتنب هذه الأوثان ويغسل عن وجوده عار التلوث بعبوديتها، قال سبحانه وتعالى: ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومَن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح من مكان سحيق**﴾[1].

قال تعالى: ﴿**لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً**﴾[2].

وقال: ﴿**ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتُلقى في جهنم ملوماً مدحوراً**﴾[3].

والتوحيد يعني وحدة وانسجام حياة الإنسان ووجوده:

حياة الإنسان مركّبة من الذهن والواقع، من الفكر والعمل؛ وإذا خضع واحد من هذين الجانبين ـ بأجمعه أو بقسم منه ـ لأعداء الله، أي إذا أصبح الذهن إلهياً والواقع غير إلهي، أو أصبح الواقع إلهياً والذهن بعيداً عن الله سبحانه وتعالى.

الإنسان في مثل هذه الحالة كمؤشر مغناطيسي ظهر في مجاله المغناطيسي عنصر غريب. المؤشر عندئذ إما أن ينحرف عن اتجاهه الطبيعي انحرافاً تاماً، أو يبقى

---

(١) سورة الحج: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة الإسراء: ٢٢.

(٣) سورة الإسراء: ٣٩.

يتأرجح يمنة ويسرة. أي سوف ينحرف الإنسان عن الصراط المستقيم المتناسب مع طبيعته الإنسانية، ينحرف عن الله تعالى .

قال سبحانه وتعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء مَن يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردّون إلى أشد العذاب..**﴾[١].

التوحيد يعني انسجام الإنسان مع العالم المحيط به:

الساحة الكونية الفسيحة تزخر بقوانين الخليقة، ولا تغرب أدنى ظاهرة طبيعية عن إطار هذه القوانين. وبانسجام هذه القوانين وتعاضدها والتقائها ينتظم شكل الكون ويسود في العالم هذا النظام الرائع المشهود. الإنسان جزء من هذه المجموعة وتتحكم فيه قوانينها العامة، إضافة إلى قوانين خاصة. غير أن هذه القوانين الخاصة متناسبة ومنسجمة أيضاً مع قوانين الظواهر الأخرى.

أما الإنسان، خلافاً لسائر الظواهر الأخرى المسخّرة للحركة على طريقها الطبيعي الفطري، يتمتع بقوة إرادة وقدرة اختيار. وعليه أن يطوي طريقه الفطري الطبيعي عن اختيار، لأنه طريق سموّه وكماله. وهذا يعني أنه قادر على الانحراف من هذا الطريق الطبيعي قال سبحانه وتعالى: ﴿**فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر**﴾[٢].

والتوحيد يدعو الإنسان إلى السير على طريقه الطبيعي الفطري المنسجم مع كل الكون:

وبذلك يربط الكائن البشري ـ باعتباره عضواً أصلياً من أعضاء هذا الكون ـ في عمله وسعيه بسائر أجزاء الكون، ويخلق بذلك وحدة وانسجاماً تامّين قال سبحانه

---

(١) سورة البقرة: ٥٨.

(٢) سورة الكهف: ٢٩.

وتعالى: ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَن في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون**﴾(١).

وقال عز من قائل: ﴿**ألم تر أن الله يسجد له مَن في السموات ومَن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس**﴾ (٢).

٣ـ التوحيد على صعيد المناهج الاجتماعية (الإقتصادية والسياسية)

يسلب من كل مصدر غير الله صلاحية الانفراد بوضع مناهج مستقلة لشؤون الحياة والإنسان.

فالله خالق الإنسان والكون والمصمم لهذا النظام الكوني المنسجم، والعالم بإمكانات الإنسان واحتياجاته.

الله يعلم بما ينطوي عليه الكائن البشري من ذخائر دفينة وطاقات مكنوزة، وبما ينطوي عليه الكون من كنوز وإمكانات، ويعلم ميزان وأبعاد استثمار هذه الكنوز والإمكانات، ويعلم كيف تلتقي هذه جميعاً مع بعضها.

من هنا فهو وحده القادر على وضع منهج لطريقة الحياة، ولعلاقات الإنسان، ومنهج حركته في إطار نظام التكوين. وهو وحده القادر على وضع قوانين الحياة وتعيين شكل النظام الإجتماعي.

إختصاص هذا الأمر بالله نتيجة طبيعية ومنطقية للخالقية والألوهية. فكل تدخل من الآخرين ـ إذاً ـ لتعيين المسيرة العملية للبشرية هو تدخل في حاكمية الله، وادّعاءٌ للألوهية، وباعثٌ على الشرك.

---

(١) سورة آل عمران : ٨٣.

(٢) سورة الحج: ١٨.

وقال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً﴾**[(١)].

وقال: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم ومَن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾** [(٢)].

والتوحيد يسلب حق الولاية على المجتمع وحياة الإنسان من غير الله:

ولاية الإنسان على الإنسان لو قامت على أساس حق مستقل وبدون مسؤولية، لاستلزمت الظلم والطغيان والعدوان. الفرد الحاكم والجهاز الحاكم لا يستطيع أن يتخلص من الانحراف والطغيان والإفراط إلّا إذا كان زمام الأمور معطاة بيد هذا الفرد أو هذا الجهاز من قبل سلطة عليا ضمن إطار مسؤوليات متناسبة. وهذه السلطة العليا في المدرسة الدينية هي الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء علماً قال سبحانه وتعالى: **﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾**[(٣)].

وقال: **﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾**[(٤)].

هذه السلطة العليا لا تنطلي عليها خدعة كما قد تنطلي على الجماهير، ولا يمكن اتخاذها وسيلة للسيطرة والتجبّر كما تُتخذ الأحزاب، ولا يمكن المساومة معها كما يمكن مع علّية القوم وزعمائهم.

وبنظرة أعمق: لو استلزم نظم الحياة انتهاء كل أجهزة الحياة الاجتماعية بنقطة واحدة، وتفرد قوة مسيطرة بمسك زمام جميع الأمور، لما كانت تلك القوة المسيطرة

---

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورةالأحزاب: ٣٦.

(٣) سورة سبأ: ٣.

(٤) سورةالحاقة: ٤٤.

سوى خالق الكون والإنسان.

فالحكم حق خاص بالله، ينفّذه مَن عيّنهم الله، أي أولئك الذين تتجسّد فيهم أكثر من غيرهم تلك المعايير والخصال المحددة في الإيديولوجية الإلهية. وهؤلاء منفّذون وحفَظَة للقوانين الإلهية قال سبحانه وتعالى: **﴿قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم قل إني أُمرت أنْ أكون أول مَن أسلم ولا تكونن من المشركين﴾**(١).

وقال عزّ من قائل: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**(٢).

وقال: **﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس﴾**(٣).

والتوحيد يعني اختصاص المُلكية المطلقة الأصلية لكل نِعَم الكون وذخائره بالله تعالى:

ليس لأحد أن يملك ويتصرف مباشرة ومستقلاً؛ كل شيء أمانة بيد الإنسان لاستثماره والاستعانة به على طريق السمو والتكامل. ليس للإنسان المنعَّم أن يفسد ويتلف نِعَم هذا العالم التي هي ثمرة سعي آلاف الظواهر والعناصر في هذا العالم، أو أن يهمل هذه النِعَم أو يستثمرها في طريق غير طريق السمو الإنساني. ما في يد الإنسان، وإن كان ملكاً له، فهو عطاء إلهي. من هنا، ينبغي أن يتجه استثمار هذا العطاء على الطريق الذي عيّنه الله، أي في طريقه الطبيعي الأساسي، في الطريق الذي خُلِق من أجله في الحقيقة. واستثمار هذا العطاء الإلهي في غير هذا الطريق انحراف عن

---

(١) سورة الأنعام: ١٤.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) سورة الناس: ١ ـ ٤.

اتجاهه الطبيعي، إنه الفساد.

دور الإنسان أزاء هذه النِعَم الإلهية المتنوعة هو استثمارها بشكل صحيح، وفتح مغاليق كنوزها، وقبل ذلك إحياؤها والبلوغ بها إلى درجة الكمال طبعاً.

قال سبحانه وتعالى: **﴿قل لمن الأرض ومَن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون﴾**[١].

وقال عزت آلاؤه: **﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾**[٢].

وقال: **﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**[٣].

وقال: **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصَل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة﴾**[٤].

والتوحيد يعني أن أفراد البشر متساوون في حق استثمار نِعَم الحياة:

الإمكانات والفرص متكافئة أمام جميع البشر ليستثمر كلٌ منهم هذه النِعَم قدر حاجاته وضمن إطار سعيه وعمله.

هذه الساحة الكونية لا توجد فيها منطقة خصوصية محصورة بفئة معيّنة. الجميع يستطيعون أن يستثمروا نِعَم الحياة المتنوعة قدر همّتهم وإرادتهم، دون تمايز بينهم في العنصر أو الموقع الجغرافي والتاريخي، بل وحتى في الانتماء الإيديولوجي.

قال سبحانه وتعالى: **﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾**[٥]

(١) سورةالمؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) سورةهود: ٦١.

(٤) سورة الرعد: ٢٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٩ .

وقال: ﴿والأنعام خلقها لكم﴾ [١].

وقال: ﴿لكم فيها جمال﴾ [٢].

وقال: ﴿وتحمل أثقالكم﴾ [٣].

وقال: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماءاً لكم﴾ [٤].

وقال: ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ [٥].

وقال: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ [٦].

وقال: ﴿لتركبوها﴾ [٧].

وقال: ﴿لتأكلوا منه﴾ [٨].

وكل هذه الآيات، من مطلع سورة «النحل» تخاطب جميع البشر دون أن تتجه في خطابها إلى فئة خاصة أو طائفة خاصة، وهي جاءت في سياق آيات أخرى تخاطب جميع البشر أيضاً مثل: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [٩].

ومثل: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [١٠].

هذا جانب من المحتوى العميق الواسع للتوحيد. ومن خلال هذا الاستعراض السريع يتضح بجلاء أن التوحيد ليس بالنظرية الفلسفية الذهنية غير العملية المعزولة

(١) سورة النحل: ٥.
(٢) سورة النحل: ٦.
(٣) سورة النحل: ٧.
(٤) سورة النحل: ١٠.
(٥) سورة النحل: ١١.
(٦) سورة النحل: ١٣.
(٧) سورة النحل: ٨.
(٨) سورة النحل: ١٤.
(٩) سورة النحل: ٩.
(١٠) سورة البقرة: ١٦٣.

عن الحياة وعما يرتبط بحركة المجموعات البشرية وبحركة الفرد ونشاطه. التوحيد لا يكتفي باستبدال معتقد بمعتقد آخر..

بل إنه من جهة: نظرة عامة للكون والحياة، تشتمل على مفهوم خاص للعالم وللإنسان ولمكانة الإنسان بين ظواهر العالم ومكانته في التاريخ، ولإمكاناته واحتياجاته ومتطلباته الذاتية، ولاتجاهه ومراحل سموّه وكماله.

ومن جهة أخرى: منهج اجتماعي شامل متناسب مع طبيعة الإنسان، ويستطيع الكائن البشري في اطاره أن يسمو على مدارج كماله بسهولة وسرعة. إنه أطروحة خاصة للمجتمع تتضح فيها الخطوط العامة والأساسية للكيان الاجتماعي.

أثر نداء النبي بالتوحيد

من هنا، حين يرتفع نداء التوحيد في المجتمعات الجاهلية (المجتمعات القائمة على أساس الجهل بحقيقة الإنسان) والمجتمعات الطاغوتية (القائمة على أساس المعاداة للقيم الإنسانية الحقة) فإنه يحدث تغييراً شاملاً ينير القلوب المظلمة، ويحيي النفوس الهامدة، ويبعث هزة في جسد المجتمع الراكد، وينظم الشؤون المبعثرة المتناقضة لذلك المجتمع. يحدث التوحيد تغييراً في المحتوى النفسي، والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، وفي القيم الأخلاقية والإنسانية.

وبعبارة قصيرة: يهاجم التوحيد الوضع الجاهلي القائم، والسلطة التي تحمي هذا الوضع، والجو الذي يغذي هذا الوضع ويمدّه بالحياة.

التوحيد ـ إذاً ـ ليس فقط أطروحة ترتبط بمسألة نظرية محضة أو مسألة ذات إطار عملي محدود، بل إنه أيضاً طريق جديد أمام الإنسان، يستهدف تقديم أسلوب آخر للعمل والحياة، وإن استند إلى تحليل ذهني ونظري.

التوحيد ليس أطروحة عرفانية

انطلاقاً من هذا الفهم لمحتوى التوحيد، نعتقد أن هذا الأصل يشكّل حجر البناء في صرح الدين، ومحتواه الأساس، والقاعدة التي يقوم عليها. فهم التوحيد على أنه نظرة لما وراء الطبيعة، أو أنه على أحسن الأحوال أطروحة أخلاقية عرفانية، هذا الفهم لا يتناسب إطلاقاً مع الإيديولوجية الإسلامية الحية التي تنطوي على أطروحة كاملة للحياة الاجتماعية.

كان هناك على مر التاريخ طبعاً أفراد ـ مع إيمانهم بالله وبالتوحيد ـ غفلوا أو تغافلوا عن المحتوى العيني والعملي ـ وخاصة الاجتماعي ـ لهذه العقيدة. هؤلاء وطّنوا أنفسهم على المعيشة في كل زمان ومع كل الظروف بحيث لا تكاد تميّزهم عن الكافر بالتوحيد؛ أي أن هذه العقيدة لم تبعث فيهم شعور التعارض مع الوضع غير التوحيدي القائم، ولم يثقل كاهلهم عبء الشرك المستفحل في مجتمعهم.

التوحيد في نظر موحدي مكة

في مطلع الإسلام، كان هناك مجموعة من الحنفاء يعيشون في مكة مركز الوثنية وعاصمة أصنام العرب الكبرى. لكن وجودهم لم يكن له أدنى تأثير على الجو الفكري والاجتماعي، لأن مفهوم هؤلاء الحنفاء عن التوحيد لم يتعدّ أذهانهم وقلوبهم وإطار حياتهم الخاصة، ولم يكن له أدنى تواجد في تلك المتاهات الجاهلية، ولا أقلّ تأثيراً على الحياة المؤسفة القائمة هناك.

هؤلاء الذين يُسمَّون بـ«الموحدين» كانوا يعيشون مع غيرهم على ساحة واحدة ويطوون مسيرة تلك الحياة بنفس طريقة غيرهم دون أن يزعجهم شيء. هذا الفهم الذهني للتوحيد يتميز بهذه الصفة من الخمول والانعزال عن الحياة، وخاصة الحياة

الاجتماعية.

في مثل هذه الأجواء، أعلن نبي الإسلامﷺ مفهوم التوحيد باعتباره عقيدة ملتزمة وتنظيماً للحياة وأطروحة جديدة للمجتمع. وبهذا الشكل أعلن هويته باعتباره دعوة انقلابية لكل مخاطبيه، المؤمنين منهم والكافرين، فكل مَن سمع نداء الإسلام علم أنه نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي جديد لا يتلاءم إطلاقاً مع الأوضاع التي كانت قائمة في العالم آنذاك، بل إنه يستهدف إزالة الوضع القائم وإبداله بوضع آخر.

بسبب هذه الأطروحة، اندفع المؤمنون صوب الدعوة باشتياق ولهفة وولع شديد وأسلموا لها، ولهذا السبب أيضاً هبّ المعارضون والكافرون ليقاوموا نداء التوحيد بوحشية وضراوة، وليصعّدوا عداءهم يوماً بعد يوم.

هذه الحقيقة التاريخية، بمقدورها أن تكون معياراً لتقييم صحة أو عدم صحة ادّعاء التوحيد في كل زمان ومكان. من الصعب أن نصدّق وجود التوحيد في نفوس قوم يشبهون موحدي مكة قبل ظهور الإسلام.

التوحيد المهادن.. التوحيد المداهن مع كل الأنداد والآلهة المزيفة.. التوحيد الذي لا يعدو أن يكون فرضية ذهنية، ليس إلّا نسخة ممسوخة لتوحيد الأنبياء.. ومن الطبيعي أن يخلو مثل هذا التوحيد من ديناميكية دعوة الأنبياء عليهم السلام.

أثر انتشار الإسلام عند طرح التوحيد

من خلال هذه الرؤية نستطيع أن نفهم سبب انتشار نور الإسلام وتقدّمه في العصور المتقدمة، وسبب تراجعه وتقهقره وضعفه في العصور المتأخرة.

إسلام رسول الله ﷺ كان يضع التوحيد أمام الناس باعتباره طريقاً ومسلكاً، وإسلام العصور التالية طرح التوحيد باعتباره نظرية يدور حولها البحث والجدل في المجالس والمحافل.

كان الكلام هناك يدور حول تصور جديد للعالم ونظرية جديدة لحركة الحياة، وهنا الكلام يدور حول مسائل كلامية فرعية خالية من كل عطاء حي.

كان التوحيد هناك يشكّل الهيكل العظمي للنظام القائم، والمحور لكل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وهنا يتمثل في لوحة فنية جميلة معلّقة في صالة، الهدف منها إكمال مظاهر الزينة في الصالة. وأي دور فعال يمكن أن نتوقعه من مثل هذه الظاهرة الكمالية؟!

التوحيد العملي والنظري

مما تقدّم يتضح أن التوحيد من منظار عملي أطروحة للمجتمع ومنهج للحياة وقاعدة للنظام الذي اعتبره الإسلام متناسباً مع طبيعة الإنسان ونموّه وسموّه؛ وهو من منظار نظري يشكّل القاعدة الفكرية الفلسفية لذلك النظام.

عود على بدء

بعد هذه التمهيدات، نستطيع أن نعود إلى بداية المقال، وندرس المسألة من الزاوية الخاصة التي استهدفناها فيه.

قلنا: إنّ المجابهات الأولى التي واجهها نداء التوحيد انطلقت من ذوي القدرة والسلطة في المجتمع، وهذا مؤشر يثبت أن الضربة التي وجهها هذا الشعار اتجهت أول ما اتجهت وأكثر ما اتجهت نحو تلك الفئة المقتدرة المسلّطة، أو نحو الفئة المستكبرة على حد التعبير القرآني.

وقلنا: إنّ الدعوات التوحيدية في مختلف عصور التاريخ، ما أن انطلقت في المجتمع حتى اتخذت موقفها الواضح من المستكبرين. وعلى أثر هذا الموقف، انقسم المجتمع إلى فئتين متناقضتين: الفئة المعارضة المستكبرة والفئة المؤمنة

المستضعفة.

وقلنا أخيراً: إنّ رد الفعل الذي تبديه هاتان الفئتان تجاه رسالة التوحيد هي الخاصة التي تميّز التوحيد الحقيقي الأصيل. أي أن التوحيد ـ متى ما أُعلن بمفهومه الأصيل وبشكله الصحيح ـ يواجه هذه المجابهات وردود الفعل الاجتماعية.

والآن علينا أن نتفحص أبعاد التوحيد لنرى أي بُعد من هذه الأبعاد يتعارض مباشرة مع مصالح الطبقة المستكبرة ويصطدم مع وجودها.

بعبارة أخرى: علينا أن نفهم تلك النظرة التوحيدية التي تستثير المستكبرين وتدفعهم إلى اتخاذ موقف المجابهة الحادة.

تفهّم شخصية المستكبر في القرآن الكريم تعيننا كثيراً على فهم هذا الموضوع.

خصائص المستكبرين في القرآن

القرآن الكريم يعطي في أكثر من أربعين موضعاً صورة عن المستكبر، وخصائصه النفسية، ومكانته الاجتماعية، وأهدافه، وأطماعه التوسعية الاستئثارية. وبشكل عام نجد القرآن يحدد للمستكبر الخصائص التالية:

يرفض الله بالمفهوم الذي تعبّر عنه عبارة «لا إله إلّا الله» (أي حصر الحاكمية والمالكية المطلقة به تعالى)، وإن لم يرفض الله كحقيقة ذهنية تشريفاتية محدودة الإطار قال تعالى: **﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلّا الله يستكبرون﴾**(١).

وقال: **﴿فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا مَن أشد منا قوة﴾**(٢).

وقال: **﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشّره**

---

(١) سورة الصافات: ٣٥.

(٢) سورة فصّلت: ١٥.

بعذاب أليم﴾(١).

ويتخذ موقف الجاحد والمكذب تجاه دعوة النبي التغييرية التحررية، ويجابهها بحجة أنه أقدر من غيره على فهم الطريق الصحيح، وبحجة أن الله ينبغي أن يخاطبه مباشرة قال تعالى: **﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾**(٢).

وقال: **﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾**(٣).

ويتهم المستكبرون صاحب الدعوة بأنه يستهدف الحصول على الجاه والمنزلة، كما يتذرعون بالتقاليد البالية السائدة لنظامهم المسيطر للحد من انتشار الدعوة في المجتمع قال تعالى: **﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾**(٤).

ويستعينون بالقوة والتزوير وبمختلف سبل الخداع والتضليل لإبقاء الناس تحت سيطرتهم وعبوديتهم، ويدفعونهم إلى مجابهة كل دعوة تحررية قال تعالى: **﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾**(٥).

وقال عزّ من قائل: **﴿فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مُغْنون عنا نصيباً من النّار﴾**(٦).

وقال: **﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم**

---

(١) سورة لقمان: ٧.

(٢) سورة الأحقاف: ١١.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٤) سورة يونس: ٧٨.

(٥) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٦) سورة المؤمن: ٤٧.

فماذا تأمرون﴾[١].

وأخيراً يعرّضون النبيﷺ وأتباعه، الثائرين على النظام المسيطر وعلى الإتجاه الفكري السائد، لأقسى الحملات وأشد أنواع التعذيب والأذى والتنكيل قال تعالى: **﴿قُتِل أصحاب الأخدود * النّار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود...﴾**[٢].

وقال: **﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربّه إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد﴾** [٣].

هذه هي باختصار الخصائص التي يذكرها القرآن الكريم للمستكبرين. وهناك مواضع أخرى تجاوز فيها القرآن رسم الصورة إلى وضع الإصبع على أفراد مشخّصين ينتمون إلى اتجاهات معيّنة قال تعالى: **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملَئه بآياتنا فاستكبروا..﴾**[٤].

وقال: **﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبيّنات فاستكبروا في الأرض﴾**[٥].

فرعون معروف، وهامان مستشار فرعون الخاص والشخصية الأولى في جهاز فرعون.

طبعاً و«ملأ فرعون» هم علّية القوم في هذا الجهاز، والسائرون في ركاب فرعون،

---

(١) سورة الأعراف: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) سورة البروج: ٣ ـ ٧.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

(٤) سورة يونس: ٧٥.

(٥) سورة العنكبوت: ٣٩.

ومشاوروه ومساعدوه [١]. وقارون هو صاحب الثروات الطائلة والكنوز التي ﴿**إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة**﴾ [٢].

وباستعراض عشرات الآيات من كلام الله العزيز بشأن الاستكبار، نستطيع أن نفهم المستكبر على النحو التالي: الجناح المسيطر في المجتمع الجاهلي، الماسك ـ دون استحقاق ـ بزمام السلطة السياسية والاقتصادية. واستمراراً لاستثماره وتسلّطه الجائر، يمسك أيضاً بزمام الأفكار والمعتقدات المسيطرة على الأذهان، ويعمل بأساليب متنوعة على ملء الأذهان بأفكار تدفع الأفراد إلى الاستسلام له وإلى الانسجام مع الأوضاع القائمة. وهذا المستكبر يهبّ لمقارعة كل دعوة إلى التوعية، فما بالك إذا كانت الدعوة انقلابية تغييرية!! حفاظاً على مصالحه بل على وجوده.

روح التوحيد وأبعاده البنّاءة النابضة بالحياة

كيف عرض الأنبياء عقيدة التوحيد؟

الجواب على هذا السؤال يوضح مواضع الحساسية التي تستثير المستكبر في هذه العقيدة، وسبب حساسيته من هذه المواضع، وسبب عدم قدرة المستكبر على تحمّل عقيدة التوحيد حين تطرح بهذه الكيفية.

وجدير بالذكر أن الجواب على هذا السؤال يوضح لنا من جانب آخر أهمية التوحيد باعتباره القاعدة الأساس التي تقوم عليها رسالة الأنبياء عليهم السلام.

نعلم أن شعار التوحيد هو أول نداء يرفعه النبي ﷺ في المجتمع. النبي الخاتم

(١) قال تعالى: ﴿وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ سورة الأعراف ١٢٧.

(٢) سورة القصص: ٧٦.

رفع في مكة شعار: «**قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا**»[١].

والقرآن الكريم نقل عن أنبياء كرام مثل: نوح وهود وصالح وشعيب و... خطابهم لأممهم، وكان الخطاب يدور حول محور التوحيد: ﴿**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾[٢].

هذه الشعارات الإلهية ـ كما ترى ـ تستند بالدرجة الأولى إلى رفض كل عبودية لغير الله تعالى. النبي صلى الله عليه وآله بهذه الشعارات يهيب بالجهَلَة الغافلين المنغمسين في أوحال النظام الجاهلي الطاغوتي، أن يكفّوا عن عبودية كل قطب وقدرة غير الله. وهذا يعني أن النبي يبدأ دعوته بإعلان الحرب على كل الذين يجعلون من أنفسهم آلهة من دون الله تعالى.

مفهوم أدعياء الألوهية

مَن هم أدعياء الألوهية في المجتمع؟ وما معنى إعلان الحرب على الآلهة المزيفة؟ وما هو الوضع الذي تريد دعوة الأنبياء عليهم السلام أن توجده في المجتمع؟

عبارة «أدعياء الألوهية» توحي إلى الأذهان عادة أولئك الذين جعلوا من أنفسهم «إلهاً»، أي أولئك الذين ادّعَوا لأنفسهم تلك القدرة الخارقة التي كان البشر يؤمن بها على مر التاريخ بشكل من الأشكال. وهذا فهم سطحي للعبارة.

كان هناك طبعاً في التاريخ مجرمون تافهون استغلّوا قدرتهم السياسية والاجتماعية، فأوحَوا إلى أفراد أتفه منهم أنهم آلهة، بالمعنى المتقدم، أو أنهم يحملون جانباً من روح الإله؛ ولكن لو ألقينا نظرة على المعنى الواسع لألفاظ «العبادة»

---

(١) انظر مناقب آل أبي طالب: ١ / ٥١.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩.

و«الربوبية» و«الألوهية» في القرآن، لاستنتجنا أن إطار مفهوم «أدعياء الألوهية» أوسع من ذلك الفهم بكثير.

استعمال مادة «العبادة» في القرآن الكريم يفيد أن العبادة تعني التسليم والطاعة المطلقة تجاه إنسان أو أي موجود آخر. حين نستسلم استسلاماً أعمى لشخص، ونتحرك وفقاً لرغباته وأهوائه وأوامره فقد عبدناه[1]؛ وكل قوة تستطيع أن تخضعنا لها، وتسيطر على أجسامنا ونفوسنا، وتسخّر طاقاتنا وفقاً لرغباتها، فإنها تصيّرنا عبيداً لها سواء كانت هذه القوة داخل أنفسنا، أم في محيطنا الخارجي. ومن أمثلة هذه الإستعمالات القرآنية:

فالنبي موسى عليه السلام يخاطب فرعون في بداية دعوته معاتباً يقول: ﴿**وتلك نعمة تمنّها عليّ أن عبّدت بني إسرائيل**﴾[2].

وفرعون وبطانته يخاطب بعضهم بعضاً فيقولون: ﴿**أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون**﴾[3].

والنبي إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه قائلاً: ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً**﴾[4].

وقال: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين**﴾[5].

---

(١) روى الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأرمني، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزوجل فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان - الكافي - الشيخ الكليني: ٦ / ٤٣٤.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون: ٤٩.

(٤) سورة مريم: ٤٤.

(٥) سورة يس: ٦٠.

الله تعالى يَعِدُ عباده الصالحين:

قال تعالى: ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى**﴾[١].

وحول أولئك الذين يعيبون على المؤمنين إيمانهم يقول تعالى: ﴿**مَن لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القِرَدة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل**﴾[٢].

معنى العبادة

هذه الآيات عبّرت عن الطاعة لفرعون ولبطانته وللطاغوت وللشيطان بكلمة "عبادة". ومن خلال دراسة جميع آيات القرآن في هذا المجال نخلص إلى أن العبادة في المفهوم القرآني هي: الاتباع والتسليم والطاعة المطلقة أمام قدرة واقعية أو وهمية، طوعاً ورغبة أو كرهاً وإلزاماً، مع الشعور بالتقديس والثناء المعنوي أو بدونه.. هذه القدرة هي «المعبود» وهذا المطيع هو «العبد» و«العابد».

من خلال الإطار العام للمفاهيم المتقدمة يتضح معنى لفظة «الألوهية» ولفظة «الله» باعتبارهما تعبيراً آخر عن كلمة «المعبود»:

في النظام الجاهلي المنحرف المنقسم إلى طبقتين: مستكبرة ومستضعفة، أي المنقسم إلى طبقة مسيطرة ماسكة بزمام جميع الأمور، ومترفة طبعاً، وطبقة مهملة مسخّرة ومحرومة لزاماً، وأبرز مظاهر الألوهية والعبودية هي هذه العلاقة غير المتعادلة بين الطبقتين.

---

(١) سورة الزمر: ١٧.

(٢) سورة المائدة: ٦٥.

من العبث أن نبحث وراء موجود مقدس بشري أو حيواني أو جامد، في دراسة آلهة المجتمعات الجاهلية على مر التاريخ. فأبرز مظهر للمعبود والإله في هذه المجتمعات، هو تلك الفئة التي تمارس ـ اعتماداً على ارتباطها بالطبقة المستكبرة ـ عملية إخضاع وإرضاخ الجماهير المستضعفة، ودفعها على طريق إشباع نهمها وجشعها.

الدين الواقعي في هذه المجتمعات هو «الشرك»، لأن الآلهة فيها متعددة بتعدد مراكز القوة المسيطرة التي تستثمر الناس على طريق أهوائها.

معنى الشرك

الشرك هو تأليه أفراد إلى جانب الله أو بدلاً من الله.

وبتعبير آخر وهو: إيكال أمور الحياة إلى غير الله. وهو الاستسلام أمام كل قدرة غير الله، والاتجاه نحو هذه القدرة لدى الحاجة، والسير على طريقها.

التوحيد يقع في النقطة المقابلة للشرك تماماً: يرفض كل هذه الآلهة، ويرفض التسليم لها، ويقاوم سيطرتها، ويحصّن القلوب من الركون إليها، ويدفع إلى إزالتها وطردها، ويشد الكائن الإنساني بكل وجوده إلى الله.

أول شعار رفعه رسل الله عليهم السلام هو ذلك الرفض وهذا التسليم قال سبحانه وتعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[1].

وقال: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه أنه لا إله إلّا أنا فاعبدون**﴾[2].

فالأنبياء عليهم السلام إذاً أعلنوا زوال النظام الجاهلي الفاسد المنحط بهذا الشعار.

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

وبهذا الشعار أيضاً دَعَوا إلى كفاح مرير للطواغيت، أي لحماة هذا النظام وللمستهينين بالقيم الإنسانية الأصيلة ولأصحاب تلك القيم التافهة المساندة للظلم والظالمين.

رفض الشرك هو في الواقع رفض لكل الكيانات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المقوّمة للمجتمع الجاهلي، والمتخذة من مذهب الشرك غطاءاً وتبريراً لوضع المجتمع المهزوز.

رفض الآلهة المزيفة، يعني طرد كل الذين دأبوا على استضعاف الجماهير، واستغلالها عن طريق القوة والتزوير، من أجل إشباع غرائزهم وأهوائهم الجامحة.

النبي موسى عليه السلام اتجه إلى حرب فرعون بهذا الشعار.. نعم لقد تردد على ألسن بطانة فرعون مسألة رفض موسى عليه السلام لآلهتهم التقليدية: **﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك﴾**(١).

غير أن فرعون ومَن لفّ لفّه كانوا يعلمون جيداً أن تلك «الآلهة»، أي الأصنام الجامدة ليست إلّا غطاءاً وتبريراً لألوهية فرعون وأتباعه. الصنم الجامد كان في الحقيقة تبريراً لتأليه الأصنام الحية، لذا كان من المنطقي تماماً أن يقف فرعون من دعوة موسى، أي من الدعوة إلى الله الواحد الأحد بارئ السماوات والأرض، موقف المهدد بالسجن وبقتل مَن آمن به وتعذيبهم قال سبحانه وتعالى: **﴿قال لئن اتخذتَ إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾** (٢).

وقال: **﴿قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾**(٣).

---

(١) سورة الأعراف: ١٢٧.

(٢) سورة الشعراء: ٢٩.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٦.

وقال: ﴿لأُقطّعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأُصلّبنّكم أجمعين﴾[1].

كل هذا التعنت والتصلب أمام إسم «الله» ودعوة التوحيد، يعود إلى أن هذا النداء لا يعني إلّا: الإيمان بحاكمية الله وحدها على الحياة... ورفض الآلهة المزيفة... والارتباط به وحده وتمزيق كل قيود العبودية الأخرى... وهذه هي روح التوحيد وأبعاده البنّاءة النابضة بالحياة.

(١) سورة الأعراف: ١٢٣.

تأسيس النبي للحكومة الإسلامية

تأسيس النبي للحكومة درس عظيم

إنّ تأسيس النبي ﷺ للحكومة الإسلاميّة أصبح درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبي ﷺ في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشريّة إلى الأبد. فكان ينبغي أن يُؤدّي الإمام الحسين عليه السلام هذا الواجب ليصبح درساً عمليّاً للمسلمين على مرّ التاريخ.

ولماذا قام الإمام الحسين عليه السلام بهذا الواجب؟ لأنّ أرضية هذا العمل قد مُهّدت في زمن الإمام الحسين عليه السلام، فلو لم تمهّد هذه الأرضيّة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، كأن مُهّدت ـ وعلى سبيل المثال ـ في زمن الإمام علي الهادي عليه السلام لقام الإمام علي الهادي عليه السلام بهذا الواجب، لصار هو ذبيح الإسلام العظيم، ولو اتّفق ذلك في زمن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لقام به، أو اتّفق في عصر الإمام الصادق عليه السلام لقام به الإمام الصادق عليه السلام، لكنّ لم يتّفق ذلك في زمن الأئمّة حتّى عصر الغيبة إلّا في عصر الإمام الحسين عليه السلام.

إذن كان الهدف أداء هذا الواجب، فعندها تكون نتيجة أداء الواجب أحد الأمرين إمّا الوصول إلى الحكم والسلطة وكان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لذلك؛ ليعود المجتمع كما كان عليه في عصر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، أو يصل إلى الشهادة وكان الإمام الحسين مستعدّاً لها أيضاً.

فإنّ الله قد خلق الحسين والأئمة بحيث يتحمّلون مثل هذه الشهادة لمثل لهذا

الأمر، وقد تحمّل الإمام الحسين عليه السلام ذلك. هذا خلاصة الأمر.

وأمّا توضيح هذا الأمر:

إنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ـ وكذا أيّ نبيّ ـ عندما بعث، أتى بمجموعة من الأحكام، بعضها فرديّة لإصلاح الفرد، وبعضها اجتماعية لبناء المجتمعات البشريّة وإدارة الحياة البشريّة. هذه المجموعة من الأحكام يقال لها النظام الإسلامي. فعندما نزل الإسلام على القلب المقدّس للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، فجاء بالصلاة والصوم والزكاة والإنفاقات والحجّ والأحكام الأسريّة والعلاقات الفرديّة، ثمّ جاء بالجهاد في سبيل الله وإقامة الحكومة والنظام الاقتصادي وعلاقات الحاكم بالرعيّة ووظائف الرعية تجاه الحاكم.

هذه المجموعة من الأحكام عرضها الإسلام على البشر، وبيّنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النّار إلّا وقد أمرتكم به»**[1].

ولم يبيّن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كلّ ما يسعد الإنسان والمجتمع الإنساني فحسب، بل طبّقها وعمل بها، فقد أقام الحكومة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي، وطبّق الاقتصاد الإسلامي، وأقيم الجهاد واستحصلت الزكاة، فشيّد نظاماً إسلاميّاً وأصبح النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده معمار وقائد هذا النظام.

كان الطريق واضحاً وبيّناً، فوجب على الفرد وعلى المجتمع الإسلامي أن يسير في هذا الطريق وعلى هذا النهج، فإن كان كذلك بلغ الناس الكمال، أصبحوا صالحين كالملائكة، وذهب الظلم والشرّ والفساد والفرقة والفقر والجهل بين الناس، ووصل الناس إلى السعادة الكاملة ليصبحوا عباد الله الكُمّل.

---

(١) الكافي: ٢ / ٧٤ ح ٢.

الإنحراف عن مسيرة النبي صلى الله عليه وآله

لو صرفت يد أو حادثة القطار الّذي سيّره النبي الأكرم ﷺ عن مسيره، فما هو التكليف؟؟ لو انحرف المجتمع الإسلامي وبلغ الانحراف درجةً بحيث خيف انحراف أصل الإسلام والمبادئ الإسلاميّة ـ لأنّ الانحراف على قسمين، فتارة ينحرف الناس، وهذا ما يقع كثيراً، لكن تبقى أحكام الإسلام سليمة، وتارة ينحرف الناس ويفسد الحكّام والعلماء ومبلّغو الدِّين، فيحرّفوا القرآن والحقائق، وتبدّل الحسنات سيّئات والسيّئات حسنات. ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ويحرّف الإسلام ١٨٠ درجة ـ فلو أبتلي النظام والمجتمع الإسلامي بمثل هذا الأمر، فما هو التكليف حينئذ؟

التكليف عند الإنحراف

لقد بيّن النبي الأعظم ﷺ وحدّد القرآن التكليف فقال سبحانه وتعالى: ﴿**من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾[1] إضافة إلى آيات وروايات كثيرة أخرى.

لكن هل تمكّن النبي ﷺ من العمل بهذا الحكم الإلهي؟ كلاّ، لأنّ هذا الحكم الإسلامي يُطبّق في عصر ينحرف فيه المجتمع الإسلامي ويبلغ حدّاً يخاف فيه من ضياع أصل الإسلام، والمجتمع الإسلامي لم ينحرف في عهد رسول الله ﷺ، ولم ينحرف في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام بتلك الصورة، وكذا في عهد الإمام الحسن عليه السلام عندما كان معاوية على رأس السلطة، وإن ظهرت الكثير من علائم ذلك الانحراف،

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

لكنّه لم يبلغ الحدّ الّذي يخاف فيه على أصل الإسلام. نعم، يمكن أن يقال إنّه بلغ في برهة من الزمن الحدّ، لكن في تلك الفترة لم تتح الفرصة ولم يكن الوقت مناسباً للقيام بهذا الأمر.

إنّ هذا الحكم الّذي يعتبر من الأحكام الإسلاميّة لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، لأنّ الحكومة تعني إدارة المجتمع، فلو انحرف المجتمع وفسد، وتعطّل الحكم الإلهي، ولم يوجد عندنا حكم وجوب تغيير الوضع وتجديد الحياة أو بتعبير اليوم (الثورة)، فما الفائدة في الحكومة في الإسلام. فالحكم الّذي يرتبط بإرجاع المجتمع المنحرف إلى الخطّ الصحيح لا يقلّ أهمّية عن الحكومة ذاتها، ويمكن أن يقال إنّه أكثر أهمّية من جهاد الكفّار ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الطبيعيين في المجتمع الإسلامي، بل وحتّى من العبادات الإلهيّة العظيمة كالحج. لماذا؟ لأنّ هذا الحكم - في الحقيقة - يضمن إحياء الإسلام بعد أن أشرف على الموت أو مات وانتهى.

حسناً، مَنْ الّذي يجب عليه أداء هذا الحكم وهذا التكليف؟ إنّه خليفة النبي صلى الله عليه وآله الذي يقع في عصره هذا الانحراف بشرط أن يكون الوقت مناسباً للقيام بذلك، لأنّ الله لا يكلّف بشيء لا فائدة فيه.

طبعاً ليس معنى (أن يكون الوقت مناسباً) هو عدم وجود الخطر، كلاّ، ليس هذا هو المقصود. يجب أن يكون الوقت مناسباً، يعني أنّ الإنسان يعلم أنّ هذا العمل الّذي يقوم به تترتّب عليه نتيجة يعني إبلاغ النداء إلى الناس وإفهامهم وعدم بقائهم على خطأهم.

وربّما أنّ الإسلام قد انحرف عن مسيرة النبي صلى الله عليه وآله في عصر الإمام الحسين عليه السلام وكان الوقت مناسباً، لذا وجب على الحسين عليه السلام أن يثور.

فالشخص الّذي تولى السلطة بعد معاوية لم يراع حتّى جوهر الإسلام، وكان منغمساً في الخمر والمجون والتهكّم بالقرآن وترويج الشعر الإباحي المرفوض من

قبل الإسلام، فكان يخالف الإسلام علناً، وكان بعمله هذا كنبع الماء العفن الّذي يفسد ما حوله. هكذا يكون الحاكم الفاسد، فبما أنّه يتربّع على قمّة المرتفع، فما يصدر منه لا يبقى في مكانه، بل ينتشر ليملأ ما حوله، خلافاً للناس العاديين حيث يبقى فسادهم لأنفسهم أو للبعض ممّن حولهم.

طبعاً كلّ من شغل مقاماً ومنصباً أرفع في المجتمع الإسلامي كان ضرر فساده أكبر. لكن لو فسد من يقع على رأس السلطة لانتشر فساده وشمل كلّ الأرض، كما أنّه لو كان صالحاً، لامتدّ الصلاح إلى كلّ مكان.

فشخص كهذا أصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل هناك إنحراف أكبر من هذا؟

إذن الأرضيّة ممهّدة، وما معنى أنّ الأرضيّة ممهّدة؟ هل معناه عدم وجود الخطر؟ كلاّ، فالخطر موجود. فلا معنى أن يبقى من هو على رأس السلطة ساكتاً أمام معارضيه ولا يخلق لهم المخاطر، بل من البديهي أن يوجّه لهم الضربات، فعندما نقول الوقت المناسب، فمعناه أن الظروف في المجتمع الإسلامي مواتية لأن يُبلّغ الإمام الحسين عليه السلام نداءه إلى الناس في ذلك العصر وعلى مرّ التاريخ(١).

نهج الأنبياء الحقيقي

ما قيل من أن مهمة الأنبياء (عليهم السلام) تقتصر على المعنويات، وأنهم والأولياء العظام كانوا يجتنبون الحكومة وكل ما يتعلق بالدنيا، وانّ علينا أن نقتفي خطاهم، فهو خطأ يبعث على الأسف حقاً ويؤدي الى تدمير الشعوب الإسلامية وفتح الطريق أمام المستعمرين والمستغلين.

إنّ المرفوض في نهج الأنبياء (عليهم السلام) والذي حذروا منه إنما هو

(١) من كلمة ألقاها في ١٠ محرم الحرام ١٤١٦ هـ

الحكومات الشيطانية الظالمة المستبدة التي تقوم لأجل التسلط ولدوافع دنيوية منحرفة، ولجمع المال والثروة والسعي للتسلط والتجبر، وبالنتيجة الدنيا التي تسبب غفلة الإنسان عن الله تعالى.

أما حكومة الحق المُقامة لأجل المستضعفين والوقوف بوجه الظلم والجور، وإقامة العدالة الاجتماعية كالحكومة التي أقامها سليمان بن داود ونبيّ الإسلام العظيم ﷺ وما سعى إليه أوصياؤه العظام، فإنها من أجل الواجبات، والسعي إليها من أسمى العبادات، كما إن السياسة الصحيحة التي مارستها تلك الحكومات هي من أوجب الأمور»[١].

تصدي أنبياء الله للطواغيت

فإن أبرز مهام أنبياء الله عليهم السلام كان التصدي للطواغيت ولمن فرّطوا بالنعم الإلهية؛ قال تعالى: **﴿وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسدَ فيها ويُهلكَ الحرث والنسل﴾**[٢]؛ بهذ التعابير المثيرة تتحدث هذه الآية القرآنية عن هذه الحكومات الفاسدة التي سعت إلى أن يستشري الفساد؛ وقال تعالى: **﴿ألَمْ تَرَ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار* جهنّم يصلونها وبئس القرار﴾**[٣]؛ فهؤلاء بدّلوا النعم الإلهية والإنسانية والطبيعية كفراً وأحرقوا البشر ـ الذين كان يُفترض بهم التنعم بهذه النعم ـ في نارهم التي أعدّوها بكفرهم.

والأنبياء عليهم السلام إنّما وقفوا بوجه هؤلاء؛ ولولا التصدي الحازم من قبل الأنبياء عليهم السلام لطواغيت العالم وعُتاة التاريخ لما كانت هنالك حاجة إلى الحروب والنزاعات،

(١) من كلمة ألقاها في ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ـ طهران (حرم الإمام الخميني (قده).

(٢) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

وبهذا صرّح القرآن الكريم قائلاً: ﴿**وكأيّن من نبي قاتل معه ربّيّون كثير**﴾[١].

فضد مَنْ كانت هذه الحروب ؟ إن العدو الذي استهدفه الأنبياء عليهم السلام في حربهم هو الحكومات الفاسدة والقوى المخرّبة وطغاة التاريخ الذين جرّعوا البشرية الشقاء وأهلكوها؛ فالأنبياء هم منجّو الإنسانية؛ لذا فقد ذكر في القرآن الكريم إقامة العدل على أنها أحد أسمى أهداف النبوات والرسالات قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾[٢]؛ فإنزال الكتب وإرسال الرسل إنّما كان بالأساس لكي يسود العدل والقسط البشرية، أي تزال مظاهر الظلم والغطرسة والفساد من الوجود[٣].

أسلوب القوة عند الأنبياء

لقد اقتحم الكثير من الأنبياء عليهم السلام ميدان الجهاد والحرب المقدس كما أشار سبحانه الى ذلك بقوله: ﴿**وكأيّن من نبي قاتل معه ربّيون كثير**﴾[٤]، وإن الذين يتوهمون أن على الإسلام أن ينزوي وعلى رجاله التوسل بمنطق النصح فقط، إنما هم يرددون عن علم أو جهل ما تصبو إليه دوائر السلطة العالمية وتريده، فدوائر الهيمنة الإستكبارية لا يرهبها أن يقبع زعماء الإسلام في زوايا العالم ويبادروا بين الفينة والأخرى لإصدار بيان أو تصريح ـ كما يفعل أحبار المسيحية في إصدار بيان وإسداء موعظة بدون التفوّه بكلمة في أيّ من القضايا ـ فهم يعلمون بأن ذلك لا يشكل خطرا بالنسبة إليهم بل إنهم يرهبون ويخافون أن يستيقظ المسلمون ويقيموا حكومة واحدة وأن يتجسد الإيمان الديني لدى أبناء الأمة في إطار نظام واحد ودولة واحدة وحكومة

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) من كلمة ألقاها في ٣ محرم ١٤٢٣هـ ـ طهران.

(٤) سورة آل عمران: ١٤٦.

واحدة، ولقد خطا النظام الإسلامي والشعب الإيراني المسلم الخطوة العملاقة في هذا الدرب، وبفضل جهاد شباب هذا الشعب والمؤمنين من رجاله ونسائه برز الإسلام كقوة على الصعيد العالمي وكلما استطاعت هذه القوة أن تزداد ثباتاً ورسوخاً تضاعف الخطر الذي يهدد النظام الظالم والشيطاني في العالم[1].

طريق الأنبياء نحو الحاكمية

إن الإسلام يرى أن العالم يسير نحو الحاكمية الحقّة وصوب الصلاح لا محالة. وكما أشرت سابقاً، وهآنذا أشير الآن أيضاً مجرد إشارة لأن المقام لا يحتمل التفصيل، فإنّ كافة الأنبياء عليهم السلام والأولياء قد جاؤوا ليقودوا الناس إلى هذا الطريق الرحب الذي لو وضعوا أقدامهم عليه لتفتحت طاقاتهم تلقائياً، وإن الأنبياء عليهم السلام والأولياء قد أرشدوا الناس إلى هذا الطريق الأصلي بعد إنقاذهم من سبل الضلال ودروبه ووديانه وصحاريه وغاباته، ولكن البشرية لم تخطُ الخطوة الأولى بعد على هذا الطريق المستقيم ولم تصل إلى نقطة البداية، فهذا ما سوف يحدث في زمن ولي العصر (أرواحنا فداه)، وإن كانت كافة هذه المساعي والجهود قد بنيت على أساس أن نهاية هذا العالم هي نهاية غلبة الصلاح، ولربما كان ذلك عاجلاً، أو آجلاً، ولكنه حادث لا محالة. وكما سيقهر الصلاح الفساد، فإن قوى الخير ستقهر قوى الشر. وهذه رؤية إسلامية لا ريب فيها.

لقد كان الواجب الأساس على كافة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء هو أن يبينوا للناس هذه الواجبات، ويستوي الأمر في ذلك بين المراحل التي يتقلدون فيها الحكم أو التي يعجزون فيها عن ذلك؛ فعند استتباب الأمور كانوا يأمرون الناس بالمجاهدة والجهاد وإقرار الحكم واستخدام الأساليب الإدارية الملائمة، ولقد جاهد الجميع

---

(١) من كلمة ألقاها في ١ شعبان ١٤٢٣هـ ـ طهران .

وقاوموا كما قال سبحانه: ﴿**وكأيّن من نبيّ قاتل معه رِبّيون كثير**﴾[١].

إنّ الجهاد والنضال السياسي ومواجهة الأعداء لم يشرّع في الإسلام لأول مرة في التاريخ، بل كان في شرائع الأنبياء السابقين أيضاً ـ الأنبياء العظام الإلهيين منذ زمن إبراهيم وفيما بعد ـ ولربما كان مشروعاً قبل إبراهيم عليه السلام كذلك، وهو ما يحتاج الى دراسة.

وعلى هذا فإن هذه الواجبات هي الواجبات التي يدعونا إليها الأنبياء. ولكن هذه المسؤولية تعتبر أشد جسامة في الحكومة الحقّة وعندما تكون مقاليد السلطة بيد عباد الله، المؤمنين بالله وبسبيل الله؛ فلماذا؟ وذلك لأنه لا يمكن المقارنة بين إمكانياتكم كجزء من هذه الحكومة الآن وإمكانياتكم في عهد حكومة الطاغوت حتى في أحسن أحوالها[٢].

نظرية حاكمية الأديان السماوية

ربما يتبادر إلى الأذهان أن هذه المسألة من المسلّمات البينات، وهي كذلك على صعيد الرؤية الدينية وبالنسبة لمن له معرفة بالمباني الإسلامية؛ فحاكمية الدين في جميع شؤون الحياة ـ ليس فقط على قلب الإنسان وروحه أو أفعاله الشخصية، بل على حياته بأسرها ـ هي مما تسالمت عليه الأديان الإلهية جميعاً ولا ينفرد بها الدين الإسلامي الحنيف. لذا فإنكم تلحظون في القرآن الكريم أن أنبياء الله العظام عليهم السلام كانوا يقارعون الحكومات والسلطات والطواغيت والمترفين والمتسلطين على مقدرات المجتمع؛ وفي مقدمة من ناصبوا الأنبياء العداء هم من كان بيدهم مصير المجتمع، ولو كان دور الدين مقتصراً على الروح وزوايا البيوت والمعابد لما كانت

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٢) من كلمة ألقاها في ٥ رمضان ١٤٢١هـ ـ طهران.

هنالك ضرورة لأن يرفع المترفون لواء المعارضة، فلماذا يعارضونه؟! بل يفترض أن يتقدم المعارضة المتعبدون المتدينون؛ إذن فلماذا يصرح القرآن بقوله: **﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾**[١] ؟!

لماذا نرى المترفين أول من ينبري للمواجهة؟ ولماذا يتصدر السلاطين والجبابرة السياسيون صفوف المعارضة للأنبياء ويؤلّبون الناس على المعارضة؟! ليس ذلك إلّا لأن الأنبياء عليهم السلام في كل قوم كانوا يدعون إلى نظام اجتماعي حديث يختلف عن النظم السائدة في المجتمع، تلك النظم الاجتماعية التي تمثل الحكومات مظهراً لها، والنظم السياسية والاجتماعية بدورها تمثل تجسيداً لتلك الحكومات؛ ولقد كان الأنبياء عليهم السلام مخالفين ومناهضين لأسس الأنظمة الطاغوتية الحاكمة على المجتمع، لذلك كانوا مجبرين على خوض الصراع، بل وتجييش الجيوش أحياناً، وذلك ما وردت دلائله في الآيات والروايات؛ فقد ورد: **«أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم»**[٢]، بالإضافة إلى مقارعته لعبادة الأصنام وتحطيمها أوان شبابه.

ومعلوم أيضاً في العصر الإسلامي أن أول ما بادر إليه النبي صلى الله عليه وآله هو تشكيل الحكومة وتولّي إدارة شؤون المجتمع، وليس هنالك من مسلم يتبادر إلى ذهنه ما يخالف ذلك أبداً، بل هو من المسلّمات[٣].

مميزات حكومة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

لقد جاء الإسلام بحكومة مثالية. ولو أردنا اختصار قضية البعثة لقلنا بأن الظلم والجهل والعنصرية كانت تسود البشرية؛ فالحكومات الكبرى التي كانت تسيطر على

---

(١) سورة سبأ: ٣٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ١١ / ١٩٩٩ح ١٢٥٨٤.

(٣) من كلمة ألقاها في ٢١ جمادى الثانية ١٤٢٢هـ ـ طهران.

العالم في ذلك الزمان ـ حكومة قيصر في الأمبراطورية الرومانية وحكومة كسرى في إيران ـ وكانت تمثل حكومات النبلاء، وهي حكومات غير شعبية وحكومات مفروضة بحد السيف دون الخضوع للعقل والمنطق غايتها نشر الجهل والفساد، وسواها من الحكومات الصغيرة على غرار ما كان في الجزيرة العربية، وغيرها من الحكومات التي كانت تفوقها سوءاً وشرّاً، كانت كلها حكومات جاهلية أخضعت العالم لسيطرتها.

وفي هذه الأثناء أضاء رسول الله ﷺ العالم بنور الإسلام، واستطاع بفضل المدد الإلهي والجهاد الجبار والعظيم الذي قام به هو والذين معه أن يبث النور في إحدى مناطق الجزيرة العربية، ثم ما لبث أن عمها هذا النور الألهي بالتدريج؛ فعندما رحل الرسول الأعظم ﷺ عن هذه الدنيا كانت الحكومة التي ثبت عمادها حكومة قوية ومستقرة يجدر بها أن تكون نموذجاً للحكومات على طول امتداد التاريخ الإنساني.

ولو كان الاستمرار قد قُدّر لهذه الحكومة لتغير وجه التاريخ بلا ريب، ولتحقق في ذلك الزمان ما سيحققه إمام الزمان لدى ظهوره بعد ذلك بقرون في عالم يسوده العدل والنقاء والصدق والأخلاص والمحبة، حيث البداية الحقيقية للحياة البشرية. إن الحياة الحقيقية للإنسان في هذا العالم تعود إلى مرحلة ما بعد ظهور إمام الزمان، ويعلم الله ما ستبلغه البشرية من عظمة وازدهار يومذاك. ولهذا فإن هذه الحكومة لو كان قد كُتب لها الاستمرار والدوام وظلت باقية في تلك العصور الأولى وتغير تاريخ البشرية، لكان مصير البشرية قد خطا خطوات واسعة نحو الأمام، إلّا أن هذا لم يحدث للعديد من الأسباب.

إنّ مميزات حكومة الرسول الأكرم ﷺ أنها كانت قائمة على العدل بدلاً من الظلم، ومستندة إلى التوحيد والتمحور حول عبودية الذات الألهية المقدسة بدلاً من الشرك والتفرقة الفكرية للإنسان، ومبنية على العلم والمعرفة بدلاً من الجهل، وقائمة

على المحبة والتواصل والرفق والمداراة بدلاً من عداء الإنسان للإنسان؛ أي كانت حكومة قويمة في ظاهرها وباطنها يشبّ فيها الإنسان في ظلال التقوى والشرف والعلم والبصيرة والنشاط والتحرك والسعي نحو الكمال.

ولكن كل شيء كان قد تغير بمرور خمسين عاماً (أي الى زمن الإمام الحسين عليه السلام) ، فلم يبق من الإسلام سوى الإسم دون المعنى والمضمون، وعادت حكومة الظلم بدلاً من حكومة العدل، وعادت العنصرية والتحزب والطبقية بدلاً من المساواة والأخوة، وبات الجهل بدلاً من العلم والمعرفة. لقد كان كل شيء يعود إلى الوراء خلال تلك الأعوام الخمسين، وهناك آلاف الشواهد والنماذج التي تفصح عن هذا الانحدار؛ ويتحمّل الباحثون والمحققون مسؤولية إيضاحها للعقول الشابة وتبيانها لطلاب الحقيقة[١].

حكومة شعبية تقوم على الشورى في إطار وحي الله

إنّ الإسلام أساساً هو المنادي الرائد لإقامة حكومات شعبية تقوم على الشورى في إطار وحي رب العالمين والشريعة الإلهية. والنبي الأعظم ﷺ استناداً إلى أمره سبحانه: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[٢] كان يستشير أصحابه في مهام الحكومية الإسلامية حتى إنه كان إذا غلب رأي الجمع على رأيه الشريف يعمل برأي الصحابة، ولعل هذا من أسرار التقدم الفريد الذي حققه المسلمون في مطلع تاريخ الإسلام[٣].

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران .

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) من كلمة ألقاها في ١ / ربيع الأول / ١٤٢٠هـ.

ركائز بنية النظام النبوي

إنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أرسى أُسس نظام كانت بناه الأساسية تقوم على عدّة ركائز.. تعتبر أربعة منها الثقل في ذلك البناء، وهي:

المعرفة الدينية:

الأول: المعرفة المتقنة الخالية من الغموض في شؤون الدين، ومعرفة الأحكام، والمجتمع، والتكليف، ومعرفة اللّه تعالى والرسول صلى الله عليه وآله، ومعرفة الطبيعة. وهذه هي المعرفة التي انتهت إلى تراكم العلوم وبلغت بالمجتمع الإسلامي في القرن الرابع للهجرة ذروة المدنية والحضارة العلمية. فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله لم يترك أي ابهام وغموض. ولدينا في هذا الصدد آيات مدهشة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها[1]. وحيثما كان هناك موضع غموض أو التباس، كانت تنزل آية تجليه.

العدالة المطلقة:

الثاني: العدالة المطلقة التي لا محاباة فيها سواء في حقل القضاء، أم في حقل

(١) سواء في الأمور الفردية الصغيرة كالأحكام بين الزوجين أو أحكام المجتمع بأكمله أو ما يتعلق بالكون والنظام، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ بِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَ الْجَارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ النساء ٣٦.
وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ....﴾ البقرة ١٨٧.
وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يونس ٥.

الاستحقاقات العامّة ـ لا ما يتعلق بحقه الشخصي إذ كان النبي ﷺ يعفو عن حقّه ـ أي العدل التام فيما يتعلق بعامة الناس ويجب تقسيمه بينهم بالعدل. وكذا العدالة في تطبيق حدود اللّه، وفي توزيع المناصب وتفويض المسؤوليات، وتحمل المسؤولية.

ومن البديهي أنّ العدالة غير المساواة. لا يلتبس الأمر عليكم، فقد يكون في المساواة ظلم أحياناً.

بينما العدالة تعني وضع كل شيء في نصابه، وإعطاء كل شخص حقّه. فقد كان العدل حينذاك عدلاً مطلقاً لا تشوبه شائبة. ولم يكن في عهد الرسول ﷺ استثناء لأي شخص يجعله خارج إطار العدالة.

العبودية الكاملة لله تعالى:

الثالث: العبودية الخالصة للّه والخالية من أي شرك؛ أي العبودية للّه في العمل الفردي .. العبودية في الصلاة حيث يجب أن يكون فيها قصد التقرب إليه. وكذلك العبودية له في بناء المجتمع وفي النظام الحكومي وفي نظام الحياة، والعلاقات الاجتماعية بين الناس. وهذا موضوع يستلزم بحد ذاته شرحاً مستفيضاً[١].

المودة والرحمة

الرابع: المحبّة الغامرة والعاطفة الفياضة. وهذه من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامي.. حبُّ اللّه، وحبّه تعالى للناس ﴿**يحبّهم ويحبّونه**﴾[٢]. ﴿**إنّ اللّه يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين**﴾[٣]، ﴿**قل إن كنتم تحبّون اللّه فاتّبعوني يحببكم اللّه**﴾[٤]،

(١) وتقدم في مطلع الكتاب بعض ذلك.

(٢) سورة المائدة: ٥٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٢.

الحب .. حب الزوجة وحب الأولاد، من المستحب تقبيل الأولاد، وتستحب محبتهم، ويُستحب حب الزوجة، ويُستحب حبُّ الأُخوة المسلمين والتحبب إليهم، والأعظم هو حب الرسول وأهل بيته عليهم السلام .. قال تعالى: ﴿إلّا المودة في القربى﴾[(٥)].

لقد رسم النبي صلى الله عليه وآله هذه الخطوط العريضة وأرسى ركائز المجتمع على أساسها، ووضع معالم الحكومة عشر سنوات على هذا المنوال.

بداية ترجمة الركائز

ومن الواضح طبعاً أنّ تربية الناس تأتي على نحو تدريجي ولا تتحقق جملة واحدة. وبذل الرسول قصارى جهده على امتداد هذه السنوات العشرة لترسيخ تلك الأُسس، والعمل على مد تلك الجذور في أعماق الأرض. إلّا أنّ فترة العشر سنوات تعتبر قصيرة جداً إذا ما أريد بها تربية الناس على خلاف ما كانوا قد ترعرعوا عليه من سجايا وخصائص، فقد كان المجتمع الجاهلي في كل شؤونه على النقيض تماماً من مضامين هذه الركائز الأربعة؛ لأنه كان فارغاً من أية معرفة وغارقاً في حيرة الجهل والضلال، ولم تكن لديه أية عبودية لله، بل كان مجتمع تجبّر وطغيان، وكان مجتمعاً بعيداً عن العدالة ومليئاً بألوان الظلم والتمييز.

وصف العصر الجاهلي

رسم أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة صورة فنية رائعة عمّا كان سائداً في العصر الجاهلي من ظلم وتمييز، جاء فيها: «**في فتن داستهم بأخفافها ووطأتهم**

(٤) سورة آل عمران: ٣١.

(٥) سورة الشورى: ٢٣١.

بأظلافها وقامت على سنابكها»(١).

كان المجتمع آنذاك مجرداً من معاني المحبّة، كانوا يئدون بناتهم، وكانت كل قبيلة تثأر لقتيلها من أي رجل تجده من قبيلة القاتل، سواء كان مستحقاً للقتل أم غير مستحق، وسواء كان مجرماً أم بريئاً، وسواء كان عالماً بتلك القضية أم لا.. كان يسودهم الاضطهاد والقسوة والغلظة والفظاظة المطلقة.

مَن نشأ في تلك الحالة يمكن أن يصلُح ويُهذّب على مدى عشر سنوات ـ إن تحققت شروط ذلك ـ ويمكن إدخاله في الإسلام، ولكن لا يمكن غرس هذه القيم والمفاهيم في أعماق نفسه إلى الحد الذي يجعل لديه القدرة على إيجاد نفس هذا التأثير على الآخرين.

دخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً، ودخل في الإسلام أناس لم يعايشوا الرسول ﷺ ولم يدركوا تلك السنوات العشرة مع النبي.

وهنا تتجلّى أهمية مسألة الوصية التي يعتقد بها الشيعة، ويكمن منشأ الوصية والنص الإلهي، من أجل ديمومة ذلك النهج التربوي؛ وإلّا فمن الواضح أنّها ليست من سنخ أنواع الوصايا الأُخرى المتداولة في هذا العالم، فكل إنسان يوصي قبل وفاته لابنه، إلّا أنّ القضية هناك تعني لزوم استمرارية نهج الرسول ﷺ من بعده.

لا أُريد الدخول في المباحث الكلامية بل أُريد تناول التاريخ بشيء من التحليل ولتتناولوه أنتم أيضاً بمزيد من التحليل. لهذا البحث ـ طبعاً ـ صلة بالجميع ولا يختص بالشيعة وحدهم، فهو للشيعة وللسنّة ولجميع الفرق الإسلامية على حد سواء. ونظراً لما يتصف به من الأهمية، يجب أن يحظى إذن باهتمام من قبل الجميع(٢).

---

(١) نهج البلاغة: ١ / ٢٩ خ ٢، والسنابك: طرف الحافر.

(٢) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

تطبيق النبي للقانون

كان ﷺ شديد الرعاية والحفاظ على القانون، ولم يكن يدع أحداً ينقض أحكام الشريعة أو يفرّط بالقانون، فضلاً عن نفسه، وكان يعتبر نفسه خاضعاً للقانون كما ينصّ القرآن على ذلك، فكان يطبق القانون على نفسه كما يطبقه على من هم سواه بلا أدنى تجاوز.

وعندما غزا المسلمون بني قريظة فأسروا رجالهم وقتلوا خائنيهم وغنموا أموالهم ومتاعهم، فإن بعض أمّهات المؤمنين ومنهن زينب بنت جحش، وعائشة، وحفصة، قلن للنبي ﷺ: يا رسول الله، لقد غنمنا كل هذه الأموال من اليهود فاجعل لنا نصيباً فيها، إلّا أنه لم يذعن لقولهن مع حبه واحترامه لهن، ومع أن أحداً من المسلمين لم يكن ليعترض عليه. فلمّا زاد إلحاحهنّ فإنه ﷺ اعتزلهنّ شهراً كاملاً على غير ما يُتوقع منه. ثم لم يلبث أن نزلت آيات سورة الأحزاب الشريفة: ﴿ **يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء**﴾[1] ﴿ **يا أيها النبيّ قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيماً**﴾[2] فدعاهنّ الرسول ﷺ إلى الزهد واحترام القانون.

ومن خلقه أيضاً كحاكم ﷺ، إنه كان يرعى العهود، ولم ينقض عهداً له أبداً. وعندما نقضت قريش عهده فإنه ظل راعياً له، وكذلك كان الحال مع اليهود الذين نقضوا عهده غير مرة[3].

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩.

(٣) من كلمة ألقاها في ٧ صفر ١٢٤١هـ ـ طهران.

قال الإمام الخميني قدس سره: «حكومة الإسلام حكومة القانون، أي القانون الإلهي، قانون القرآن والسنة، فالحكم تبع للقانون، أي أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه تابع للقانون، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام نفسه تابع للقانون، ولا أحد يخالفه قيد أنملة ولا يستطيع ذلك»[1].

رأي الإسلام في العنف

سأتحدث عن مصطلحين راجياً بذلك ألاّ يستطيع ذوو القلوب المريضة التفريق بيننا وبين أبناء الأمة الإسلامية بعد اليوم أبداً. فأحدهما «العنف» والثاني «الإصلاح».
فما هو المقصود بالعنف؟

إنّ العنف هو القتل والضرب والسجن وسوء الخلق والحدّة، وهو أمر واضح ومعنى بديهي. وهناك سؤال مازال يثار في صحفنا منذ بضعة أشهر حول ما إذا كان العنف أمراً جيداً أم سيئاً، أو ما إذا كان هذا الشخص يقبل العنف وذلك الآخر يرفضه، أو ما إذا كان الإسلام يقول به أو لا يقول به! فهل هذا الموضوع معقد هكذا وبالغ الأهمية، أو أن هناك نوايا أخرى خلف الستار؟!

إنّ للإسلام رأياً واضحاً وصريحاً حول العنف؛ فالإسلام لم يجعل العنف أصلاً من حيث المبدأ، ولكنه لم ينفه أيضاً في الحالات التي يكون فيها قانونياً.

العنف القانوني وغير القانوني

إن لدينا نوعين من العنف، أحدهما قانوني، أي أن القانون يستخدم العنف عند الضرورة فينص على حبس هذا الشخص إذا ارتكب هذه الجناية أو الجريمة. فهذا

---

(١) صحيفة النور: ١٣ / ١٨٣.

عنف، لكنه ليس سيئاً، لأنه يحول دون الاعتداء على حقوق البشر ويقمع الخارجين على القانون ويجازي المعتدي. فإذا لم يستخدم العنف ضد المعتدين لازدادت الجرائم في المجتمع، فهو ضروري في هذه الحالة.

والثاني عنف غير قانوني، أي أن يعتدي أحد على حقوق الآخرين كما يهوى وبلا سبب ولا دليل وخلافاً للقانون والدستور، كأن يصفع شخصاً، فهل هذا جيد أم سيّئ؟! واضح أنه سيّئ وبلا شك.

فالإسلام دين شامل وليس أحادي الجانب؛ فعندما تقف الحكومة الإسلامية لمواجهة القوة والاعتداء والاضطرابات والهجمات والخروج عن القانون فلابد لها من القوة والصرامة والعنف دون خشية من هذه الكلمة. وبالعكس، أي عندما تتعامل مع أفراد الشعب والرعيّة، فعليها بالرفق واللين. قال سبحانه وتعالى: ﴿**عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[(١)]؛ فلكل مقام مقال.

وعندما توجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى مكة في العام الثامن للهجرة في حجه الأخير ـ حجّة الوداع ـ فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان على رأس بعثة في اليمن لتعليم أهله الدين وجمع أموال الزكاة، فكان من بينها عدد من البُردات اليمنية، وهو نوع من الألبسة اليمنية الممتازة والمفضّلة يومذاك. ولم يكن لدى أمير المؤمنين عليه السلام الوقت الكافي ليتحرك مع هذه القافلة، فوضع عليها أحد الأشخاص وأمره بالمجيء بهذا المتاع، وأسرع هو للإلتحاق برسول الله صلى الله عليه وآله ليكون معه في أداء مناسك الحج.

فلما وصلت القافلة إلى مكة ذهب أمير المؤمنين ليستطلع أمرها، فاكتشف عدم وجود تلك الألبسة اليمنية وأنهم قسموها فيما بينهم في غيابه، فارتدى كل واحد منهم بردة له! فقال عليه السلام: ليس من الجائز تقسيمها قبل وصولها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وبتعبير

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

آخر وصولها إلى بيت المال أو الخزانة كما هو الحال في زماننا هذا ـ وإن هذا خلاف الشرع والدين! فأمرهم بخلعها، ومن لم يشأ تسليمها أخذها منه بالقوة.

وبالطبع فإن المرء سيشعر بالضيق إذا جُرد من شيء ما إلّا إذا كان شديد الإيمان؛ فذهب بعضهم إلى رسول الله ﷺ واشتكوا إليه أمير المؤمنين! فسألهم ماذا حدث، ولماذا هذه الشكوى؟ فأجابوا لقد جردنا أمير المؤمنين من تلك الملابس. فقال لهم رسول الله ﷺ: لا تلوموا علياً على ذلك «**إنه خشن في ذات الله**»(١).(٢)

العنف القانوني المشرع

فالعنف القانوني هو ذلك الحد الذي يشرّعه الإسلام. وهو أمر ضروري فضلاً عن أنه جيد.

وأما العنف غير القانوني فهو جريمة فضلاً عن أنه سيّئ، وينبغي مواجهته، وهذا هو رأي الإسلام؛ فلا نقاش فيه ولا جدال حتى يأتي البعض بدون معرفة بالأسس الإسلامية وعلم بحقيقة الأمور ويملأوا صفحات بعض الصحف بعناوين بارزة ومثيرة ومبهرة ومضلّلة!

وبالتأكيد فإن الأعداء الذين يريدون إشعال الساحات الإسلامية بنار البحث والجدال حول هذا الموضوع لهم أهداف أخرى. إنهم يعتبرون العنف أمراً كلّياً، ولا يفرقون بين العنف القانوني وغير القانوني، وليسوا على وفاق مع العنف القانوني؛ وهم يقولون إذا أثار أحد الإضطرابات في شوارع طهران، وسلب الناس أمنهم وراحتهم، وبدد أموالهم، وعرض أبناءهم للخطر، فلا تصطدموا به لأن هذا عنف، بينما هم يمارسون أشد أنواع العنف والوحشية في كافة أنحاء العالم! إن الكيان الصهيوني ـ

(١) الإرشاد للمفيد: ١ / ١٧٣، والبحار: ٢٢ / ٣٨٥.

(٢) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

الذي تعتبر إذاعته من مروّجي معارضة العنف والتي ترفع باستمرار ذلك شعاراً ـ يقصف فلسطين وجنوب لبنان كل يوم فيقتل النساء والأطفال والكبار والصغار، وهكذا يفعل أيضاً رفاقهم في كافة بقاع العالم وهم الذين يسيطرون على وسائل الإعلام العالمية![1]

غاية بعثة الأنبياء إقامة القسط

القرآن كتاب عدالة؛ فدرس العدالة هو درس القرآن الذي يعتبر الغاية من بعثة الأنبياء عليهم السلام هي إقامة القسط ﴿**ليقوم الناس بالقسط**﴾[2] وهذا هو درس القرآن. فإذا ما شعرنا وشعرت الأمة الإسلامية في كافة أرجاء العالم الإسلامي ببعدها عن العدالة فلتعلم أنها بعيدة عن القرآن، ونحن حيث لا نجامل أنفسنا، علينا أن نقلّص من بعدنا عن العدالة لنختزل بعدنا عن القرآن.

القرآن معلم الوحدة للأمة الإسلامية قال عزّ من قائل: ﴿**إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾[3]. فالمسلمون والمؤمنون بأجمعهم إخوة، والأمة الإسلامية من وجهة نظر الإسلام كتلة واحدة؛ والفوارق والعداوات والضغائن والعنصرية للقومية كل ذلك مما يتنافى مع هذه الوحدة.

وإذا ما وجدنا الأمة الإسلامية تعاني الفرقة والتشتت والبغضاء وسوء الظن فيما بينها فلنعلم أننا بعيدون عن القرآن. وإن العدو يستغل بعدنا هذا غاية الاستغلال. ونحن إذا ما اختزلنا بعدنا عن القرآن سنقوى وستنال الأمة الإسلامية عزتها يوم تعالج بعدها عن القرآن؛ ﴿**إنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين**﴾[4] فالمؤمن عزيز، وإن ما ترونه

---

(١) من كلمة ألقاها في الجمعة ٩ محرم ١٤٢١ هـ ـ طهران.

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

(٤) سورة المنافقون: ٨.

من تحول الكثير من الدول الإسلامية إلى آلة مطيعة بيد أعداء الإسلام وأن يطأوا بأقدامهم الأراضي الإسلامية، يحلّون فيها ويرحلون متى شاؤوا ويستخدمونها كما يحلو لهم، لهو دليل على الابتعاد عن الإسلام والقرآن، وإلّا فإن الإسلام يأبى ذلك...

لقد ابتدأ الأنبياء دعوتهم بلغة النصح، غير أنهم لما استطاعوا استجماع وتجهيز أنصارهم، أخذوا يخاطبون أعداء التوحيد وأعداء البشرية بلغة القوة.

لاحظوا في هذه الآية القرآنية التي تتحدث عن القسط وتقول إن الله سبحانه وتعالى بعث النبيين ﴿**ليقوم الناس بالقسط**﴾، فإنها تقول مباشرة ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**﴾[(١)]، أي أن الأنبياء بالإضافة إلى دعوتهم باللسان فإنهم يواجهون الأقوياء والعتاة المدجّجين بالسلاح والمتغطرسين والسلطويين الفاسدين ويقارعونهم.

فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما حلّ في المدينة وأقام النظام الإسلامي كان يتلو على الناس آيات القران ويوصلها إلى مسامع الأعداء أيضاً، لكنه لم يكتف بذلك، فلابد لأنصار العدالة من التزود بالقوة في مواجهة المتعسفين والطامعين والمعتدين على حقوق الإنسان، لذا فإنكم تشاهدون أعداء الإسلام ومنذ اليوم الأول لقيام النظام الإسلامي، أي الإسلام المعزز بقدرات شعب عظيم وإمكانيات بلد ودولة كبيرة قد أخذوا على محمل الجدّ حركة الإسلام، وكذلك فإنّ التوّاقين للإسلام وأنصاره في كافة أرجاء الدنيا قد عمّهم الأمل[(٢)].

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) من كلمة ألقاها في ١ شعبان ١٤٢٣هـ ـ طهران.

تأسيس النظام معجزة كبرى للنبي صلى الله عليه وآله

إنّ نظرة على تاريخ الإسلام وتحليلاً لتلك الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام من شأنها توضيحُ أن مسألة تعيين خلف للرسول صلّى الله عليه وآله وسلم كانت أمراً ضرورياً، ولو كان التدبير الرحماني (الإلهي) والنبوي قد تحقق حسب المشيئة الربانية لتغيرت مسيرة التاريخ البشري، ولأصبحنا اليوم في مقدمة تاريخ الإنسانية المديد.

إنّ استطاعة خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله وسلم) على نشر الدين، وتأسيس نظام يُلبّي كافة حاجات الإنسان كانت معجزة كبرى في حد ذاتها، وخصوصاً أنّ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) حقق هذا النظام الفكري والعملي على أرض الواقع، وذلك في أصعب الظروف وأشق الأمكنة، وهو ما يدل على أن ذلك الإنجاز الكبير كان من الممكن تحقيقه في كافة نقاط العالم وعلى مر الأجيال السابقة واللاحقة.

لقد استطاع النبي(صلّى الله عليه وآله وسلم) إقامة ذلك النظام العلمي الشامخ في نطاق الواقع، وهذا في أشدّ الظروف صعوبة وقسوة.

ولو كانت قضية تعيين خليفة للنبي صلى الله عليه وآله في الغدير قد تحققت، وأدخلت المزيد من التطور كمّاً وكيفاً على المجتمع الإسلامي والنبوي الذي شيدته يد القدرة الإلهية؛ ولو كنا قد استطعنا العناية به والحفاظ عليه طوال اثني عشر جيلاً، لكان مما لا يقبل الجدل والمراء أن تَظلّ تلك الحركة على مرّ التاريخ البشري صرحاً قوياً يستعصي على الزوال.

على أنّ هذا لا يعني بالضرورة أن البشرية لم تكن لتعيش مرحلة انتظار، أو أنها كانت ستبلغ ذروتها المطلوبة خلال تلك الإثني عشر جيلاً، فحتى لو كان قد تحقق ما أراده الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلم)، وجاء بعده أمير المؤمنين عليه السلام، ثم الإمام

الحسن، ثم الإمام الحسين، وتعاقب عليهم باقي الأئمة عليهم السلام، لكان من المتيقن أن تحتاج البشرية أيضاً إلى فترة انتظار؛ من أجل تحقيق ذلك المجتمع النموذجي.

ومع ذلك فإنه لو كان قد تمّ تعاقب المعصومين ـ بما يتمتعون به من أمانة وكفاءة ـ لكان بإمكانهم الحفاظ على تلك الحقيقة التي تجسدت على أرض الواقع، ولكان مسير البشرية قد أخذ اتجاهاً آخر.

حاجة البشرية بكل أزمنتها للنظام

إنّ البشرية مازالت تحتاج إلى ما كانت تحتاج إليه قبل خمسة آلاف عام مضت؛ لأن الحاجات الأساسية للإنسان لم تتغير.

لقد كانت البشرية تعاني في ذلك الزمان من وطأة ظلم القوى الغاشمة، وهكذا اليوم، فإنكم لو شاهدتم كيف تُسيطر القوى الجائرة والمدمرة على العالم، لوجدتم أنّ البشرية مازالت تئِن تحت فداحة الألم.

كما أن البشرية آنذاك كانت تحتاج إلى العدالة وكانت تعاني من قسوة الظلم والجور، وها هي اليوم ما زال هاجسها الأول ومعاناتها الكبرى من انعدام العدالة.

إنّ من الخطأ أن نتصور أن هذه الحرية الفردية، تلك التي منحتها الليبرالية الديمقراطية الغربية للبشرية، كانت حاجة بشرية لم تكن موجودة من قبل، وذلك لأن الحرية الفردية على أنماطها المختلفة اليوم كانت موجودة أيضاً في العديد من بقاع العالم، وخلال الكثير من الحقب التاريخية.

إنّ تلك الأغلال التي تُقيّد الإرادة الإنسانية اليوم بصورة مبهمة كانت من الوضوح بمكان في ذلك الزمان.

إنّ هذه الشباك التي تلتف اليوم على إرادة الإنسان وحركته وحياته قد حيكت

بعناية فائقة من خيوط رقيقة ودقيقة، وهي مهارات كانت منعدمة في سالف الأزمنة، ولهذا كانت أشد وضوحاً وأكثر فتكاً بالبشرية؛ إذاً فمتطلبات البشرية لم تتغير.

ولو كانت تلك الأمانة النبوية قد تناقلتها الأيدي، وسهرت على رعايتها من حيث الكم والكيف على ما ينبغي، لكانت البشرية اليوم قد حققت ضرورياتها الملحّة (وكان من الممكن حتى أن تكون هناك متطلبات أخرى للبشرية لا نعرفها نحن اليوم) ولكنها لم تكن بهذه الصورة الابتدائية.

إننا اليوم وكافة المجتمعات الإنسانية مازلنا نعيش مرحلة الضروريات الابتدائية البشرية؛ فالفقر ما زال موجوداً في العالم، والتفرقة ليست بالحجم اليسير، بل ازدادت حدّتها، ولا تخص مكاناً دون آخر، بل إنها واضحة المعالم في كل مكان، والغطرسة ما زالت قائمة، وسيطرة الإنسان على الإنسان بلا وجه حق ما زالت ظاهرة موجودة، وهي نفس الظواهر التي كانت تعمّ المجتمعات البشرية بصورة أخرى مختلفة منذ ألفين أو أربعة آلاف عام.

إنّ الإنسانية ما زالت تعيش نفس تلك المآسي، وإن كانت أشكال المعاناة قد تغيرت.

لقد كان (الغدير) بداية نمطية جديدة قادرة على إخراج البشرية من تلك المرحلة إلى مرحلة أخرى جديدة.

لقد كانت حاجات الإنسان حينذاك أبلغ وأعظم، وكان طموحه وحبه أسمى وأرفع، وهو ما كان يشكل أكبر تحدياته.

إنّ طريق التقدم مفتوح دائماً أمام البشرية، ومن الممكن أن يعمّر البشر آلافاً أو ملايين من السنين القادمة، وكلما ازدادت سِنيّ عمرها ستكون على الدوام في حاجة إلى التطور، سوى أنّ القواعد الأساسية يعتريها الخراب اليوم، تلك القواعد التي أسسها نبي الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلم واعتمد لها نظام الوصاية والنيابة حفاظاً

على بقائها، وهو ما لم يحدث، ولو كان حدث لكانت الأوضاع على غير ما هي عليه الآن.

لقد عمل الأئمة (عليهم السلام) جاهدين خلال مئتين وخمسين عاماً من حياتهم -وهي الفترة التي كان لهم ظهور فيها منذ رحيل النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وحتى شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام - على أن تسير الأمور كما أرادها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم، ولكن ذلك لم يتحقق.

وها نحن قد أتينا الآن في هذه المرحلة من الزمان ونزلنا إلى الساحة بفضلٍ وتوفيقٍ إلهي يحدونا العزم والتصميم، ولسوف نواصل الدرب على أكمل وجه إن شاء الله تعالى[١].

حكومات خلفاء النبي صلى الله عليه وآله

لعل من الحكومات التي جاءت إلى الحكم في العالم الإسلامي على مدى اثني عشر أو ثلاثة عشر قرناً مَنْ كانوا يعظمون إسم رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتبرون أنفسهم خلفاء له، وكانوا على استعداد لقتل من يقول لهم: لستم خلفاء رسول الله، لما كانوا يدّعون من خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، بدءاً من خلفاء بني أمية ومروراً بخلفاء بني العباس الذين حكموا ما يقرب من خمسمائة إلى ستمائة عام، ومن ثمة الخلفاء الفاطميين في مصر وشمال أفريقيا، وتلاهم خلفاء الدولة العثمانية الذين حكموا في آسيا الصغرى، أي تركيا الحالية حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث كانت عاصمة حكومتهم فيها، فيما كانت الدول العربية الحالية بأجمعها تقريباً تخضع لحكومتهم، وكان هؤلاء جميعاً يحملون إسم الخليفة الذي يعني خليفة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله !

(١) من كلمة ألقاها في ١٣٨٤/١٠/٢٩هـش - ١٨ / ذي الحجّة / ١٤٢٦هـق - ٢٠٠٦/١/١٩م.

والبعض تجاوز بخطوة أكثر حيث كانوا يدّعون أنهم خلفاء الله قائلين نحن خلفاء الله! نوّاب الله! كان هذا لقبهم، ولكن ما كان عملهم؟ كان عملهم على شاكلة الحكومات الملكية الظالمة التي سادت الدنيا قبلهم وعاصرتهم أيضاً في مناطق أخرى، وتلتهم مثل هذه الحكومات في أرجاء العالم حتى يومنا هذا.

كان الإسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، بيدَ أن النمط والعمل والسلوك كان شيئاً آخر. مَنْ هم هؤلاء، وما الإسم الذي يليق بهم؟ إنه إسم «منافق»! أي مَنْ يدعي شيئاً، ويعد بشيء، ويرفع راية باسم شيء معين، لكنه في سلوكه وعمله ومنهجه لا يلتزم بذلك الشيء، فثمة أمر آخر وعمل آخر يتحكم بفعله وخطّه. هذا هو المنافق، فهل نُزمع أن نكون كذلك بحيث نلوّح براية الولاية العلوية والحكم العلوي والتبعية لأمير المؤمنين عليه السلام خليفة النبي صلى الله عليه وآله الحقيقي، لكننا نساوق حكومتنا مع الأنظمة التي تتنافى تماماً مع خط علي وفكره ومنطقه؟! فمنها من يخالفه ١٠٠٪ وبعضها ٩٠٪ والبعض الآخر ٨٠٪ وترتكز في عملها على أساس آخر. لذا يتعين علينا أكثر من الآخرين التمسك بالأنموذج ومعرفته واتخاذه ملاكاً، فما هي معالم الأنموذج العلوي في الحكم؟ إن هذه المعالم يجب الالتزام بها.

كما يتعين على الجماهير مراقبتنا؛ فإذا ما وجدتنا نلتزم بمعالم الحكم العلوي ـ بما تسعه طاقتنا ـ فلتتقبّل حينها أننا حكومة تسير في خط علي. أما إذا لمست منّا عدم الالتزام بتلك المعالم[١] أو أننا نعمل بما يعاكسها ـ وليس الحديث هنا أننا نقل قدرةً عن علي، وإنما عدم امتلاكنا الإرادة في اقتفاء خطه ـ إذ ذاك فلترفض خطابنا ومزاعمنا ولتقُل إن هذه الحكومة ليست علوية، وليس هي من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في شيء. وهذا هو الملاك الذي لابد أن يؤخذ بنظر الإعتبار[٢].

---

(١) والتي تفصيلها في تاريخ وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٣ رجب ١٤٢٣هـ ـ طهران.

قال الإمام الخميني قدس سره: «لقد تحقق حكم الإسلام الأصيل في مرحلتين تاريخيتين في صدر الإسلام: الأولى في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والثانية عندما باشر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الحكم في الكوفة، حيث حكمت المبادئ في هاتين المرحلتين.

وبتعبير آخر: قامت في هاتين المرحلتين، حكومة عادلة تدير المجتمع لم يكن الحاكم فيها يخالف القانون، ولو بمثقال ذرة، فالحكم في هاتين المرحلتين كان حكم القانون، ولعله لم يذكر لنا التاريخ أي مرحلة أخرى كان فيها للقانون هذه الدرجة التي يتساوى فيها الحاكم مع أضعف الناس اجتماعياً أمام القانون وحكمه، هكذا كان في صدر الإسلام»[١].

---

(١) الكوثر: ٢ / ٢١٥.

المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

وجوب تعيين النبي خليفة بعده

لقد جاء الأنبياء ليبلغوا بنا تلك المحطة التي تنطلق منها حياة البشرية من جديد، فماذا يتحتم على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله أن يصنع إذا ما أراد ايصال البشرية إلى هذه المحطة بما يقتضيه الدين الخاتم؟ يجب أن تستمر تلك التربية التي وفّرها للناس وتتواصل جيلاً بعد جيل، فهو صلى الله عليه وآله لا محالة راحل عن الدنيا **﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون﴾**[1]، فعليه صلى الله عليه وآله إذن أن يستخلف مَن يحذو حذوه على وجه الدقة في ذلك الدرب والمنحى ويتبع نفس منهجه؛ وذلك هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ وهذا ما يعنيه التنصيب في يوم الغدير.

لو كانت الأمة الإسلامية قد وعت يومها عملية التنصيب التي بادر إليها النبي صلى الله عليه وآله بمغزاها الحقيقي وأحسنت استيعابها واقتفت أثر عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتواصلت التربية النبوية، وظلّل المعصومون من بعد أمير المؤمنين عليه السلام الأجيال البشرية المتعاقبة بظلال تربيتهم الإلهية بعيداً عن الهفوات كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأفلحت البشرية في بلوغ المستوى الذي عجزت عن بلوغه لحد الآن بسرعة فائقة، من تطور في العلم البشري وتسامٍ في المراتب الروحية للإنسان، واستتباب للسلام والوئام بين الناس، وزوال للظلم والجور وانعدام الأمن والتمييز والحيف بين الناس، وهذا ما صرّحت به

(١) سورة الزمر: ٣٠.

فاطمة الزهراء سلام الله عليها[١] ـ التي كانت أعرف أهل زمانها بمنزلة النبي وأمير المؤمنين ـ من أن الناس لو اتبعوا علياً لسلك بهم هذا الطريق وبلغ بهم هذا المآل. غير أن الإنسان كثيراً ما يقع في الأخطاء.

طالما أوقعت الاخطاء الكبرى، التي شهدها التاريخ، الإنسانية في خضم من المحن الجسام، وإن مسيرة البشرية خلال عهد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله زاخرة بالحوادث والقصص المهمة وتنطوي على فلسفة غاية في العمق، ونحن إذ نعيش عام أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهذا العام وغيره من الأعوام إنما هي أعوامه عليه السلام أيضاً ـ خليق بأن تحظى هذه الفلسفة بمزيد من التأمل والتمحيص، وعلى البشرية المعاصرة أن تبادر إلى نفس تلك الحركة والمسعى، وكلما تزيّنت المجتمعات البشرية بالعدالة والمعنويات وتنزّهت الإنسانية عن رذائل الأخلاق والأنانية والنوايا السيئة والنزعات الشهوانية وحب النفس إذ ذاك ستكون أكثر قرباً من ذلك في المستقبل، فلقد وقعت البشرية ضحية الانحرافات على مدى التاريخ وسلكت طريقاً ابتعد بها كثيراً عن

(١) قالت صلوات الله عليها: «... ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوّة ومهبط الروح الأمين الطبن (المتضلع) بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدّة وطأته، ونكال وقعته وتنمّره في ذات الله، ويالله لو تكافأوا على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لسار بهم سيراً سجحاً «سهلاً»، لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً رويّاً... ولفتحت عليهم بركات من السماء.. إلى أي لجأ لجأوا وأسندوا، وبأيّ عروة تمسّكوا، ولبئس المولى ولبئس العشير،استبدلوا والله الذنابي بالقوادم (الذنابي الذنب والقوادم ريش في مقدم الجناح) والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم ﴿يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ويحكم: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون﴾... أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» (انظر بلاغات النساء: ٣٢ ـ ٣٣كلام فاطمة، والسقيفة للجوهري: ١١٧ ـ ١١٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٣٣كتاب ٤٥، وأهل البيت لتوفيق أبي علم: ١٧٦ ـ ١٧٧.

غايتها المنشودة[١].

النبي وإستمرار حاكمية الدين

النبوّة هي إبلاغ النداء الإلهي لأبناء البشر، وتحقّق المشيئة الإلهيّة بواسطة الشخص المبعوث والمصطفى من الله في فترة زمنية معيّنة. وبديهي أنّ هذه البرهة تمرّ وتنتهي ﴿إنّكَ ميّت وإنَّهُمْ مَيّتُونَ﴾[٢]، لكن هذه الحادثة الإلهيّة والمعنويّة لا تنقطع بوفاة النبي، بل يبقى للحادثة بُعدان:

أحدهما: هو الاقتدار الإلهي، وحاكميّة الدِّين والمشيئة الإلهيّة بين أبناء البشر؛ لأنّ الأنبياء كانوا مظهراً من مظاهر الاقتدار الإلهي بين البشر. فلم يأت الأنبياء لوعظ الناس فقط، بل الوعظ والتبليغ يعدّان جانباً من عمل الأنبياء. فالأنبياء جميعهم بُعثوا لبناء مجتمع أساسه القيم الإلهيّة، أي التأثير في واقع حياة الناس، فتمكّن بعضهم وبلغ به جهاده إلى نتيجة والبعض الآخر لم يتمكّن ولم يصل إلى نتيجة. لكن هذا البعد في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله هو بُعد أساسي. فالنبيّ أضحى بهذا البعد مظهراً من مظاهر القدرة الإلهيّة على الأرض وبين أبناء البشر، ومظهراً من مظاهر الحاكميّة والولاية الإلهيّة بين الناس. وهذا بعد ممتدّ ليُعْلَم أنّ الدين لا يمكن أن يترك أثره في برهة زمنيّة أو فترة تاريخيّة إلّا بوجود هذه الزعامة والحاكميّة والاقتدار فيه.

إهتمام النبي بأمته بعد وفاته

ثانيهما: ـ وهو على نفس القدر من الأهمّية ـ أنّه إذا كانت هذه الحاكميّة لا تنقطع بل تمتدّ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، فلا يمكن للحاكميّة أن تخلو من الأبعاد المعنويّة

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجّة ١٤٢١هـ ـ طهران.

(٢) سورة الزمر: ٣٠.

للنبي صلى الله عليه وآله.

صحيح أنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله مقاماً عظيماً واستثنائياً، ولا يقاس به أحد، لكن يجب أن يكون امتداد وجوده متناسباً مع وجوده، ويجب الحفاظ على القيم الموجودة في الوجود المقدّس للنبي صلى الله عليه وآله في من هو امتداد لوجوده، طبعاً بقدر ظرفيّة ذلك الشخص.

وهذا الأمر لم يتحقّق ويتبلور في تلك الفترة وذلك الفصل المهمّ من تاريخ النبوّة والولاية ـ والّذي وجب في من هو امتداد للنبي صلى الله عليه وآله أن يكون معصوماً وإلّا وقع الإنحراف ـ سوى في الوجود المقدّس لأميرالمؤمنين عليه السلام .

إذن حادثة الغدير قد سجّلت هذين الأمرين معاً في تاريخ الإسلام. وهذا بُعد في قضية الغدير، والبعد الآخر هو شخصية أميرالمؤمنين عليه السلام، والبعد الثالث هو اهتمام النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بقضايا ما بعد وفاته. هذه رؤى وأبعاد مختلفة يمكن مناقشة واقعة الغدير من خلالها[1].

ما وقع بعد الوفاة

إنّ البناء الذي بناه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله ما كان لينهار بهذه السهولة. ولهذا نلاحظ أنّ من بعد رحيل الرسول، استمرت عامة الأمور ـ باستثناء قضية الوصية ـ على ما كانت عليه. فكانت العدالة في وضع حسن، والذكر في حالة حسنة، والعبادة على ما يرام.

وإذا نظر المرء إلى الهيكل العام للمجتمع الإسلامي في سنواته الأولى يجد الأمور كما كانت ولم يرجع شيء القهقرى.

نعم كانت تقع بعض الحوادث بين الفينة والأُخرى إلّا أن ظواهر الأمور كانت

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجّة ١٤١٥ هـ.

تعكس بقاء نفس الأُسس والركائز التي وضعها الرسول الأكرمﷺ.

بيدَ أنّ ذلك الوضع لم يدم طويلاً، فكلما كان الوقت يمضي كان المجتمع الإسلامي ينحدر تدريجياً صوب الضعف والخواء[١].

حركة الأنبياء مستمرة

يعتبر الإمام المهدي (عج) ـ آخر الائمة ـ هو استمراراً لحركة الأنبياء، والدعوات الإلهية منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، أي كما نقرأ في دعاء الندبة، ابتداءً من قوله: (فبعضٌ أسكنته جنّتك) المتمثل بآدمعليه السلام إلى قوله: **(إلى أن انتهى الأمر)** وصولاً إلى خاتم الأنبياءﷺ، ومن ثمّ مسألة الوصية وإمامة أهل البيتعليهم السلام وانتهاءً بإمام العصر والزمان (عج)، فكلها سلسلة واحدة متصلة ومترابطة في تاريخ الإنسانية.

وهذا يعني أن تلك الحركة العظيمة، والدعوات الإلهية من خلال بعث الأنبياءعليهم السلام لم تتوقف أبداً، حيث كان الإنسان بحاجة إلى الأنبياء والدعوات الإلهية، ولا تزال هذه الحاجة قائمة إلى يومنا هذا، وكلما تقادم الزمن اقترب الإنسان من تعاليم الأنبياء أكثر.

فقد توصل المجتمع الإنساني من خلال التقدم الفكري والحضارة والمعرفة إلى إدراك الكثير من تعاليم الأنبياء، التي لم يمكنه إدراكها قبل عشرات القرون.

فالعدالة والحرية وكرامة الإنسان وما إلى ذلك مما هو سائد في العالم حالياً، قد صرح بها الأنبياءعليهم السلام، ولم يكن عامة الناس يدركونها آنذاك.

وبتتابع الأنبياء وانتشار دعوتهم، تجذّرت هذه الأفكار في أذهان الناس وفطرتهم وأفئدتهم عبر الأجيال.

وإنّ سلسلة أولئك الدعاة إلى الله لم تنقطع، وإنّ بقية الله الأعظم (عج) استمرار

(١) من كلمة ألقاها في ١١ محرم ١٤١٩ هـ ق ـ طهران.

لتلك السلسلة، إذ تقرأ في زيارة آل ياسين: (السلام عليك يا داعي الله وربّاني آياته)، أي أنك تشهد أن دعوة إبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء عليهم السلام والمصلحين ورسالة خاتم الأنبياء ﷺ متمثّلة في الإمام بقية الله الأعظم(عج)، فإنه وارث لهم وحامل لوائهم، ويدعو الناس جميعاً إلى نفس المعارف التي جاء بها الأنبياء إلى الإنسانية طوال التاريخ[1].

النبي يعين خليفته في الغدير

إنّ ما يمكن أن يفهمه مَنْ يُطالع التاريخ من أمثالنا من حادثة الغدير هو ما يتضمّنه ذلك التنصيب الإلهي من مفهوم في مسألة كيفية إدارة شؤون البلاد وانتخاب الناس الصالحين لتولّي المسؤوليات الكبيرة.

طبعاً إنّ أصحاب النظرة العرفانية العالية ومن ارتبطت قلوبهم بمنابع النور والمعرفة قد يدركون أموراً أخرى من تلك الواقعة لا يستطيع غيرهم من الناس إدراكها.

أمّا الذي نفهمه نحن من هذه الحادثة فهو أنّ النبيّ الأكرم ﷺ بتعيينه أميرالمؤمنين عليه السلام ـ بأمر من الله ـ لمنصب الولاية قد أظهر هذه الحقيقة الإسلامية الناصعة وهي: إنّ المسؤولية الجسيمة لإدارة المجتمع الإسلامي هي قضية لا يمكن معها غضّ النظر عن شيء من المعايير والقيم الإسلامية بشكل كامل ودقيق.

فهل كان يوجد إنسان أعظم من أميرالمؤمنين عليه السلام الذي جُمعت فيه كلّ القيم الإسلامية السامية.

فالإيمان، والإخلاص، والتضحية، والإيثار، والتقوى، والجهاد، والسبق للإسلام،

---

(١) من كلمة ألقاها في: ١٣٨٤/٦/٢٩هـش الموافق: ١٥ شعبان / ١٤٢٦ هـ، الموافق: ٢٠/ أيلول/ ٢٠٠٥م.

والانصراف عن كلّ ما هو لغير الله، والعزوف عن الزخارف المادّية، وتحقير الدنيا، والعلم، والمعرفة، والقمّة في الإنسانية بجميع أبعادها، كانت جميعها من القيم الكريمة التي كان يتحلّى بها مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام.

وهذا الأمر لا تقول به الشيعة فقط، بل لقد أجمع المسلمون والمؤرّخون والمحدِّثون الذين كتبوا عن حياته بصدق وإنصاف، انّه عليه السلام كان يتحلّى بجميع تلك الخصال، بل أكثر من ذلك.

ولهذا قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم الغدير ـ وأمام أنظار الذين كانوا يعرفون تلك الخصال في أميرالمؤمنين ـ بتعيينه لمنصب الولاية.

وهذا يعني إعطاء الأهمّية القُصوى للقيم والمعايير الإسلامية، وهو أمر يجب أن يبقى موضع اهتمام المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي حتى ظهور الإمام الحجّة المنتظر (عج).

ولكن ـ وللأسف ـ إنّ الأمة الإسلامية لم تتمكّن من الاستفادة الكاملة من المواهب الإسلامية العظيمة؛ لامتلاكها تلك النقيصة الكبيرة، وهي: عدم رعاية القيم والمعايير الإسلامية في إعطاء المسؤوليات في المجتمع الإسلامي.

وإنّ ما يعنيه تنصيب شخص كأميرالمؤمنين عليه السلام على رأس النظام النبوي ـ الذي صنعتهُ أيدي النبيّ صلى الله عليه وآله المقدّسة في صدر الإسلام الأوّل ـ هو وجوب رعاية تلك القيم والمعايير ـ في كلّ زمان ـ عند إعطاء المسؤوليات الأساسية في النظام الإسلامي. وهذه القضية في غاية الأهمّية بالنسبة لنا نحن المسؤولين والعاملين في النظام الإسلامي في إيران.

ومما لا شكّ فيه أنّه لا تجب رعاية تلك القيم والمعايير في انتخاب قيادة المجتمع الإسلامي فقط، بل هو أمر لابدّ من رعايته في كافة مواقع المسؤولية في النظام الإسلامي.

وإنّ الالتزام بالقيم والمعايير الإسلامية من شأنه أن يجعل الأمّة الإسلامية ترفل بالخير والبركة. كما نشاهده في الشعب الإيراني الذي يُنعم اليوم بالبركة بمقدار ما استطاع تحقيقه من هذا المبدأ الإسلامي الرفيع[1].

لم ينكر أحد وقوع هذه الحادثة وصدور تلك الكلمات عن نبي الإسلام الأكرم صلى الله عليه وآله. ففي مثل هذا اليوم بادر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. وفي ذلك الظرف المهم والحسّاس وفي آخر أشهر حياته المباركة إلى تنصيب أميرالمؤمنين ومنحه الولاية؛ أي الحكومة وإدارة المسلمين والمجتمع الإسلامي. الولاية التي أشار إليها نبي الإسلام هنا ليست هي الولاية الإلهية المعنوية الكلّية المبتنية على أمور وعناصر أخرى، بل أراد بهذا البيان التشريعي: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[2] أمراً إلهياً وسماوياً وملكوتياً غنياً عن الجعل والتنصيب.

وهذا البلاغ من النبي صلى الله عليه وآله في منح الولاية لأميرالمؤمنين (عليه الصلاة والسلام) وهذا النصب التشريعي يعني الحكومة وإدارة المجتمع الإسلامي وولاية أمر المسلمين المصحوبة طبعاً بتلك الولاية الإلهية العامة التي توفّرت في الشخص المقدّس للنبي وأئمة الهدى (عليهم السلام). فالولاية بذلك المعنى كانت موجودة حتّى عند الأئمة الذين لم يمارسوا الولاية الظاهرية، فما تمتّع به أميرالمؤمنين المنصّب من قبل النبي هو الولاية السياسية، وهو المعنى الذي أوجده الله عزّ وجلّ في الإسلام على يد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

إذن فقد اتّضح أنّ الإسلام يدعو في أرقى أحكامه وقوانينه إلى مسألة الحكومة والولاية وإدارة الأمّة، فلابدّ من دراسة حادثة الغدير في هذا البعد، كما ينبغي محو الكثير من الأخطاء التي تركّزت في الأذهان ـ مع الأسف ـ طوال قرون.

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٤١٤/١٢/١٨.

(٢) الكافي: ١ / ٢٧٨، و٨ / ٢٧، وعلل الشرائع: ١ / ١٤٤ .

معنى عدم تبليغ الرسالة

ففي حادثة الغدير أنجز نبي الإسلام الأكرم ﷺ أهمّ الواجبات امتثالاً لآيات القرآن الصريحة ﴿**وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته**﴾[1]، فتنصيب أميرالمؤمنين (عليه الصلاة والسلام) للولاية والخلافة من الأهمية بحيث يكون عدم امتثاله بمثابة عدم امتثال الرسالة.

والآن فالمراد إمّا الرسالة في خصوص هذه الحادثة ـ لأنّ الله تعالى أمر بامتثالها ـ أو أكثر من ذلك بأن يكون المراد هو أصل رسالة النبي وأنّه إذا لم يبلّغ هذا الأمر فكأنّه لم يُبلّغ أصل الرسالة.

وهذه القضية تحظى بأهمّية كبيرة، أي أنّ إقامة الحكومة ومسألة الولاية وإدارة الدولة من أساسيات الدين، وقد امتثله النبي بعظمته وبذلك الاهتمام أمام أعين الناس، وبشكل لم ينجز معه أيّ واجب آخر كالصلاة والزكاة والصيام والجهاد. فيجمع الناس من مختلف المدن والقبائل والأماكن في مفترق طرق بين مكة والمدينة ويبلغ هذا الأمر بوصفه أمراً مهمّاً ويدور الحديث في العالم الإسلامي بأنّ النبي ﷺ قد بلّغ أمراً جديداً ومع غضّ النظر عن شخص أميرالمؤمنين فإنّ تنصيباً بالشكل الذي التفت إليه الشيعة لم يلتفت إليه الآخرون كثيراً ولم يلاحظوه.

نلاحظ في هذه القضية أهمّية نصب الحاكم، وهذه هي رسالة الغدير، فلماذا لا يُلتفت إلى النداء الذي صدع به النبي الأكرم ﷺ مؤسّس الإسلام أمام جميع المسلمين وقال: أيّها المسلمون لا تفصلوا الدين عن أساس الحياة وعن مسألة الحكومة ـ التي هي أساس الحياة الفردية والاجتماعية ـ ولا تحصروه في زوايا

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

البيوت الخالية وفي الأذهان والمسائل الروحية، فأساس حياة البشر القائم على الحكومة مسؤولية ملقاة على عاتق الدين، فعلى الدين أن يتولّى ذلك.

ولم يخطر في ذهن أيّ شخص هذا المعنى آنذاك، وهو هل الناس صغار حتّى يكونوا بحاجة إلى «ولي» ؟ فهذه سفسطة واهية يطرحها البعض بظواهر علمية واستدلالية، مع أنّ الولاية لا تنحصر بالضرورة في ولاية القاصر، كما أنّ الاستاذ والمعلّم لا يصدق دائماً على معلّم الصف الأول الابتدائي، حتّى إذا قلنا لأستاذ الجامعة إنّه معلم نكون قد وجّهنا إليه إهانة! المعلم في كلّ موقع هو معلّم وفقاً لما يقتضيه المقام، فلمعلّم الجامعة معنى ومقتضى، كما أنّ لمعلّم الصف الأول مقتضىً آخر.

وكذلك فإنّ الولاية على المحجور والصغير لها معنىً ومقتضى، وولاية الأمّة الإسلامية والحرب والصلح والسياسة لها معنى ومقتضى آخر ولا يمكن الخلط بين هذه الأمور. هذه هي رسالة الغدير.

درس من تنصيب خليفة النبي في الغدير

إنّ لإمامنا الراحل العظيم حقّاً كبيراً في عنق الأمّة الإسلامية من هذه الناحية إذ نبّه أفراد الشعب إلى مسؤوليتهم في التدخّل في أمر الحكومة والنظام الإسلامي، ففي النظام الإسلامي لكلّ شخص مؤمن بالعقيدة والشريعة الإسلامية مسؤولية، ولا يمكن لأيّ شخص أن يتنصّل عن مسألة الحكومة ويقول: إنّ هذا أمر سيحدث ولا علاقة لي به! فلا يوجد عندنا في النظام الإسلامي وفي مسألة الحكومة والمسائل السياسية والأمور العامة والمجتمع (لا شأن لي بذلك) وهذا أكبر دليل على دخالة الناس.

هذا تعلّمناه من الغدير، ولذا فإنّ عيد الغدير هو عيد الولاية والسياسة وتدخّل الناس في أمر الحكومة، وعيد أفراد الشعب والأمّة الإسلامية، ولا يختصّ بالشيعة، ويجدر بجميع الأمة الإسلامية أن تعتبر هذا اليوم عيدها، كما هو عيد أميرالمؤمنين

عليه السلام، وشيعة أميرالمؤمنين يحتفلون بهذا العيد بشكل خاص[١].

إنّ تنصيب شخص كأميرالمؤمنين عليه السلام لخلافة الأمة الإسلامية لا يعتبر حدثاً عادياً. إلّا أنّ قضية الغدير أكثر أهمية وأكبر من كل هذا.

لا يقتصر شرف حادثة الغدير على تنصيب شخص كأمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، الذي لا مثيل له في عالم الوجود، لمنصب الحكومة والخلافة والولاية، ولكن بالاضافة تحمل قضية الغدير جانباً آخر ـ لعل القضية تحمل جوانب أخرى أيضاً لكننا نريد اليوم التحدث عن هذا الجانب بالذات ـ لا تقل أهميته عن قضية تنصيب أميرالمؤمنين بصفته الشخصية، وذلك هو أصل قضية الولاية، والمضمون الخاص الذي تنطوي عليه في الإسلام.

إنّ ما يمكن أن يبقى قائماً على مدى الزمن ويتسنى لبني الإنسان استقاء العبر منه وتسيير حياتهم الحالية والمستقبلية وفقاً له، هو المضمون الذي اشتملت عليه واقعة تنصيب علي في الغدير.

فالأمر الإلهي الخاص الصادر عن الله عزّ وجلّ، والذي عيّن على أساسه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله شخصاً بهذه المواصفات كوليّ من بعده، يعد بحد ذاته أمراً مهماً ودرساً كبيراً ويشكل جانباً مهماً من الإسلام، بل وربما يمكن القول إنّ أساس الإسلام وركيزته تكمن في هذا الجانب من القضية، حتى إنّ هذا الأمر على قدر من الأهمية بحيث تقول الآية الشريفة: ﴿**فإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾[٢].

فما هي حقيقة الغدير وحقيقة هذا التعيين، حتى يحظى بهذا القدر من الأهمية؟ لهذه القضية أبعاد مختلفة؛ إحداها هي أنّ إدارة شؤون الناس أمر إلهي وليس أمراً

(١) من كلمة ألقاها في ١٤١٦/١٢/١٨هـ.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

بشرياً، وهو يختلف عن شؤون الإنسان الأخرى. وهذا الجانب قد يستغله البعض ويلقي بالكثير من الانحرافات والسلبيات على حساب العلاقة مع اللّه، ومثل هذا الإستغلال قد يحصل طبعاً في جميع حقائق العالم، وحتى النبوّة استغلها البعض وادعاها لنفسه وأضل نفراً من الناس. إلّا أنّ هذا الإستغلال بالباطل لا يبرر لنا المرور على هذا البعد من القضية مروراً عابراً.

هذه القضية بذاتها، أعني إدارة شؤون المجتمع وما يتعلق بمسيرته ومصيره والجوانب البناءة في حياة الإنسان، لها صلة بمعدن الإدارة الإلهية والتعيين والتنصيب الإلهي. وهذا أحد أبعاد المضمون الذي اشرنا إليه[1].

(١) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجّة الحرام ١٤١٧هـ

مضمون الولاية والخلافة

مضمون وجوهر الولاية هو ما تكرر في واقعة الغدير: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»(١).

---

(١) **تواتر حديث الغدير:**

قال جمال الدين النيسابوري في الأربعين: حديث الغدير تواتر عن أمير المؤمنين وهو متواتر عن النبي صلى الله عليه وآله (نقلاً عن حاشية احقاق الحق : ٢ / ٤٢٣).

وقال في الأزهار في مناقب إمام الأبرار : وقد تواتر هذا الخبر حد التواتر (هامش مناقب ابن المغازلي : ١٦ ح ٢٣ ط. طهران .

وقال الحافظ الجزري بعد ذكر نص الغدير: هذا حديث حسن من هذا الوجه صحيح من وجوه كثيرة، تواتر عن أمير المؤمنين علي وهو متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله رواه الجم الغفير عن الجم الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممن لا اطلاع له في هذا العلم (اسمى الناقب : ٢٢ - ٢٣ ح ٢).

وقال شمس الدين الذهبي: هذا الحديث متواتر (نقلاً عن حاشية احقاق الحق : ٢ / ٤٢٣).

وقال السيوطي : إنه حديث متواتر (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث : ٣ / ٢٣٤ ح ١٥٧٦، والغدير : ١ / ٣٠٠ عن الازهار المتناثرة للسيوطي) .

وممن صرح بتواتره : المناوي في التيسير نقلاً عن السيوطي، وشارح المواهب اللدنية، والمناوي في الصفوة (نظم المتناثر من الحديث المتواتر : ٢٠٦ ح ٢٣٢) .

وقال ابن المغازلي : هذا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد روىٰ حديث غدير خم عن رسول الله نحو مَن مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرد علي عليه السلام بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد (مناقب ابن المغازلي : ٣٦ ط. بيروت وط. طهران : ٢٧ ح ٣٩) .

وقد أفرد الطبري له كتاباً سماه (حديث الولاية) وذكر له نحو خمس وسبعين طريقاً، ورواه ابن عقدة من مائة وخمس طريقاً (فتح الملك العلي : ٢١، واحقاق الحق : ٢ / ٤٨٦، والغدير : ١ / ١٥١).

وقال أبو المعالي إمام الحرمين أستاذ أبي حامد: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحافي فيه روايات خبر غدير خم مكتوباً عليه: المجلدة الثامنة والعشرون من طرق قوله: « من كنت مولاه فعلي مولاه»، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون (ينابيع المودة : ١ / ٣٥ ط. اسلامبول ١٣٠١ هـ و٣٩ ط. النجف باب ٤، واحقاق الحق : ٢ / ٤٨٧، والغدير : ١ / ١٥٨).

=

وخلال هذه الواقعة التأريخية عبّر الرسول صلى الله عليه وآله عن الحكومة بكلمة الولاية.

توجد في اللغة العربية واللغات الأُخرى تعابير مختلفة لوصف هذه الظاهرة المسماة بالحكومة والسلطة وإدارة زمام الأمور، أو لتسمية الشخص أو المجموعة التي تحكم المجتمع، ويشير كل واحد من هذه التعابير إلى جانب خاص منها. فكلمة الحكومة مثلاً تشير إلى الشخص أو الجماعة التي تكون على رأس السلطة وتدير شؤون الناس، وهم بدورهم يطيعون أوامرها. وهناك أيضاً كلمة السلطنة، وتشير إلى الاقتدار والقوّة والتسلط على الأمور. وتوجد هذه التعابير نفسها في اللغة الفارسية أيضاً.

في الإسلام هناك تأكيد على كلمة «الولاية». أكثر من غيرها سواء في هذا الموضوع أم فيما ورد في الآية الشريفة: ﴿**إنّما وليكم اللّه ورسوله**﴾[1] إذ جاء التعبير عن الحكومة بكلمة «الولاية»[2].

فما معنى الولاية في هذه الجملة التي أطلقها الرسول صلى الله عليه وآله؟ إنّ معناها باختصار هو أنّ الإسلام لا ينحصر في الصلاة والصيام والزكاة والأعمال الفردية والعبادات، بل إن له نظاماً سياسياً وحكومة قائمة على أحكام الشريعة الإسلامية، فالحكومة هي الولاية

= وقال الكنجي: جمع الدارقطني طرقه في جزء، وجمع الحافظ ابن عقدة كتاباً مفرداً فيه (كفاية الطالب: ٦٠ الباب الأول).

وقال العلوي الهدار الحداد: كان الحافظ أبو العلاء العطار الهمداني المتوفي ٥٦٩ يقول: أروي هذا الحديث بمائتي وخمسين طريقاً (الغدير: ١ / ١٥٨ عن القول الفصل: ٤٤٥ الفصل الأول).

وقال الحسكاني: وطرق هذا الحديث متسقصاة في كتاب: (دعاة الهداة إلى اداء حق الموالاة) من تصنيفي في عشرة أجزاء (شواهد التنزيل: ١ / ٩٠ ح ٢٤٦).

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجّة الحرام ١٤١٧هـ

في العرف والاصطلاح الإسلامي[١].

معنى الولاية

الولاية ذات معنى عميق، وتعني في الأساس قرب الشيئين من بعضهما. فإذا أبرم حبلان ـ على سبيل المثال ـ مع بعضهما حتى لا يعود من السهل نقضهما، يطلق عليه باللغة العربية «وليّ». والولاية تعني الاتصال المباشر والصلة الوثيقة بين الشيئين.

وجميع المعاني التي وردت في اللغة لكلمة الولاية؛ من قبيل المحبة، والقيمومة، وما إلى ذلك من المعاني الأخرى التي يناهز عددها السبعة أو الثمانية، يعبّر كل واحد منها عن نوع من القرب والصلة القائمة بين الطرفين اللذين تجمعهما الولاية، فتطلق الولاية على المحبة مثلاً لوجود علاقة معنوية بين المحب والمحبوب ولا يمكن فصلهما بهذه السهولة.

حقيقة الولاية

يعبّر الإسلام عن الحكومة بكلمة «الولاية». ويعبّر عن الشخص الذي يكون على رأس الحكومة بكلمات الوالي، والمولى، وهي بأجمعها مشتقة من كلمة الولاية. فما معنى هذا؟ يعني هذا في النظام السياسي للإسلام أنّ الشخص الذي يتصدى لزمام الأمور تربطه مع الناس الذين بيده زمام حكمهم، صِلات وثيقة لا تفصم عراها. وهذا ما يعكس لنا الفلسفة السياسية للإسلام في قضية الحكومة.

وكل حكومة لا تقوم على هذه الصورة فما هي بالولاية ولا هي بالحكومة التي يصبو إليها الإسلام. فإذا افترضنا على رأس الحكومة أشخاصاً لا يرتبطون بأية صلات مع الشعب، فلا ولاية هنا، أو إذا كانت العلاقة مبنيّة على الخوف والارهاب ـ أي خالية

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجّة ١٤٢٠هـ ـ مدينة مشهد المقدسة.

من المودّة والمحبّة ـ فما هي من الولاية في شيء. وإذا ما تسلم أحد السلطة عن طريق الانقلاب فلا ولاية هنا. وإذا آل الحكم إلى شخص بالوراثة والصلة النسبية ـ بدون التحلي بالفضائل والكفاءات الحقيقية التي هي شرط في الحكومة ـ فليست هذه ولاية.

الولاية تصدق حيثما يرتبط الولي أو الوالي مع الناس الذين يتولاهم بصلات وثيقة وحميمة، كما هو الحال بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعث «﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1] أو «بُعث منهم» . أي أن يكون الشخص الذي يأخذ بولاية الناس، من الناس أنفسهم، وهذه هي الركيزة الأساسية في حاكمية الإسلام.

من الطبيعي أن المعايير محفوظة في موضعها؛ فإذا كانت لأحد صلة مع الشعب بدون التحلي بتلك المعايير الحقيقية، فهذه أيضاً ليست ولاية؛ إذ تلك الملاكات والمعايير معدومة في حقه، حتى وإن تحلى ببعد آخر[2].

شكل حكومة الولاية

فكيف هو شكل حكومة الولاية؟ إن الولاية هي تلك الحكومة التي يرتبط فيها الحاكم مع أبناء الشعب بأواصر الحب والعاطفة والفكر والعقيدة.

وأما الحكومة التي تفرض نفسها بالقوة، والتي يأتي بها انقلاب، والتي لا يؤمن فيها الحاكم بعقيدة شعبه ولا يقيم فيها وزناً لأفكاره ومشاعره، والتي يتمتع فيها الحاكم بإمكانات خاصة ومزايا معينة حتى في عرف الشعب ـ كما هو شأن حكومات العالم اليوم ـ ويجد فيها فرصته لإشباع نزواته الدنيوية، فإنّها حكومات لا تمتّ إلى معنى «الولاية» بشيء؛ لأن الولاية تعني تلك الحكومة التي تجمع بين الراعي والرعيّة

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجّة الحرام ١٤١٧هـ

بالروابط الفكرية والعقائدية والعاطفية والإنسانية والقلبية، ويتعاطف فيها الناس مع الحاكم ويحبونه ويعتبرونه محور كل هذا النظام السياسي ويعدّون عمله تكليفاً إلهيّاً وينظرون إليه كعبد من عباد الله. فالاستكبار لا وجود له في الولاية، والحكومة التي يراها الإسلام هي أسمى ديمقراطيةً وشعبيةً من كل ديمقراطيات العالم، ولها عُلقة مع أفكار ومشاعر وعقائد ومتطلبات الشعوب الفكرية، وهي الحكومة التي في خدمة الشعب.

لا ينبغي أن تكون الحكومة مطمعاً مادياً بالنسبة للحاكم أو الولي أو المؤسسات الحكومية، فهذا يخرجها عن الولاية؛ وإذا جعل الحاكم الإسلامي منصبه وسيلةً لتحقيق مآربه المادية وطريقاً للتحكّم والتعالي والوصول إلى سدّة الحكم، فإنّه لن يكون وليّاً عندئذ، ولن تكون حكومته حكومة ولائية.

إن ولي الأمر في الحكومة الإسلامية ـ أي ذلك الشخص الذي يُوكَل إليه أمر إدارة النظام السياسي ـ لا يفترق عن باقي أفراد الشعب من الناحية القانونية، ومع أنه يمتلك حقّ القيام بالكثير من الأمور الكبرى من أجل الشعب والبلاد والإسلام والمسلمين، إلّا أنه لا يعلو على القانون.

لقد حرّف البعض معنى الولاية منذ اليوم الأول وحتى الآن، ولاسيّما بعد قيام نظام الجمهورية الإسلامية، وأعطوا لها تعريفاً مغايراً وكاذباً، فقالوا بأنها تعني الحجر على الناس لأنهم يحتاجون إلى وليّ وقيّم، وقد صرحت بهذه الأقوال شخصيات بارزة ومشهورة فيما يصدرونه من كتب وصحافة! وكل هذا لا يعدو أن يكون كذباً محضاً واتّهاماً للإسلام والولاية!

لقد طرح الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قضية الولاية بصورة رسميّة في الغدير ونصّب أمير المؤمنين بصفته مصداقاً لها، ولاشكّ في أنّ ثمّة الكثير من التفصيلات التي تعرفونها؛ فإذا كان هناك من لم يطّلع عليها ـ ولاسيّما من الشباب ـ فيجدر به أن يتابعها في

المؤلفات والكتب الاستدلالية والعلمية وهي كثيرة ومفيدة[١].

حكومة النبي حكومة ولائية

إذن بالإضافة إلى تلك المعاني الحقيقية، فإنّ الحكومة في الإسلام حكومة ولائية، والولاية تعني الحكومة، ولكنها صيغت بتعبير لطيف يناسب شخصية الإنسان وشرفه. وبما أنّ أفراد المجتمع هم الأساس في الحساب السياسي الإسلامي، لهذا تدخل شخصيتهم وإرادتهم ومصالحهم وكل شأن من شؤونهم في حساباته، وعندها يكون للولاية الإلهية معناها من خلال مثل هذا الحضور الشعبي، أي أنّ حقيقة الولاية الإلهية تنعكس عبر العلاقة مع الشعب.

ومن هنا لم يكن أميرالمؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ـ وهو مظهر الولاية في الإسلام والمصداق التام للولي ـ بعيداً ولو لحظة واحدة عن حالة الاتصال والانسجام مع الناس، لا في الفترة التي جرّدوه فيها عن الحكم وعزلوا الناس عنه من حيث صفته كحاكم، أي في الفترة التي جرّدوه فيها عملياً من الحكومة والقيادة والزعامة التي يصطلح عليها في الإسلام بـ«الولاية» التي كانت حقّاً له ـ لا شكّ أنّ الولاية المعنوية التي يعتقد الشيعة بوجودها في الإمامة، قائمة على كل حال ولا شأن لها بالولاية الظاهرية ـ ولا في غيرها من العهود الأخرى. في ذلك الوقت كان أميرالمؤمنين عليه السلام كأحد أبناء الأمة وجزءاً منهم ولم يكن في معزل عنهم. وحينما استلم زمام الحكم كان حاكماً شعبياً بمعنى الكلمة[٢].

(١) من كلمة ألقاها في ١٨ ذي الحجّة ١٤٢٠هـ ـ مدينة مشهد المقدسة.

(٢) من كلمة ألقاها بمناسبة عيد الغدير الأغرّ في: ١٨ ذي الحجّة الحرام ١٤١٧هـ

دلالات تعيين خليفة النبي صلى الله عليه وآله

إنّ قضية الغدير وتنصيب أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ولياً على أمر الأمة الإسلامية، من قبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قضية عظيمة وذات دلالات عميقة، تدخّل فيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في إدارة المجتمع.

إنّ معنى هذه الحادثة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة في السنة الهجرية العاشرة أن الإسلام يدرك أهمية مسألة إدارة المجتمع، فلم يهملها أو يتعامل معها ببرود، والسبب في ذلك أن إدارة المجتمع هي أكثر مسائله تأثيراً، وإنّ تعيين أمير المؤمنين الذي هو تجسيد للتقوى والعلم والشجاعة والتضحية والعدل من بين أصحاب النبي يثبت أبعاد هذه الإدارة، وبذلك يتضح أن هذه الأمور هي التي يجب توفرها في إدارة المجتمع، فحتى أولئك الذين ينكرون خلافه أمير المؤمنين للنبي صلى الله عليه وآله مباشرة، لا ينكرون علمه وزهده وتقواه وشجاعته وتضحيته من أجل الحق والعدل، وهذا يوضح نوعية الحكومة التي يريدها الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله للأمة الإسلامية، وإن مشاكل المجتمعات البشرية في المقاطع الحساسة تكمن في ذلك أيضا، أي كلما كان هناك حكام مدبّرون وتمتعوا بالتقوى والشجاعة، أمكنهم التقدّم بمجتمعاتهم وكلما ابتليت المجتمعات بمدراء لا يعيرون اهتماماً للعفّة والتقوى، ولا يضحّون بمصالحهم من أجل مصالح الشعب، ولا يجعلون مخافة الله نصب أعينهم، وكانوا ضعاف النفوس ، تكبّلهم مصالحهم وشهواتهم، حلّت بها المشاكل المادية والأخلاقية والمعنوية، وهذا هو سبب خضوع ورزح المجتمعات الإسلامية في بعض الفترات التاريخية تحت القوى الظالمة والغاشمة، فحينما بدأ الزحف الاستعماري للغرب على البلدان الإسلامية، لو كان الحكام المسلمون يتمتعون بالدين والعفّة والغيرة والشجاعة، لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه، ولو أنهم لم يكونوا عبيداً

لشهواتهم، ولم يكن همهم بقاؤهم في الحكم أياماً معدودات، كان الأمر مختلفاً[1].

علي الخليفة سند النبي صلى الله عليه وآله

وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قط إلّا دعاه فقدّمه ثقة به. أي أن الرسول متى ما ألمّت به ملمة كان يستدعيه وينتدبه لها ويقدمه فيها وذلك:

أولاً: لعلمه بأنه قادر على أدائها على أحسن وجه.

وثانياً: إنه لم يكن يتمرّد على الأعمال العسيرة والمهام الشاقة.

وثالثاً: كان على استعداد للجهاد والبذل في سبيل الله. ففي ليلة المبيت مثلاً حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله سراً من مكة إلى المدينة، كان يجب أن يبيت أحد في سريره. وهناك قدّم الرسول علياً.

وفي الحروب كان الرسول يقدّمه أيضاً. وفي جميع القضايا الأساسية والمهمّة التي كانت تعرض للرسول صلى الله عليه وآله كان يقدّم لها علياً ثقة منه به.

والقضية هناك هي ليست مجرد ادّعاء يطلقه أشخاص حقراء وضعفاء من أمثالي، ونزعم أننا نريد العيش على هذه الشاكلة، وإنما القضية هي أننا يجب أن نسير في هذا الاتجاه. والإنسان المسلم السائر على نهج علي عليه السلام، يجب أن يسير على هذا الخط، وأن يتقدّم إلى الأمام بأسرع ما يمكن.

وروي عن الحسن الصيقل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن ولي علي عليه السلام لا يأكل إلا الحلال لأن صاحبه كان كذلك وإن ولي عثمان لا يبالي أحلالاً أكل أو حراماً لأن صاحبه كذلك، قال : ثم عاد إلى ذكر علي عليه السلام فقال:

---

(١) من كلمة ألقاها في ١٨/ ذي الحجّة /١٤٢٥ هـ. ق الموافق ١٣٨٣/١١/١٠ هـ.ش.

أما والذي ذهب بنفسه ما أكل من الدنيا حراما، قليلاً ولا كثيراً حتى فارقها ولا عرض له أمران كلاهما لله طاعة إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولا نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله شديدة قط إلا وجهه فيها ثقة به ولا أطاق أحد من هذه الأمة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بعده غيره عليه السلام ولقد كان يعمل عمل رجل كأنه ينظر إلى الجنة والنار ولقد أعتق ألف مملوك من صلب ماله كل ذلك تحفى فيه يداه وتعرق جبينه التماس وجه الله عز وجل والخلاص من النار وما كان قوته إلا الخل والزيت وحلواه التمر إذا وجده وملبوسه الكرابيس، فإذا فضل عن ثيابه شيء دعا بالجلم فجزه.[1]

(وما أطاق أحد عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة غيره، وإن كان لا يعمل عمل وجل كان وجهه بين الجنّة والنّار).

أي على الرغم من كل هذه الأعمال الإيمانية الكبرى كان سلوكه سلوك إنسان يعيش بين الخوف والرجاء؛ فهو كان يخشى الله وكأنه متأرجح بين الجنّة والنّار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه.

وخلاصة هذا الكلام هي أنه على الرغم من كثرة جهاده وبذله وعبادته إلّا أنه لم يغتر بشيء من ذلك. في حين إذا صلّى أحدنا ركعتي نافلة وقرأ بضعة جمل من الأدعية، وأراق دمعتين، يغتر بعمله الضئيل هذا ويتفاخر ويتصور نفسه وكأنه أصبح (طاووس العلّيين).

أما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يغتر بكثرة عمله الصالح [2].

---

(١) الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ١٦٣.

(٢) من كلمة ألقاها في ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ - طهران.

الفرق بين عصر النبي وعصر علي عليهما السلام

الفارق الأساسي بين أميرالمؤمنين عليه السلام في عهد حكومته، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام حياته وعهد حكومته هو أنّ الخنادق كانت في عهد الرسول مميّزة ومفصولة تماماً؛ خندق الإيمان، وخندق الكفر. أمّا المنافقون فكثيراً ما كانت الآيات القرآنية تشير إليهم وتحذّر منهم، وتقوّي صفوف المؤمنين في مواجهتهم، وتضعّف من شوكتهم. أي أنّ كل شيء كان في النظام الإسلامي في عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واضحاً تمام الوضوح، وكانت الصفوف مفروزة بشكل صريح؛ فطائفة على الجاهلية والكفر والطاغوت، وأخرى على الإيمان والإسلام والتوحيد. ومن الطبيعي أنّ كل واحدة من هاتين الطائفتين كانت تضم صنوفاً شتى من الناس، لكن الصفوف كانت مميزة وواضحة كل الوضوح.

أما في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام فكانت المشكلة الكبيرة في تداخل الصفوف والخنادق؛ وهذا هو السبب الذي جعل للفئة الثانية ـ أي الناكثين ـ وضعاً مقبولاً ومبرراً، وكان كل مسلم يتردد كثيراً في محاربة شخصيات من أمثال طلحة أو الزبير؛ فالزبير هو ابن عمّة الرسول صلى الله عليه وآله وكان من الشخصيات البارزة والمقربة إليه، حتى إنه بعد عهد الرسول صلى الله عليه وآله كان ممّن اعترضوا على السقيفة دفاعاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام، ولكن الأمور بخواتيمها.

نسأل الله أنّ يجعل عاقبتنا إلى خير.

فقد يؤثر حبّ الدنيا ومظاهر الحياة في بعض الناس إلى درجة تجعل المرء يشك حتى في الخواص، فما بالك بالعوام.

وعلى كل الأحوال، كانت الظروف آنذاك عصيبة حقاً، ولابدّ أنّ الناس الذين صمدوا مع أميرالمؤمنين عليه السلام وحاربوا إلى جانبه كانوا على قدر كبير من البصيرة. وقد

استشهدت عدّة مرات بقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «**لا يحمل هذا العلم إلّا أهل البصر والصبر**»[١].

فلابدّ من توفر البصيرة بالدرجة الأولى. ويستدل من هذه التداخلات على طبيعة المشاكل التي واجهت أميرالمؤمنين عليه السلام، وعلى الأساليب الملتوية التي اتبعها الناس الذين حاربوه.

في صدر الإسلام كانت هناك أفكار خاطئة كثيرة تطرح في الساحة، ولكن كانت تنزل آية قرآنية تفنّدها بصراحة؛ سواء وقتما كان النبي صلى الله عليه وآله في مكّة أم في المدينة؛ فسورة البقرة ـ على سبيل المثال ـ وهي سورة مدنية، حاشدة بصور من التحديات والاشتباكات بين الرسول صلى الله عليه وآله والمنافقين واليهود؛ حتى إنها تناولت التفاصيل الجزئية واستعرضت الأساليب التي كان يتبعها يهود المدينة في إيذاء الرسول نفسياً، ومنها ﴿**لا تقولوا راعنا**﴾[٢] وما شابه ذلك[٣].

وجاءت أيضاً سورة الأعراف وهي سورة مكيّة زاخرة بمحاربة الخرافات وكُرّس فصل منها للحديث عن تحريم وتحليل أنواع اللحوم، في مقابل التحليل والتحريم الزائف الذي اصطنعه الناس لأنفسهم يومذاك: ﴿**قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾[٤] هذه هي المحرمات الحقيقية وليست تلك التي اصطنعتموها أنتم لأنفسكم من أمثال البَحيرة والسائبة وما شاكل ذلك. وكان القرآن يحارب هذه الأفكار صراحة.

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٨٧، الكلام ١٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١٠٤.

(٣) كقوله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم. الحجرات. ٤ ـ ٥.

(٤) سورة الأعراف: ٣٣.

أما في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام، فقد كان أعداؤه يستغلون تلك الآيات القرآنية. وهذا ما صعّب كثيراً من مهمة أميرالمؤمنين. لقد قضى أميرالمؤمنين عليه السلام مدّة خلافته القصيرة في أمثال هذه المصاعب والمعضلات.

وفي مقابل هؤلاء كانت جبهة عليّ، وهي جبهة قوية حقاً، وفيها رجال كعمّار ومالك الأشتر وعبدالله بن عباس ومحمّد بن أبي بكر وميثم التمار وحجر بن عدي، وكانوا رجالاً مؤمنين ذوي بصيرة ووعي، وكان لهم دور مؤثر في توعية الناس الآخرين.

كان من جملة المواقف الجميلة في عهد أميرالمؤمنين عليه السلام ـ ويُعزى جمالها طبعاً إلى الجهود الطيبة لهؤلاء الأكابر، إلّا أنها في الوقت ذاته كانت مريرة بسبب ما لحقهم من جرائها من عناء وعذاب ـ هو مسيرهم نحو الكوفة والبصرة من بعد ما هبَّ طلحة والزبير وغيرهما واستولوا على البصرة وأرادوا المسير منها نحو الكوفة، حيث أرسل أميرالمؤمنين الإمام الحسن عليه السلام وبعض هؤلاء الأصحاب، وكان لهم مع الناس في المسجد مداولات وأحاديث ومحاججات تعتبر من المواقف المثيرة وذات المغزى العميق في تاريخ الإسلام.

ولهذا السبب يلاحظ أنّ الهجمات الأساسية لأعداء أميرالمؤمنين عليه السلام وجّهت صوب هذه الشخصيات؛ ضد مالك الأشتر، وضد عمار بن ياسر، وضد محمّد بن أبي بكر، وضد كل من وقفوا إلى جانب أميرالمؤمنين عليه السلام منذ البداية وأثبتوا صلابة إيمانهم وسلامة بصيرتهم. ولم يتورع الأعداء عن كيل أنواع التهم لهم والسعي لاغتيالهم. ولهذا قضى أكثرهم شهداء؛ فاستشهد عمار في الحرب، واستشهد محمّد بن أبي بكر بتحايل أهل الشام، وكذا استشهد مالك الأشتر بحيلة من أهل الشام. وبقي البعض الآخر منهم إلى أن استشهدوا على نحو قاس وفجيع[1].

---

(١) من كلمة ألقاها في ٢٠ رمضان ١٤١٩ هـ ـ طهران.

مواعظ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

صفات السابقين الى العرش

قال رسول الله صلى الله عليه واله : «**السابقون إلى ظل العرش طوبى لهم**».

قيل : يا رسول الله ومن هم ؟

فقال : «الذين يقبلون الحق إذا سمعوه ويبذلونه إذا سُئِلوه ، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم ، هم السابقون إلى ظل العرش» (١)

هذه إحدى الروايات التي ينتهي سندها الى النبي الأكرم ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**السابقون الى ظل العرش طوبى لهم**» وذلك لأن العرش الإلهي هو أمر معنوي ويمثل الحد الأعلى من عظمة الذات الربوبية المقدسة. ومعنى السبق الى العرش هو لجوء العبد الى مولاه في أعلى درجة ممكنة. وإن أرقى شيءيمكن إفتراضه للعبد هو لجوئه الى ظل عرش الله سبحانه وتعالى.

ثم يُسْأل النبي ﷺ : يا رسول الله «ومن هم» ؟

تقبل الحق وتبيانه

فيقول رسول الله ﷺ: «الذين يقبلون الحق إذا سمعوه» أي أن السابقين الى العرش يتصفون بعدة صفات: الأول: هو قبولهم للحق. والثاني: «ويبذلونه إذا سُئلوه»

(١) بحار الأنوار – العلامة المجلسي : ٦٦/ ٤٠٣ .

أي أنهم إذا سئلوا عن الحق فإنهم يقومون بتبيانه من دون خوف أو تحفظ.

ويكفي لو تطبق هاتان الجملتان في عالم اليوم الذي يغرق في الفساد ـ والذي توجد فيه من دون شك أذهان وقلوب وضمائر وعقول حية وواعية ـ وهؤلاء يستطيعون فهم الحق والحقيقة ويعرفون ما هو الحق. الحق هو الشيء الذي يقوم عليه أساس الخلق ﴿ما خلقناهما إلّا بالحق﴾[1] الحق هو ذلك الشيء الذي يجب أن يكون، وهو ذلك الشيء الذي كان جهاد كل المجاهدين العظماء في التاريخ من أجل الوصول إليه. والحق هو الشيء الذي لو عُرف واتُّبع وتحقق لما بقي أي إنحراف ولا أي اعوجاج في العالم، إذن فالحق أمر في غاية الاهمية. فبمقدار ما يتحقق الحق تزول الانحرافات، فهل هذا شيء قليل؟

ولو أنّ أصحاب الفهم الذين يعيشون في عالم اليوم ـ الغارق في الفساد ـ يعرفون ويتقبلون بأكمله أو شطراً منه أو حتى كلمة واحدة منه ويبيّنوها للذين هم بحاجة إليها، فسترون أية واقعة ستقع وأي تغيير عظيم سيحدث في العالم وفي حياة البشرية.

عوائق تقبل الحق

إنّ مشاكلنا اليوم ناشئة من أن الأهواء النفسية والقيود البشرية والاغلال التي في أعناق البشر، هي التي اثقلت كواهلهم ﴿والأغلال التي في أعناقهم﴾ ولا تسمح لهم بمعرفة الحق وتقبّله ـ في حال معرفة الحق ـ وتبيانه للذين هم بحاجة إليه، وهذا هو موضع الخلل.

فإذا تحقق هذا الأمر (تقبّل الحق وتبيانه) فسترون أي تغيير سيحدث.

إذن فمن المناسب حقاً القول (السابقون الى ظل العرش طوبى لهم). وهذا عمل

(١) سورة الدخان : ٣٩.

شاق جداً، طبعاً إنّ للحق في المقياس العالمي عددا ممّن يعرفونه، وممّن ينشرون، وممّن يمنعون وممّن يبخلون به، وممّن يرفضونه، وممّن يكفرون به، وممّن يخفون.

وإن للحق في مقياس المجتمع الذي نعيش فيه معالم وآثار ومصاديق وجزئيات وخصوصيات أخرى. وكل هذه الأمور والخصوصيات لها أهمية أيضاً. فلا ينبغي أن يُقال إنّ فلاناً ـ الذي ينكر الحق على المستوى العالمي ـ سواء كان حق النبوة أو حق التوحيد أو أحقية الفكرة الفلانية بأنه ملعون بينما نُخرج عن هذا الحكم شخصاً يعيش هنا ـ في المجتمع الإسلامي ـ ويرى حقيقة ولكنه يحاول كذاك الشخص (المنكر لحق النبوة والتوحيد) إنكارها وإخفائها وعدم الدفاع عنها أو حينما تعرض عليه يبادر برفضها (فلا فرق بين الاثنين)، فقد جاءت في الرواية كلمة (الذين) والتي يعتبر كل أحد وفي أي مكان من العالم وفي أي مقياس مصداقاً لها.

أبرز وأشق مظاهر الحق

الثالثة: «**ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم**»، وهذه إحدى مصاديق الحق الشاقة والمرهقة جداً، فبعض أقسام الحق ليس فيها كثير من المرارة بالنسبة لبعض الناس بل إنّها لذيذة عند مذاق أهل الحق. أما ذلك الحق الذي يعتبر مُرّاً بمذاق الجميع وفي كل مكان فهو هذا المصداق من الحق (الذي جاء في هذه الفقرة من الرواية)والذي لو عمل به أحد بصفته إحدى المصاديق المهمة جداً للحق فإنّه سيكون قد أثبت جدارته وأدّى امتحانه بشكل جيد جداً.

«ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم» أي أنهم يجب أن يحكموا للناس بنفس ما يحكمون به لأنفسهم ولا يرون فرقاً بينهم وبين الآخرين. وهذه من الأمور الشاقة جداً على نفس الإنسان.

وهذا الحديث الشريف سواء بدليل ما نملكه نحن الطلبة اليوم من مكانة اجتماعية

خاصة ببركة الثورة الإسلامية. وسواء قبل إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وعلى طول تاريخ الفقاهة الشيعية وما كان يملكه علماء الشيعة من مكانة اجتماعية مرموقة بشهادة جهادهم ومواقفهم التاريخية أو الأحداث التي وقعت من أجل إقامة الحق والجهاد ضد الباطل، يعتبر ـ بالنسبة لنا ـ حديثاً تربوياً ومهماً جداً.

تذكروا هذا الحديث دوماً، وعلى طلاب العلوم الدينية والمعمّمين والعلماء أن لا ينسوا هذه الكلمات الثلاثة أبداً.

أولاً: أن يقبلوا الحق أينما وجدوه بطبيعة الحال مع التشخيص السليم ويكون ـ بينهم وبين الله ـ خالياً من أية شائبة نفسية.

ثانياً: كلما سُئِلوا عن الحق وطُلب منهم تبيانه وإعلانه، فلا يتوانوا في ذلك.

ثالثاً: أن يساووا بين أنفسهم وبين الناس في الحكم، أي أنهم وكما يحكمون للناس ـ سواء كان الحكم بمنفعة الناس أو ضررهم ـ يجب أن يحكموا لأنفسهم كذلك. وهذه تعتبر ـ تقريباً ـ واحدة من أشق وأبرز مظاهر الحق.

الحذر من الأبالسة

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: «ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى. قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والموازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والإستغفار يقطع وتينه، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»[1].

---

(١) الكافي – الشيخ الكليني: ٤ / ٦٢.

ما الذي يباعد الشيطان منّا، أي ما هي الأمور التي تبعد الشيطان عنّا؟ بالطبع أنتم تعرفون أنّ الشيطان هو أعم من إبليس، الشيطان هو القوى التي تخلق الشر والفساد والانحراف والتي تقوم بحرف الإنسان بصور وقوالب مختلفة. فتارة تظهر بصورة إنسان وتارة بصورة غير إنسان وأحياناً تتمثل في الأهواء النفسية ومرة يكون إبليساً.

والأبالسة هم طائفة من الشياطين الذين وردت قصتهم في القرآن الكريم كما في قصة آدم. وهؤلاء طائفة كبيرة من الشياطين ولكنهم ليسوا وحدهم، هؤلاء شياطين الجن، وهناك شياطين الإنس الذين يكونون أكثر خطراً في بعض الأحيان.

إذن ما هي الأمور التي تبعد الشيطان عنّا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الصوم لله يسوّد وجهه»** لأن الصوم يقمع الغرائز الجسدية المضّللة ويمنعها من الطغيان.

«والصدقة تكسر ظهره» لأن الصدقة هي إيثار من الإنسان فيما يملك **«والحب في الله تعالى والمواظبة على العمل الصالح يقطع دابره»**.

وهاتان الخصلتان هما أهم من تلك التي سبقتهما وإحدى هاتين الخصلتين هي الحب في الله والتي تعني توجيه العواطف ولا سيما عاطفة الحب وجهة إلهية.

فإذا كنتم تحبون أحداً فليكن ذلك الحب لله لا للدنيا. والروايات الواردة في مسألة (الحب والبغض في الله) هي روايات كثيرة ومفصلة، وفي كتاب الكافي يوجد باب في هذا الموضوع كما توجد روايات كثيرة في كتب الحديث الأخرى[1].

المواظبة على العمل الصالح

الخصلة الثانية هي (المواظبة على العمل الصالح) فليس المهم أن تقوموا بالعمل الصالح مرة واحدة لأن الجميع يفعل ذلك، بل المهم أن يواظب الإنسان على العمل

---

(١) الكافي: ٢ / ١٢٤ ـ ١٢٦.

الصالح أي يواصل ويستمر على القيام بذلك العمل، وكما نقرأ في دعاء كميل **(والدوام في الاتصال بخدمتك)**، فعلى الإنسان أن يكون متصلاً بخدمة الباري على الدوام، وهذا الاستمرار والتداوم هو شيء له أهمية كبيرة جداً.

وإذا قام الإنسان بهذين الأمرين ـ الذين يمثل أحدهما الجانب العاطفي ويمثل الآخر الجانب العملي ـ فسوف يقطع دابره أي أنه سيتم القضاء على الأهواء النفسية من الجذور.

ما جاء عنه في الإستغفار

(والاستغفار يقطع وتينه). فمن جملة الأمور التي تقضي على الشيطان هو الاستغفار وطلب المغفرة من الباري عزّوجلّ والذي تكرر في مواضع عديدة من القرآن الكريم.

وللإستغفار ثمرة ونتيجة أينما كان، وقد ذكرت في الآيات والروايات آثار الإستغفار أيضاً[1].

---

(١) الكليني، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يامحمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله انّها ليست إلّا لأهل الإيمان، قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال: يامحمّد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب، ثمّ لايقبل الله توبته؟ قلت: فانّه فعل ذلك مراراً يذنب ثمّ يتوب ويستغفر [الله]، فقال: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وانّ الله غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فايّاك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله (الكافي: ٢/٣١٥).

الديلمي رفعه وقال: كان رسول الله ﷺ يستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّة يقول: أستغفر الله ربي وأتوب اليه، وكذلك أهل بيته عليهم السلام وصالحو أصحابه لقوله تعالى: (واستغفروا ربّكم ثمّ توبوا اليه) (سورة هود: ٩) وقال رجلٌ: انّي أذنبت، فقال: استغفر الله، فقال: إنّي أتوب ثمّ أعود، فقال: كلّما =

وروح الاستغفار وطلب العفو من الله سبحانه وتعالى هي شيء مهم جداً لأنها تعني عدم غفلة الإنسان عن أخطائه وزلاّته، فمن يبرّئ نفسه من الخطأ والمعصية ويتصور أنه لم يرتكب عملاً سيّئاً، فسوف لا يفكّر في الإستغفار. فنفس الاهتمام بأمر الاستغفار يعني اعترافنا بالخطأ والنقص والمعصية والقصور والتقصير، إذن فالاستغفار هو أمر ضروري لكل إنسان، لأن من الطبيعي أنه لا يوجد إنسان لم يرتكب ظلماً أو ذنباً أو صدر منه تقصير ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابه**﴾[1]، إنّ الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن ذنوب العباد، لأن الله لو كان يؤاخذ العباد بظلمهم وذنوبهم لما بقي منهم أحد على وجه الأرض، ففي قوله تعالى: ﴿**ما ترك عليها من دابة**﴾ المراد بالدابّة قهراً هي الدابّة الإنسانية لأن البحث في الآية الكريمة يدور حول الإنسان.

وعلى هذا فإنّ أخطاءً تصدر منّا بصورة مستمرة مردّها الى الأهواء النفسية كما أن بعضها ناشئ من الجهل وقصر النظر.

= أذنبت استغفر الله، فقال: إذن تكثر ذنوبي، فقال: عفو الله أكثر، فلا تزال تتوب حتى يكون الشيطان هو المدحور (إرشاد القلوب: ٤٥).

البرقي، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ظهرت عليه النعمة فليكثر ذكر الحمد لله، ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار، ومن ألحّ عليه الفقر فليكثر من قول «لاحول ولا قوة إلّا بالله» ينفي الله عنه الفقر (المحاسن: ٤٢/١، ونقل عنه في جامع أحاديث الشيعة: ٤٩٥/١٥).

ابن فهد الحلّي رفعه قال عليه السلام: من أكثر الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجاً ومن كلّ ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لايحتسب (عدة الداعي: ٢٤٩، ونقل عنه في جامع أحاديث الشيعة: ٤٩٥/١٥ .

جعفر بن محمّد بن شريح، عن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في حديث: ادفعوا أبواب البلاء بالاستغفار (كتاب جعفر بن محمّد بن شريح: ٧٧، ونقل عنه في مستدرك الوسائل: ٣٨٧/١ الطبع القديم، ونقل عنه في جامع أحاديث الشيعة: ٤٩٦/١).

(١) سورة النحل: ٦١.

إذن فالهدف من الإستغفار هو الإلتفات الى الذنوب المرتكبة ولازمه تصحيح العمل، فيجب على كل إنسان تصحيح عمله بصورة مستمرة، وإذا ما تواجد ذلك فسوف يتمّ التكامل.

وعلى هذا فإنّ الشرط الأساسي لكمال الإنسان هو وجود حالة التصحيح هذه والتي يُعد الإستغفار أحد عواملها المهمة. ولهذا أُوليتْ أهمية كبيرة جداً للاستغفار.

ما جاء عنه في السمع والطاعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أوصي أمتي بخمس: بالسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد، والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهلية فله جثوة من جثاء جهنم**»[1].

عادة يأتيان بـ(السمع والطاعة) معاً في الموارد الأخرى، ولكنهما جاءا هنا منفصلين عن بعضهما. فمن الواضح أنّ (السمع والطاعة) لم يُستعملا هنا بمعنى واحد، فـ(السمع) هنا ليس بمعنى (الطاعة).

السمع هنا يعني الاستماع والمبالاة، وأول شيء يمتلكه الوسط العلمي الشيعي هو المبالاة (الاهتمام) بما يدور حوله من قضايا وأحداث، ولعل السمع الوارد في هذا الحديث يشير الى هذا المعنى. فلا يمكن ولا يصح ترك الأمور على حالها ولا يصح أن يقال نحن لا نستطيع عمل شيء أو ليس لنا علاقة بهذه الأمور. فهذا الأساس المبارك أي (الثورة والنظام الإسلامي) قام وتأسس لأن ذلك الرجل الالهي (الإمام الراحل) كان يختلف عن الآخرين اختلافاً أساسياً، فهو لم يقلْ أبداً لا علاقة لي بهذه الأمور في حين أن كثيراً من الناس يرى ما يقع من أحداث في المجتمع ـ طبعاً كان البعض لا يرى حتى تلك الأحداث ولا يفهمها ولا تلفت نظره ـ ولكنه يقول لا علاقة

(١) مستدرك الوسائل - الميرزا النوري: ١١ / ٩ح ١٢٢٨٥.

لي بها وإنني مشغول بأعمالي.

إلّا أن ذلك الرجل العظيم (الإمام الخميني) لم يقل يوماً لا علاقة لي بما يحدث ولهذا صاراً أماماً للناس وللأمة ،والإمامة كانت حقّه المسلّم.

فأول شيء هو (السمع) وبعد ذلك (الطاعة) ولكن هذه الطاعة لمن يجب أن تكون؟ الطاعة لـ(من له الطاعة) (ومن حقّه الطاعة)، ولا يقبل التمرد وعدم الطاعة من أي شخص وفي أي موقع كان، وإنّ الأمة الإسلامية لا تكون قد عملت بوصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلّا أن تلتزم بالطاعة عندما تصبح الطاعة واجباً شرعياً ملقىً على عاتقها.

وفي مقابل الطاعة هناك العصيان، وقد جاء العصيان في آية محذّرة في القرآن الكريم والتي قرأتها مراراً وبمناسبات مختلفة وهي قوله تعالى: ﴿**يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً**﴾(١).

فكان هذا العصيان أحد الأسباب التي أدّت الى هزيمة المسلمين في معركة أُحد، فالمسلمون لم يطيعوا أمراً واحداً من أوامر النبي صلى الله عليه وآله، فوقعت تلك الفاجعة.

وقد شاهدنا في عهد الجمهورية الإسلامية أنّه في أي مورد شوهد فيه عصيان فقد وقعت فاجعة، وفي أي أمر كانت فيه طاعة كان ينتهي الى الخير والبركة والصلاح....(٢).

ما جاء عنه في حقيقة اليقين

جاء في وصية الرسول لأمير المؤمنين (عليهما السلام) أنّه قال: «**يا علي، إنّ من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله، ولا تذم أحداً على ما لم يؤتك الله، فإنّ الرزق لا يجرّه حرص حريص، ولا تصرفه كراهة كاره. إنّ الله بحكمه وفضله**

(١) سورة النساء: ٤٢.

(٢) من كلمة ألقاها في ١٤١٥/٤/٤هـ.

جعل الرَوح والفرح في اليقين والرضاء، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط»[١].

والسخط هنا بمعنى الغضب من جميع الحوادث، فإذا أعطاه الله غضب لأن الله تعالى لم يعطه أكثر من ذلك، وإذا أصابه أذى غضب وسخط للذي أصابه. فاذا أراد المرء بلوغ الرَوْح والفرح عليه أن يبحث عن الرضا واليقين.

فإذا كان في هذه الدنيا خير ومنفعة فهو من نصيب الزاهد القانع[٢].

ما جاء عنه في مكارم الأخلاق

ـ كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام:

يا علي: ثلاثة من لم تكن فيه لم يقم له عمل:

«ورعٌ يحجزه عن معاصي الله عزّ وجلّ.

وخلقٌ يداري به الناس.

وحِلمٌ يرُدُّ به جهل الجاهل.»[٣].

ثلاثة أمور لابدّ من تحققها في الإنسان حتى يقوم عمله.

والمراد من قوله «لم يقم له عمل» أنه لن يتمكّن من القيام بأي عمل من الأعمال على وجهه الصحيح سواء كانت من أعمال الدنيا أم الآخرة.

وهذه الأمور الثلاثة هي:

١ - ورع يحجزه عن معاصي الله: فإنه إذا لم يكن للإنسان حالة الورع التي تبعده وتُجنّبه من ارتكاب الذنوب والمعاصي وكان الإنسان تجاهها لا يبالي ولايهتم بها، فحينئذٍ سوف توجد الذنوب والمعاصي في بناء شخصيّته المعنويّة خللاً وتصدّعات

(١) تحف العقول: ٦.

(٢) من كلمة ألقاها في ٨ جمادي الثانية ١٤٢٠هـ ـ طهران.

(٣) الخصال /باب الثلاثة /ح ١٢١.

الضعف والوهن. نظير بركة الماء التي يملؤها الإنسان بالماء بمشقّة وصعوبة ولكن بسبب وجود التصدّع والثقوب فيها تفرغ من الماء.

فإذن إذا لم يكن للإنسان حالة الورع هذه فإن الدين والتقوى وبناء روحه معنوياً لن يوصله إلى شيء.

٢ - خلق يداري به الناس: فإنه إذا لم يكن لديه صفة المداراة مع الناس فإنه لن يصل إلى شيء في هذه الدنيالأنّ الناس مختلفون في الفكر والمصالح والحياة ساحة مليئة بالتزاحم والتصادم والتضاد بين مصالح الناس. فإذا لم يتعامل معهم بمداراة وكان يتصادم ويتعارك مع كل شخص لا يتّفق معه بالأفكار والمصالح فإنّ حياته والآخرين أيضاً سوف تتحوّل الى جهنّم.

٣ - حلمٌ يردُّ به جهل الجاهل: والمراد من الجاهل هنا ما يقابل العاقل فإن الإنسان حينما يتعامل مع الأشخاص السُّفهاء في المعاملات والمبادلات التجاريّة يجب عليه أن يتحلى بالحِلم، فإذا تكلم معه شخصٌ كلاماً سفهيّاً أو تصرّف معه تصرُّفاً سفهيّاً كذلك يجب عليه أن يعفو ويتسامح معهم بِحِلْمِهِ، لأنّه إذا أراد أن يبادلهم بالمثل فإنّه سيواجه المشاكل والمتاعب في حياته[1].

وكان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام: «يا علي، ثلاث خصالٍ من مكارم الأخلاق: تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمّن ظلمك»[2].

المكارم جمع مكرمة، والمراد بها هنا الاخلاق العالية الرفيعة، فإنّ بعض الصفات حميدة وذات قيمة، ولكن بعضها الآخر مضافاً الى ذلك تتصف بالعظمة والرفعة.

(١) الكلمات المضيئة: ١٧.

(٢) الخصال /باب الثلاثة/ح ١٢١.

ومنها هذه الصفات الثلاثة:

١ - تعطي من حرمك :

فمثلاً إذا طلبت قرضاً من شخص فامتنع وأبى عن اقراضك ثم جاء هو بعد ذلك وطلب منك إقراضه تعطيه وإن كان قد حرمك .

٢ - تصل من قطعك :

كما إذ قطع بعض أقاربك وأرحامك صلتهم ولم يتعاملوا بعاطفة ومودة معك، ولٰكن أنت لا تبادلهم بالمثل بل تصل رحمهم ولا تقطع علاقتك بهم.

٣ - تعفو عمّن ظلمك :

فمثلاً إذا حكم عليك شخص ظلماً ومن دون حقٍ، أو تكلّم عليك بكلام باطل فتقابله بالعفو والتسامح، ولا تنتقم منه ولا تعامله بالمثل .

فهذه من مكارم الاخلاق العالية(١).

ما جاء عنه في الخلق الحسن

- قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : «ما أفضل ما أُعطي المرء المسلم؟ قال: الخُلُق الحسن».

وقال أيضاً «حسن الخلق نصف الدين»(٢).

قد ورد في بعض الروايات المرتبطة بحسن الخلق وأريد منه هناك الصفات الحميدة الحسنة كالشجاعة والكرم والحلم ونحوهما وأمّا في هذه الرواية فالمراد من حسن الخلق التعامل مع الناس بأخلاق وتصرفات حسنة.

وهذا في الحقيقة هو المظهر العملي للأخلاق الحميدة في الإنسان.

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٧.

(٢) الخصال، باب الواحد ح: ١٠٦، ح: ١٠٧.

فالإنسان يجب في معاشرته مع الناس أن يتعامل معهم بأخلاق حسنة وأن يتصرّف معهم بطريقة حسنة ومسلكية صحيحة، فيكون صابراً متحمّلاً متجاوزاً عنهم وإذا رأى تصرفاً سيّئاً من الناس استوعبه وتحمّله، ويظهر لهم من النوايا الحسنة والخيرة ويتواضع لهم.

وهذا في الحقيقة أمر مهم جداً سواء للشخص نفسه لأن هذه الأخلاق الفاضلة والحميدة سوف تنمو وتتطور في نفسه أكثر أم للطرف المقابل الذي سوف يتأثر بهذه الأخلاق أو يراد له أن يتأثر بها. ويتأكد هذا المطلب أكثر بالنسبة للأشخاص العاملين في حقل التبليغ للإسلام والمعارف الدينية فإنّ الواجب عليهم أن يلتفتوا إلى هذا الأمر ويهتمّوا به كثيراً.

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟

قيل: بلى يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وآله: الهَين اللّين القريب السهل».(١)

يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إن هناك صفاتٍ أربعة إذا وجدت في المؤمن فإن الله تعالى يحرّم عليه النار. وهي:

١ ـ **الهيّن**، أي الشخص الهادىء الذي لا يصرخ ولا يثور بالباطل، والهيّن إذا كانت صفة للفعل فتأتي بمعنى السهل، قال الله تعالى «قال ربك هو عليّ هيّن» أي سهل.

٢ ـ **الليّن**، أي الشخص اللطيف الناعم الذي لا يكون صعباً وقاسياً في علاقته الإجتماعية.

٣ ـ **القريب**، أي الشخص الذي يمكن الإتصال والإرتباط به والوصول اليه. وليس

---

(١) الخصال / باب الأربعة / ح ٨٣.

المراد من القرب هنا القرب المكاني بل القرب من الناحية الروحية والعملية. فإن بعض الناس يكونون قساة وسيئي الأخلاق الى حد لا يمكن التكلم معهم ولا إقامة العلاقات معهم.

٤ ـ **السهل**، والأصل فيه الأرض المنبسطة في مقابل الأرض الوعرة غير الصالحة للزراعة.

طبعاً ليس المراد أنه يجب التحلي بهذه الصفات في كل الحالات والموارد والظروف، لأنه في مثل الجهاد تجب الشدة والقسوة على الكفار و بالنسبة للقيم والأصول العقائدية لا يجوز التسامح والتساهل فيها بل يصدق في موردها قوله تعالى: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾**(١).

وانما المقصود أنّه في العلاقات الإجتماعية والمعاملات و التصرفات مع الناس وخاصة بالنسبة للمؤمنين الذين يتواجدون في المناصب والمراكز، يجب أن يكونوا مع الناس رحماء و يعاملونهم برفق وبلطف ولين.

فإنهم إذا كانوا في تعاملهم مع الناس واجدين لهذه الصفات كان الله راضياً عنهم وحرّم عليهم النار يوم القيامة(٢).

ما جاء عنه في الحذر من الدنيا

قال رسول الله ﷺ: «الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم»(٣).

يبيّن الرّسول الأكرم ﷺ أمراً مهماً وهو:

---

(١) سورة الكافرون: ٢.

(٢) الكلمات المضيئة: ٢٤.

(٣) الخصال/ باب الاثنين/ ح ٣٧.

إنّ الدّينار والدّرهم (أي المال والثّروة) قد أهلكامن كان قبلكم من البشر والأمم (أي أنّهما سَلَبا منهم العزّة والسّلطة وبدّلا نصرهم الى هزيمة). وهذان الأمـران (أي المال و الثّروة) سوف يؤديان بكم(أي المسلمين) الى الهلاك أيضاً.

وليس المقصود هنا أنّ المال والثّروة بنفسيهما يهلكان المجتمع والأمة، بل المراد أن حُبَّ الثّروة والمال وتقديمهما على الأهداف الكبيرة، يوجبان إنحراف النّاس عن جادّة الحق والصّراط المستقيم، فإذا انحرف النّاس انحرف المجتمع والأمة أيضاً.

ويجب أن نعلم أنّ كلّ شخص يكون له تأثير ونفوذ في المجتمع و الأمة أكثر من غيره – من قبيل مسؤولي الدولة أو الشّخص البارز في المجتمع – إذا كان محباً للثّروة والمال كان تأثير ذلك على المجتمع أكثر من غيره، لأنّ هذا الشّخص يعتبر مثلاً يقتدي به النّاس، وهم يتّخذونه أنموذجاً يحتذى به، وحينئذٍ سوف تنمو هذه الخصلة فيهم. مضافاً الى أنه حينما يقع في الفساد من أجل حبّه للمال سوف يكون تأثيره أكثر على المجتمع. وفي عصرنا الحالي كذلك فإنّ ما يوجب تزلزل بعض الاشخاص المتديّنين الصّالحين هو المال، فإنّ حلاوة المال تسبب لإنـحراف الإنسـان ومـخالفته للشـرع والقانون. وتدريجياً يعتاد على هذا الأمر، وتتلوّث يداه بالتّعدي والتّجاوز على الأموال العامة[1].

ما جاء عنه في تهذيب النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إياكم والفحش، فـإنّ الله عـزّ وجـلّ لا يـحب الفاحش المتفحش. وإياكم والظلم، فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة.

وإياكم والشّح، فإنه دعا الذين من قبلكم حتى سفكوا دماءهم، ودعاهم حتى قطعوا

(١) الكلمات المضيئة: ٣٠.

أرحامهم، ودعاهم حتى انتهكوا واستحلوا محارمهم».(١)

يطلق الفحش على الاعمال القبيحة المبتذلة ايضاً وإن كان الغالب استعماله في الكلام القبيح البذيء والسباب والشتم.

وفي هذه الرواية يحذّر رسول الله صلى الله عليه وآله من امور ثلاثة هي :

١ ـ **الفحش**، فيجب على الإنسان الاجتناب عن الكلام البذيء والسباب والشتم، لأن الله تعالى لا يحب الذين يتعمدون التكلم بالكلام الركيك والقبيح والبذيء.

٢ ـ **الظلم**، فيجب الحذر من الظلم والعدوان والتجاوز على الآخرين، لأن الظلم موجب للظلمات والظلام في يوم القيامة على الظالمين.

٣ ـ **الشح**، فيجب الاجتناب عن الحرص والبخل لأن هذه الصفة المركبة منهما هي التي أدّت بالناس في الامم السابقة لسفك دمائهم والتقاتل والحروب .

واليوم فإن الأمر كذلك لأنه أحياناً تعمد بعض الدول العظمى المستعمرة وأصحاب الشركات الكبرى للحروب وسفك الدماء والاعمال الوحشية من أجل الحصول على ثروات الدول الضعيفة، وإن أدّت هذه الحروب الى إزهاق ارواح النساء والاطفال والعجزة والأبرياء وإتلاف اموالهم وتدمير ممتلكاتهم، ولكنهم لا يتورّعون ولا يتهيبون ولا يهتمون بذلك أبداً(٢).

ما جاء عنه في حقيقة الإيمان

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركبٌ فقالوا: السلام عليك يا رسول الله. فقال: ما أنتم؟ قالوا:

---

(١) الخصال /باب الثلاثة / ح ٢٣٥.

(٢) الكلمات المضيئة: ٤٤.

مؤمنون قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض الى الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا مالا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون». (١)

عندما كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في أحد أسفاره التقى بركب من الناس، فلّما سلمّوا عليه وأجابهم، سألهم من أي الناس أنتم؟ فأجابوا بأنهم من المؤمنين. وكان هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وآله مقدمة وتمهيداً ليعلّمهم بعض الأمور والمعارف. ولذلك سألهم عن حقيقة إيمانهم ما هي؟

فأجابوه بأن محور إيمانهم عبارة عن ثلاثة أمور:

١ ـ **الرضا بقضاء الله تعالى**، أي أنهم يرضون بما قدّره الله لهم وقضاه عليهم.

طبعاً ليس المراد من الرضا هنا أنّ الإنسان يكفّ عن السعي والجدّ بل يجب عليه السعي والجد والقيام بالنشاطات والفعاليات ولكنه في نهاية المطاف يكون راضياً بما قضاه الله تعالى له.

٢ ـ **التسليم لأمر الله تعالى**، أي أنهم يقبلون ويطيعون كل ما أمر به الله ويجتنبون عن كل ما نهى عنه.

٣ ـ **التفويض الى الله تعالى**، والتفويض معناه أنّ الإنسان يجب عليه أن يعتقد أنّ عمله وسعيه ليس هو العلة التامة لحصول النتيجة، بل علة العلل هي إرادة الله تعالى، وحصول النتيجة النهائية بيد الله تعالى.

نظير الشخص الذي يدرس ويتعلم ولكن نور الحكمة والمعرفة يقذفه الله في قلبه.

ثمّ يبين النبي صلى الله عليه وآله قائلاً:

---

(١) الخصال /باب الثلاثة/ ح ١٧٥.

أنتم حكماء علماء ودرجتكم قريبة من درجة الأنبياء بسبب هذه الحكمة الموجودة عندكم.

وإذا كنتم صادقين في قولكم هذا فيجب أن تتصفوا بالصفات التالية :

لا تبنوا أزيد مما تحتاجون اليه من السكن ونحوه.

ولا تجمعوا اكثر من المقدار الذي يكفيكم.

واتقوا الله الذي إليه مرجعكم[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ثلاث خصال مَنْ كن فيه استكمل خصال الإيمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل.

وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق.

وإذا قدر لم يتعاطَ ما ليس له».[٢]

كل إنسان تكون فيه ثلاثة خصال يكون قد استكمل جميع خصال الايمان وهي :

١ - إذا كانت الأوضاع والظروف موافية وملائمة له (كما إذا كان من الناحيةالمالية مكتفياً وميسوراً وكان من الناحية الأمنية مطمئناً ومستقراً وكان لديه الأنصار والموالون والأصدقاء وكان أعداؤه مغلوبين) فإنه لا يقع في الزلّات ولا يسقط في دوّامة الذنوب والمعاصي والأعمال الباطلة والفاسدة.

٢ - إذا كان في حالة الغضب والسخط على الآخرين فإن ذلك لا يحرّكه ولا يدفعه للخروج عن طريق الحق، فلا يقول كلاماً غير لائق ولا يحيف في قضائه على الآخرين ولا يحكم عليهم بخلاف الواقع.

٣ - إذا كان قادراً وذا سلطة فإنه لا يتعدى ولا يتجاوز عن الحد ولا يظلم الآخرين،

---

(١) الكلمات المضيئة: ٥٦.

(٢) الخصال / باب الثلاثة / ح ٦٦.

ولا يطلب ما ليس له، وما يكون لغيره ولا يعتبره لنفسه[١].

ومن مواعظ النّبيﷺ: «ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الإيمان:

الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل.

وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق.

وإذا قدر لم يتعاطَ ما ليس له»[٢].

ليس معنى الرواية أنّ الإيمان منحصر بهذه الخصال الثلاث، بل المقصود أن كل شخص كانت لديه هذه الخصال كشف ذلك عن أنه استجمع كل خصال الإيمان، وذلك لأن تحقق كل خصلة من هذه الخصال متوقفٌ على تحقق مجموعة من الصفات الحميدة وكاشف عنها.

فالإنسان الذي يرضى عن شخص أو يحب شخصاً لا ينبغي أن يؤدي به ذلك إلى الدخول في الباطل كأن يدافع عنه من غير حق مثلاً.

والإنسان الذي يغضب على شخص لا ينبغي له القيام بأعمال خاطئة وخارجة عن الحق.

وكذلك الإنسان حينما يصبح قادراً وبيده القدرة على الشيء لا ينبغي له أن يرتكب ما ليس له بحق[٣].

من كلام للنّبيﷺ: «ولمّا نزلت عليه ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم...﴾ إلى آخر الآية، قالﷺ: «من لم يتعزّ بعزاء الله انقطعت نفسه حسراتٍ على

---

(١) الكلمات المضيئة: ٦٠.

(٢) تحف العقول، صفحة: ٤٣.

(٣) الكلمات المضيئة: ٦٣.

الدنيا، ومن مدّ عينيه إلى ما في أيدي الناس من دنياهم طال حزنه، وسخط ما قسّم الله له من رزقه، وتنغّص عليه عيشه»[١].

ذكر النّبيّ ﷺ في مقام البيان والتوضيح لقوله تعالى: ﴿**ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم..**﴾ ما يلي:

إنّ المؤمن يجب عليه أن يعزّي نفسه بالعزاء الإلهي ويرضي نفسه ويقنّعها بما أعدّه الله تعالى للمؤمنين من النعمة الدائمة الأبدية والعطايا المعدّة للمؤمنين يوم القيامة. وإلا فإن مدّ عينيه وتطلّع إلى المال والمنصب والقدرات والإمكانيات الموجودة عند الآخر فسوف تذهب نفسه على ذلك حسرات ويعيش في الغصص والأحزان ويسخط على ما قسّمه الله تعالى وقدّره له من ذلك، أو سيدخل ميدان السعي والمنازعة المرّة والتعدّي على حدود الحلال والحرام وتجاوزها ليحصل على ما يريد ولو من طرق وأسباب غير مشروعة.

إذن فلأجل أن لا يحترق الإنسان في نار حسرة حياة الآخرين ولا يبتلى بالدخول في ميدان السعي والمنازعة الذي لا حدود له يجب عليه أن يعزّي نفسه بالعزاء الإلهي ويسلّي نفسه بذلك[٢].

ومن مواعظ النّبيّ ﷺ: «مَنْ أصبح من أمّتي وهمّته غير الله فليس من الله.
ومَنْ لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم.
ومَنْ أقرّ بالذلّ طائعاً فليس منّا أهل البيت»[٣].

كل إنسان يصبح ولا يكون لرضا الله تعالى دور وتأثير في نواياه وأهدافه فلا يعدّ

(١) تحف العقول، صفحة: ٤١١.
(٢) الكلمات المضيئة: ٦٣.
(٣) تحف العقول، صفحة: ٤٧.

من جند الله ولا من العاملين لله.

وكل إنسان يصبح ولا تكون مصالح ومفاسد الناس والمجتمع الإسلامي مهمّة عنده ولا يعتني بها فلا يعد من المسلمين الحقيقيّن.

ثمّ إنّ أمور المسلمين لها مصاديق عديدة ومختلفة والمصداق الأبرز والأعلى منها هو الإهتمام بأمور الأمّة الإسلامية وعزة وقدرة وحكومة المسلمين، ومن مصاديقها أيضاً قضاء حوائج الضعفاء والفقراء والمحتاجين.

وكل إنسان يعطي من نفسه الذّل طائعاً ومختاراً ويقرّ ويرضى به فهو ليس من أهل البيت عليهم السلام .

وهنا يجب أن يُعلم أن التسليم الذليل ليس مختصّاً بما إذا كان مقابل القوى السياسية، بل يشمل أيضاً ما إذا كان الإنسان ذليلاً في مقابل حرصه وطمعه بالحطام الدنيوي. وقد ورد في بعض الروايات أنّ المؤمن يرضى بكل شيء إلاّ الذلّ(١).

ما جاء عنه في الهداية والضلال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنما أتخوّف على أمتي من بعدي ثلاث خصال: أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلّة العالم، أويظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا. وسأنبّأكم المخرج من ذلك :

أما القرآن فاعملوا، بمحكمه وآمنوا بمتشابهه.

وأما العالم فانتظروا فيئته ولا تتبعوا زلّته.

وأما المال فإنّ المخرج منه شكر النعمة وأداء حقه». (٢)

---

(١) الكلمات المضيئة: ٦٤.

(٢) الخصال / باب الثلاثة/ح٢١٦ .

هناك ثلاثة أمور يتخوّفها النبي صلى الله عليه وآله على أمته بعد موته، وهي :

١ ـ **تأويل القرآن** في غير الآيات المتشابهات ممنوع مطلقاً، وأما الآيات المتشابهات فهذه علمها عند الله «لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم».

ولكن آيات القرآن لها ظاهر وباطن، وإرجاعها الى الباطن يعني تأويلها ولكن يجب أن يكون ذلك بدقة وتدّبر. والتأويل على نحوين: أحدهما : تأويل بحق.

والآخر تأويل بالباطل، وهو أن يتخذ القرآن وسيلة لإثبات وتثبيت الأفكار الباطلة من قبيل ما صنعه الخوارج حيث فسّروا وأوّلوا قوله تعالى ﴿إن الحكم إلا لله﴾ بتفسير باطل وهذا يؤدي الى أمور خطيرة جداً .

٢ ـ **تتبع زلّة العالم**، أي البحث والتفتيش عن أخطائه أو إتباع العلماء في الموارد التي زلّوا فيها والسير على نهجها. ولكن الظاهر أن المعنى الثاني هو المقصود هنا.

٣ ـ **جمع المال وإدخاره** بنحو يؤدي الى طغيان الإنسان وغروره وبطره. نعم لا إشكال في تأمين الثروات العامة وصرفها وإنفاقها في تطور وتقدم العلوم والصناعات أو التسليح العسكري مقابل الأعداء. فمقصود الرواية من جمع المال هو جمعه لأجل الثراء الشخصي وبناء القصور وتهيئة الوسائل والكماليات والتجملات.

وأما طريق النجاة والخلاص من هذه المهالك الثلاث فهو:

أما بالنسبة للعالم فهو انتظار رجوعه عن زلاته وأخطائه وعدم اتباعه في هذه الأخطاء والزلات.

وأما بالنسبة للمال فهو الشكر وأداء الحقوق المتعلقة بهذا المال سواء كانت حقوق الله أم حقوق الناس.

وأما بالنسبة للقرآن فهو أن يعمل بآياته المحكمة وإرجاع الآيات المتشابهة الى

أهلها[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « أربع من كنّ فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين.

ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه».[٢]

هناك أربعة أمور إذا وجدت في شخص كان في نور الله الأعظم.

والمراد من نور الله هو نور الهداية الإلهية الذي يشرق و يشع على قلب المؤمن ويصلح له أموره الدنيوية و الأخروية معاً. وهذه الأربع هي:

١ ـ من يكون عصمة أمره أي الملجأ و الحصن الذي يتحصن به في أموره كلها والأساس المتين الذي يبني عليه حياته كلها هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله.

٢ ـ الذي إذا أصابته مصيبة سواء كانت على نفسه أم على من يرتبط به كالأولاد والأموال و نحوهما، يقول: إنا لله وإنا اليه راجعون. طبعاً ليس المراد الذكر اللساني فقط بل المقصود الذكر القلبي و الروحي فيتوجّه بقلبه وروحه الى الله تعالى ثم يجري على لسانه هذا الذكر.

٣ ـ الشخص الذي حصل على النعم الإلهية سواء كانت نعمة العلم أم الثروة والمال أم المقام والمنصب والسلطة أم نعمة الصحة والعافية والسلامة، يقول: الحمد لله رب العالمين. أي يشكر الله على نعمه ويعتقد أنها من الله تعالى وليس هو الذي اكتسبها

---

(١) الكلمات المضيئة:٦٧.

(٢) الخصال / باب الأربعة /ح ٤٩.

وحصل عليها بعلمه وعمله كما صنع قارون حيث قال « أوتيته على علم عندي».

٤ ـ الشخص الذي إذا ابتلي بالمعاصي وارتكب الذنوب يقول أستغفر الله وأتوب إليه.

أي أنه يلجأ الى الله ويتعوّذ به من العودة الى الذنب مجدداً ويطلب منه المغفرة. وذلك لأن بعض الناس يغفلون عن ذلك، فإن الغفلة عن الإستغفار تجعل الذنوب متراكمة وكثيرة حتى تصير حجاباً على القلب فلا يهتدي أبداً. ولذلك يجب الإستغفار من المعصية بعد ارتكابها فوراً، لأن الإستغفار والتوبة يغسلان القلب من صدأ المعصية.(١)

ـ قال رسول الله ﷺ «صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي.

قيل: يارسول الله ﷺ ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمراء»(٢).

إنّ صلاح الأمّة الاسلاميّة مرتبط بصلاح طائفتين من النّاس هما:

علماء الدّين والأمراء.

فأمّا علماء الدّين فهم المرجع لرجوع النّاس إليهم في مختلف الأمور، وكلامهم نافذ لدى عامّة النّاس، والنّاس تأخذ معالم دينها من أقوالهم وأفعالهم، وهم في الحقيقة حجّة وعلم وراية للاسلام .

فإذا ابتلوا بالفساد – والعياذ بالله – سواء كان فساداً عمليّاً أم عقائديّاً أم أخلاقيّاً، وصاروا من أهل التّجمّل وحبّ الدّنيا والمؤامرات، فسوف يلحق بالمجتمع الإسلاميّ ضرران ومفسدتان:

---

(١) الكلمات المضيئة: ٦٨ .

(٢) الخصال / باب الإثنين/ ح ١٢.

١ – أحدهما مرتبط بالنّاس المتوسّطين، حيث إنّهم سيظنّون أنّ الدّين هو هذا،لذلك سوف يسلكون طريق الفساد.

٢ – والآخر مرتبط بالنّاس الكبار، حيث إنّهم سيقولون إنّ الدّين إذا كان هذا هو حاله، وإنّ هذه الأمور من تعاليم الدّين فنحن لا نريده إذن.

وعلى هذا فالفقهاء بمقدار ما يصلحون أخلاقهم (أي ايجاد الصّفات الحميدة والكريمة في نفوسهم) وبمقدار ما يصلحون أعمالهم (أي العمل بالاحكام الدينيّة) وبمقدار ما يصلحون تصرفّاتهم (أي المعاملة الحسنة للنّاس)، سوف يهيئون الارضيّة للتّأثير في صلاح الامّة .

وأحد الأسباب والعلل المؤثّرة في انتصار الثّورة الاسلاميّة، هو شأن واعتبار ومكانة العلماء العظام الّذين أورثوها للأجيال اللاحقة نسلاً فنسلاً، ونحن مكلّفون بحفظ هذه الذّخيرة. كما أنّه يجب علينا الالتفات الى مقدار الخسارة الكبيرة الّتي تلحق المجتمع من خلال استجابتنا لبعض الأمور الشّخصية المحبّبة للنّفس .

وأمّا الأمراء فحيث إنّ تدبير وإدارة شؤون النّاس الاجتماعيّة والسياسيّة بيدهم، وبما أنّ اقتصاد النّاس ومصيرهم بيد الامراء أيضاً، فلذلك فإنّ لهم دوراً مهمّاً جدّاً وبنّاءً في صلاح المجتمع وفساده[١].

ما جاء عنه في بيان العلم والجهل

من كلام النّبي صلى الله عليه وآله : «وصفة العاقل أن يحلم عمّن جهل عليه، ويتجاوز عمّن ظلمه، ويتواضع لمن هو دونه، ويسابق من فوقه في طلب البرّ.

---

(١) الكلمات المضيئة: ٧١.

وإذا أراد أن يتكلّم تدبّر فإن كان خيراً تكلّم فغنم.
وإن كان شرّاً سكت فسلم»[١].

الجهل تارة يكون في مقابل العلم، وأخرى يكون في مقابل العقل.
والجهل الوارد هنا بمعنى الغضب والظلم والحدّة في مقابله الحلم والعقل.

والإنسان مطلوب منه الحُلم في مقابل الجاهل ولكن هذا فيما إذا كانت الإهانة على شخصه وإمّا إذا كانت الإهانة على الدين والمقدّسات فالواجب عليه حينئذٍ الردّ لا السكوت[٢].

وعن النبي ﷺ: « العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناجٍ، وآخر عالم تارك لعلمه فهذا هالك. وإنّ أهل النار ليتأذون بريح العالم التارك لعلمه، وإنّ أشد أهل النار ندامةً وحسرةً رجلٌ دعا عبداً الى الله عزّ وجلّ فاستجاب له وقَبل منه وأطاع الله عزّ وجلّ فأدخله الجنّة، وأدخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى »[٣].

العلماء على صنفين:

١ - **العالم الّذي يعمل بعلمه**، فهذا ناجٍ ومخلصٍ، (طبعاً المراد من العالم هـنا ليس خصوص الشّخص العالم بالأحكام الشّرعيّة بل المراد كل عالم يعلم ويعمل بعلمه في حياته الشّخصيّة، أو يكون لعلمه مدخليّة في سيره وسلوكه الصراط المستقيم كالعلم بالشّريعة الّذي هو أظهر مصاديق هذا العلم، أو العلم بالمعارف الإلٰهيّة كالتوحيد الذي يؤثرفي الإنسان وينقذه من الشرك، نعم العلوم التي لا يترتب أي أثر على العمل بها أو تركه أو يكون تركه أفضل فهذه ليست مشمولة لهذه الرواية نظير علم الموسيقى مثلاً).

---

(١) تحف العقول، صفحة: ٢٨.
(٢) الكلمات المضيئة: ٧٦.
(٣) الخصال/ باب الاثنين/ ح ٦٣.

٢ - العالم الذي لا يعمل بعلمه بل يتركه، فهذا هالك. ويكون عذابه أشدّ وأكثر من سائر عذاب أهل النار، بل إنّ مقدار عذابه في جهنم الى حدٍّ أنّ أهل النار يتأذون من شمّ ريحه، وإن أشد الناس حسرة وندامة يوم القيامة فهو ذاك الشخص الذي دعا الناس الى الخير، وكانت لكلماته ومواعظه أثر عليهم فهداهم الطريق القويم فأدخلهم الله تعالى الدرجات العالية في الجنة، بينما هو فحيث إنّه لم يعمل بعلمه وأشبع هواه فقد أدخله الله الدّرجات السّفلى من النار[١].

ما جاء عنه في فضيلة الصبر والبلاء

من مواعظ النّبي صلى الله عليه وآله: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله عليه قضاءً إلاّ كان خيراً له، سرّه أو ساءه، إن ابتلاه كان كفّارة لذنبه، وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه»[٢].

كل ما قدره الله للمؤمن فهو خير له، سواء كان أموراً تسيئه كالمرض أم أموراً تسعده وتسرّه.

والسرّ في ذلك هو أن الحوادث والأمور المحزنة وغير المريحة تعتبر كفارة لذنوب المؤمن. بينما الحوادث والأمور المفرحة والسعيدة تعتبر عطايا إلهية من الله تعالى للمؤمن.

وهذا المضمون ذكره حافظ الشاعر في أشعاره فقال ما مضمونه:

«إنّ أهل الطريقة يرون أنّ كل ما يعرض للسالك من أمور فهي خير له».

ولكن حافظ الشاعر خصّ هذا المعنى بالسالك فقط بينما الرواية المذكورة تذكر

---

(١) الكلمات المضيئة: ٧٨.

(٢) تحف العقول، صفحة: ٤٨.

هذا المعنى بحق المؤمن مطلقاً سواء السالك وغيره(١).

ما جاء عنه في بيان الشحّ والهوى

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما محق الإيمان محق الشحّ شيء، ثم قال: إنّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل، وشعباً كشعب الشرك»(٢).

إنّ للإيمان عيوباً وآفاتٍ، فهناك أمور تمحق الإيمان، وأشدّ تلك الآفات تأثيراً في محق الإيمان هو الشحّ.

والشحّ مركبٌ من البخل والحرص، بمعنى أنّ الإنسان يقوم بجمع وادخار الأموال والزخارف الدنيوية لنفسه ولا ينفق شيئاً منها في سبيل الله، كما يحدّث عنه قوله تعالى: ﴿**فلمّا آتاهم من فضله بخلوا به فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم**﴾.

فالشحّ والبخل سببان لوجود النفاق في قلوب الذين يبخلون ويشحّون.

وفي سورة الحشر ورد أنّ الفلاح مترتب على اجتناب الشحّ والبخل وتطهير النفس منهما.

قال الله تعالى: ﴿**ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾

ويجب أن يعلم أن هذه الصفة المذمومة تمشي في نفس الإنسان وتتحرّك وتتجذّر بنحو تدريجي وكما في تعبير الرواية تمشي كما يمشي النمل، وهي نظير الشرك من حيث المراتب والدرجات(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح،

---

(١) الكلمات المضيئة: ٨٨.

(٢) الخصال، باب الواحد، ح: ٩٣.

(٣) الكلمات المضيئة: ١٠٤.

أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[١].

الشح معناه الحرص على المال مع البخل به، والشحيح هو الشخص الذي يجمع المال بحرصٍ وولعٍ ويمتنع عن إنفاقه وإعطائه للآخرين. وهذا أسوأ أنواع حب المال.

وهنا يحذّر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من الشح ويحثّ على الاجتناب والابتعاد عنه.

وذلك لأن الشح قد أهلك الأمم السابقة فإنهم لمّا صاروا أشحاء اتبعوا الشح في كل ما أمرهم به.

فلمّا أمرهم بالكذب كذبوا لأن الحرص على المال يوجب أحياناً الكذب فيتلوث المحيط الاجتماعي فضلاً عن نفسه في مخالفة الواقع والحقيقة ويذهب ويزول من بينهم الصدق والصفاء والمودة.

ولمّا أمرهم بالظلم ظلموا، لأنه أحياناً يستدعي الظلم والتعدي والتجاوز على حقوق الآخرين من أجل الحرص والبخل.

ولمّا أمرهم بالقطيعة قطعوا، والقطيعة وإن كان الغالب استعمالها في قطع الرحم إلا أن الظاهر هنا أن معناها أعم من ذلك فتشمل قطيعة الرحم وقطيعة ما يلزم مراعاته والمواظبة والمحافظة عليه كالعلاقة مع الله تعالى والائمة عليهم السلام والصالحين من عباده ﴿**يقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾.[٢]

ومن مواعظ النّبيّ صلى الله عليه وآله: **«إنّما أخاف على أمّتي ثلاثاً: شحّاً مطاعاً، وهوىً متّبعاً، وإماماً ضلالاً»**[٣].

---

(١) الخصال / باب الثلاثة / ح ٢٣٤.

(٢) الكلمات المضيئة: ١٠٥.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٥٨.

الشحّ هو حالة مركّبة من الحرص والبخل، لأنّ مجرد الحرص على زخارف الدنيا حالة موجودة في الإنسان وإذا لم يقم بأي عمل أو تحرك طبقاً لها فهي ليست بذات أهمية، وإنما خطرها فيما إذا صار الشحّ مطاعاً أي صار الإنسان يسعى ويكافح لأجل تحصيل الأعراض الدنيوية.

والهوى المتّبع هو الشهوة النفسانية التي يأتمر بأوامرها وينقاد لها.

والنسبة بين الشحّ المطاع والهوى المتّبع هي نسبة العموم والخصوص من وجه.

وإمام الضلال هو الذي يحرّك المجتمع على خلاف الحق ويسير به نحو الإنحراف والضلال. وهذا الضلال أصله وجذره من الشحّ وهوى النّفس، وبمراجعة التاريخ يُعلم بوضوح أن إنحراف خلفاء بني أميّة وبني العبّاس ابتدأ حينما تحرّكوا وساروا وراء إرضاء وإشباع غرائزهم الشهوانيّة وأهوائهم النفسانيّة.

ولأجل ذلك كان تمام سعي وكفاح الأنبياء والأولياء «صلوات الله عليهم» منصبّاً على مجاهدة ومحاربة هذين العنصرين أي الهوى والشحّ[١].

ما جاء عنه في القناعة

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من أصبح معافىً في جسده آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا.

يا ابن خثعم، يكفيك منها ما سدّ جوعتك ووارى عورتك، فإن يكن بيت يكنّك فذاك، وإن تكن دابة تركبها فبخٍ بخ، وإلّا فالخبز وماء الجرّ[٢]، وما بعد ذلك حساب عليك أو

(١) الكلمات المضيئة: ١٠٥.

(٢) جرّ: جمع جرّة وهي إناء من خزف.

عذاب»[١].

كل من يصبح وتتوفر لديه هذه الأمور الثلاث فكأنما ملك كل ما في الدنيا وهي:

١ـ المعافاة في البدن والسلامة من الأمراض.

٢ـ الأمن والطمأنينة في المجتمع والبلد الذي يعيش فيه.

٣ـ القوت والغذاء اليومي.

وهذا الكلام الحكيم يسمى بالسهل الممتنع، أي أنّ ظاهره سهل ولكن إذا فكر الإنسان فيه يستفيد منه المعاني العميقة أكثر.

وأساساً إن الإنسان يحتاج الدنيا ويطلبها لهذه الأمور الثلاثة، فهو يريد أن يكون بدنه معافىً سالماً من الأمراض، ويريد الأمن والأستقرار والطمأنينة في المجتمع الذي يعيش فيه، ويريد إشباع نفسه بالطعام والشراب.

وهذه النعم الثلاث من أكبر النعم الإلهية وأعظمها لأن فقدان واحدة منها تؤدي وتوقع الإنسان في المشاكل والمتاعب الكبيرة.

طبعاً هذه الرواية لا تريد القول بأن الإنسان لا يسعى وراء المال والثروة أو تحصيل العلم أو بناء شخصيته، لأننا نعلم أن الاسلام يريد هذه الأمور للإنسان، فهو يريد أن يصل الناس الى استخراج الثروات الطبيعية وأن يصلوا الى أوج العلم والصناعة.

وإنما الرواية بصدد بيان أن الإنسان إذا توفرت لديه هذه الامور الثلاثة فلا يسعى وراء تحصيل زخارف الدنيا ولا يحرص عليها ولا يظلم ولا يعتدي على الآخرين من أجلها[٢].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٩ ح ٦٢٤، والخصال / باب الثلاثة / ح ٢١١.

(٢) الكلمات المضيئة: ١١١.

ما جاء عنه في فضيلة قضاء الحوائج

ـ من مواعظ النّبي ﷺ: «أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإن من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله قدميه على الصراط يوم القيامة»(١).

المراد من السلطان الوارد في الرواية هو الشخص صاحب القدرة، فكل شخص كان مسؤولاً عن عمل ما ضمن دائرته وكانت لديه القدرة على ذلك بمقدار استطاعته وحدوده يكون مشمولاً لهذه الرواية أيضاً.

فمثلاً رئيس الدائرة أو قاضي المحكمة أو مسؤول المؤسسة ونحوهم من الأشخاص الذين لديهم المقدرة في أية مرتبة كانت إذا كان هناك أشخاص لديهم عمل أو حاجة عندهم ولكن لم يتمكّنوا من الوصول إليهم بينما كان هناك اشخاص آخرون يمكنهم أن يوصلوا مطالب الناس وحوائجهم ويبلغونها إلى أولئك المسؤولين فقاموا بذلك فإنّ ثوابهم هو هذا الثواب العظيم الذي وعد به النّبي ﷺ(٢).

ومن مواعظ النّبي ﷺ: «الحوائج إلى الله وأسبابها فاطلبوها إلى الله بهم، فمن أعطاكموها فخذوها عن الله بصبر»(٣).

يبيّن الحديث المذكور دور الأسباب والعلل الطبيعية المرتبطة بحوائج وحاجيّات الإنسان بشكل بارز وظاهر.

والتعبير بكلمة «بهم» حيث إنّ الضمير فيها هو ضمير الجمع للعاقل إشارة إلى أنّ

---

(١) تحف العقول، صفحة: ٤٧.

(٢) الكلمات المضيئة: ١١٣.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٤٨.

كثيراً من حوائج الإنسان ترتبط بالإنسان الآخر وتقضى من خلاله.

ولكن في نفس الوقت الذي تكون حوائج الإنسان مرتبطة بأسبابها الطبيعية (والتي أكثرها الإنسان أيضاً) يجب عليه حينما يأخذ بها أن يرى الله عز وجلّ وراءها وأنّها منه (أي أنه هو الذي جعلها أسباباً).

فإنّ السعي وراء الأسباب والأخذ بها من دون الإلتفات والتوجه إلى الله تعالى من ورائها يجعل العمل والسعي ناقصاً، كما أنّ الذهاب إلى الكعبة الشريفة من دون الإلتفات والإهتمام بأسبابه عمل ناقص أيضاً.

فكلا هذين النحوين يجب الجمع بينهما ليصبح العمل تاماً وكاملاً، مضافاً إلى أنّ الحصول على الحاجيات والحوائج يحتاج إلى الإستعانة بالصبر[١].

ما جاء عنه في بيان الزهد

قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله علّمني شيئاً إذا أنا فعلته أحبّني الله من السماء وأحبّني الناس من الأرض.

فقال له صلى الله عليه وآله: إرغب فيما عند الله عزّ وجلّ يحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس»[٢].

سأل رجل النّبي صلى الله عليه وآله أن يعلمه عملاً أو شيئاً ما يجعله محبوباً لدى الله تعالى وفي نفس الوقت محبوباً ومرضياً عنه لدى الناس.

فأجابه النبي صلى الله عليه وآله الى ذلك وقال له:

لتكن راغباً فيما عند الله من الثّواب والأجر، فعندئذٍ تكون محبوباً لله تعالى، ومعنى

(١) الكلمات المضيئة: ١١٥.

(٢) الخصال/ باب الاثنين/ ح ٨٤.

الرغبة بالثواب الالٰهي هو أن يقوم بالواجبات والتكاليف، ويترك المحرّمات والمعاصي.

ولتكن زاهداً فيما عند النّاس من النّعم سواء كانت أموالاً أم مقاماً أم منصباً أم جاهاً وغير ذلك. بمعنى أنه لا تمدّ عينيك إلى ما في أيدي الناس ولا تطمع بها ولا تسعى نحوها، فعندئذٍ يحبّك النّاس[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرغبة في الدنيا تكثر الهمّ والحزن، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن».[2]

الإنسان لديه حبّ الدنيا الخادع أي المال والمقام والمنصب، ويحرص أيضاً للحصول على المظاهر الدنيوية، ولذلك يجد نفسه في حالة القلق والتشويش واضطراب البال والذهن خوفاً من عدم الوصول إلى تلك الأمور. على أنّه إذا حصل عليها ووصل إلى متطلباته ورغباته الدنيوية كان محزوناً ومهموماً أيضاً خوفاً من ذهابها من يده.

إنّ طبيعة الإنسان تقتضي أنّه لن يحصل على كل مطامعه وأهدافه. ولذلك يقع في الهمّ والحزن على ما حرم من الوصول إليه.

وفي مقابل هذه الرغبة يقف الزهد وعدم الرغبة والحب لهذه الدنيا وهو موجب للسكون والهدوء والطمأنينة و راحة البال و سلامة النفس، بل هو موجب لراحة البدن أيضاً لأنّه لن يجدّ ويتعب ويسعى ويجهد نفسه من دون فائدة ولا ثمرة في سبيل الحصول واكتساب الخيالات والأوهام والسراب.

---

(١) الكلمات المضيئة: ١١٧.

(٢) الخصال / باب الإثنين / ح ١١٤.

وقال رسول الله ﷺ: « إنّ صلاح أول هذه الأمّة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشحّ والأمل»[١].

١ ـ إنّ عظمة واقتدار الأمة الإسلامية في أول أمرها كان مرهوناً بزهد ويقين الأمّة. فإنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا لا يبالون ولايهتمون بزخارف الدنيا، ليس بمعنى أنهم لم يسعوا ولم يجدّوا في ساحة الحياة بل في نفس الوقت الذي كانوا يسعون ويجدّون كان قصدهم الوصول الى الأهداف العالية، قال الله تعالى ﴿ **والمؤمنون كلٌ آمن بالله ..**﴾.

٢ ـ وأمّا هلاك آخر الامة الاسلامية فسببه الشُّح (الحالة المركبة من البخل والحرص) والأمل (أي الإنشغال بالآمال والأماني الحقيرة التي لا شأن ولا قيمة لها). طبعاً هذا لا يعني أنّ الأمّة سوف تهلك حتماً أو أنّ الهلاك مُقدّر لها في زمان ما. بل الحديث في مقام بيان سنّة إلٰهية وهي أنّ الأمّة الإسلامية سواء المسؤولين والعسكريين وطبقات الشعب المختلفة إذا لم يكن هدفهم الخدمة بل كانوا يفكرون في تجميع وتحصيل المال وآزدياد وبسط الثروة أي أنّهم آبتلوا بالشُح، وكذلك بدلاً من أن يسعوا لأجل الوصول الى أهدافهم العليا توجّهوا نحو المظاهر الدنيوية من قبيل الجاه والمقام والمنصب ونحوها، فابتلوا بالهلاك.

ويجب أن يعلم أنّ هذه السنة الإلٰهيّة جارية في المجتمع الحالي أيضاً. فاليوم يوجد أشخاص من بين المدراء والرؤساء وسائر طبقات المجتمع يتصفون بالزهد واليقين. إلّا أنّه يجب علينا الحذر من أن تتبدّل هاتان الصفتان الحسنتان الى الشُّح والأمل كما حصل بالفعل لبعض الناس. لأنّه في هذه الحالة سوف يقع المجتمع في الهلكة.[٢]

---

(١) الخصال / باب الإثنين /ح ١٢٨ .

(٢) الكلمات المضيئة: ١١٨.

ما جاء عنه في السير والسلوك

من وصية النبيّ ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي أحبُّ العمل إلى الله ثلاث خصال:
من أتى الله بما افترض عليه فهو من أعبد الناس
ومن ورع عن محارم الله فهو من أورع الناس
ومن قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»[١].

يوجد في هذا الحديث جملتان يجب على الذين يريدون الوصول إلى المقامات المعنوية والسالكين والعارفين والمتعرّضين للفيّوضات الإلهية أن يلتفتوا إليهما ويعوهما بشوق وشغف لكي يصلوا إلى تلك المقامات. ولا يتوهموا أن طريق الوصول إلى الله تعالى شيء آخر غير فعل الواجبات وترك المحرمات.

وما أشدّ غفلة الذين يغرقون في الشهوات والمحرّمات بينما يجري على ألسنتهم اسم العرفان والمعنويّات ويُفرِحون قلوبهم بذلك.

فليعلموا أنّ الطريق إلى الله تعالى يسلك من خلال هذه الفرائض وليس هناك طريق آخر غيرها[٢].

ما جاء عنه في محاسبة النفس

قال رسول الله ﷺ: «مَن مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة»[٣].

---

(١) تحف العقول، مواعظ النبي ﷺ، صفحة: ٧، الحديث الأول.

(٢) الكلمات المضيئة: ١٢١.

(٣) الخصال، باب الواحد، ح: ٥٤.

إنّ الغفلة هي أساس زلاّت الإنسان. وأحد مظاهر الغفلة عدم توجّه الإنسان إلى نفسه وعيوبه.

وما أكثر الأمور التي يراها الإنسان في غيره ولكنه يتسامح ويتساهل بها إذا وجدها في نفسه.

وهذا الأمر موجب لأن يرى عيوب الناس كبيرة بينما لا يرى عيوب نفسه.

وأما إذا التفت إلى عيوبه واعتنى بها فسوف يحصل على فائدتين:

١ – أن يقوم بإصلاحها، وكما ورد في دعاء مكارم الأخلاق «**واستصلح بقدرتك ما فسد منّي**». أي أنه يستعين بالقدرة الإلهية ليصلح مادة الفساد في نفسه.

٢ – أن لا يتحدّث عن عيوب الناس، ولذلك ورد في هذا الحديث أنّ الإنسان إذا مقت وعادى الصفات المذمومة الموجودة فيه وعمل على رفعها وإزالتها من نفسه قبل أن ينظر إلى عيوب الناس ويفتّش عنها فإنّ الله تعالى سوف يؤمنه من فزع أهوال يوم القيامة[1].

ما جاء عنه في التودد والمحبة

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأس العقل بعد الأيمان بالله عزّ وجلّ التحبّب إلى الناس»[2].

إنّ أشرف وأفضل عضو من أعضاء بدن الإنسان هو الرأس.

وفي هذا الحديث يشبّه العقل بجسد الإنسان ولمّا كان أشرف عضو في الجسد هو

(١) الكلمات المضيئة: ١٢٥.

(٢) الخصال، باب الواحد، ح: ٥٥.

الرأس فهذا يعني أنّ أفضل العقل هو رأسه.

ورأس العقل كما في الحديث هو التحبّب إلى الناس بأفعاله وأقوله[١].

ما جاء عنه في التقوى والورع

من وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي عليك بالصدق ولا تخرج من فيك كذبة أبداً، ولا تجترأنّ على خيانة أبداً، والخوف من الله كأنك تراه، وابذل مالك ونفسك دون دينك، وعليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، وعليك بمساوىء الأخلاق فاجتنبها[٢].

إنّ كثيراً من مساوىء الأخلاق لا يلتفت إليها، فأحياناً إذا قال شخص لآخر: «أهلاً بك» مثلاً يتوّهم أنّه يقوم بالتلطّف وإظهار المودّة والمداراة معه، والحال أنّ هذه الكلمة خرجت منه تملّقاً أو تشجيعاً لمن يرتكب الحرام.

فإذا أردنا أن نتحلّى بمكارم الأخلاق ونجتنب عن الأعمال السيئة ومساوىء الأخلاق فعلينا قبل ذلك أن نعرفها.

وطريق معرفتها هو التقوى، والتقوى تعني الدقّة في الكلام والأعمال لئلاّ ينحرف الإنسان عن الطريق المستقيم وطريق الخلاص والنجاة.

ومن وصيّة للنبي صلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يكون أعزّ الناس فليتقِ الله، ومن أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٢٧.

(٢) تحف العقول، مواعظ النبي صلى الله عليه وآله، صفحة: ٦.

أوثق منه بما في يده»[١].

ذُكرت في القرآن الكريم آثار للتقوى من قبيل قوله تعالى: ﴿... **ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾.

ومن آثار التقوى أيضاً ما جاء في هذه الرواية أي العزّة.

ثمّ إن ما في يد الإنسان محدود ولكن ما في يد الله كل عالم الوجود، قال الله تعالى: ﴿... **وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم**﴾.

والإنسان إذا كان عنده ثقة واطمئنان بالله تعالى فإنّ الله عزّ وجلّ يكفيه من كل شيء، قال الله تعالى: ﴿**أليس الله بكافٍ عبده**﴾.

ومن وصيّة للنّبي صلى الله عليه وآله: «**أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم.**

وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم.

إنّ المؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه.

وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه»[٢].

هناك نوعان من الخوف محيطان دائماً بالمؤمن:

أحدهما الخوف من الماضي فإنّه لا يعلم ماذا سيفعل الله بما مضى من أعماله السابقة. فما أكثر الأعمال التي قمنا بها وصارت في طيّ النسيان عندنا ولكن الله أحصاها جميعاً، قال الله تعالى: ﴿**أحصاه الله ونسوه**﴾.

والآخر الخوف من المستقبل فإنّ المؤمن لا يعلم المصير والنهاية التي قدّرت له.

وفائدة هذين الخوفين هي التوبة من الماضي والتيقّظ والإنتباه والإلتفات للمستقبل

(١) تحف العقول، صفحة: ٢٧.

(٢) تحف العقول، صفحة: ٢٧.

وهذا هو معنى التقوى أيضاً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادة الفقه، وأفضل الدين الورع»[١].

ليس المراد من الفقه خصوص العلم بالأحكام الفقهية الفرعية.

وإنّما المراد من الفقه علم الدين سواء كان علم المعارف الإلهية والفضائل الحقّة أو العلم بالأخلاق والفقه بالمعنى المصطلح (أي الأحكام الشرعية الفرعية).

والسبب في كون الفقه أفضل العبادة هو أن علم الدين إذا استقرّ في قلب وروح الإنسان فغالباً ما يوجب أن يتحرّك الإنسان ويسعى مصحوباً بهذه العقيدة ويأتي بأعماله في الطريق المستقيم الحقيقي والواقعي على النحو الصحيح.

وأمّا إذا لم تكن هذه المعرفة موجودة في الإنسان فيحتمل أن يأتي بالأعمال الحميدة الصحيحة أيضاً إلا أنه مثل هكذا عمل لا يثبت ولا يستقر ولا يمكن الإعتماد والوثوق به لأنه قد عمل وتحرّك وهو في معرض الضلال والإنحراف.

والورع هو أعلى رتبة ومرحلة في الدين، والورع معناه الإجتناب عن الذنوب، فالإنسان إذا لم يجتنب الذنوب فعبادته إما أن لا يكون لها أثر أصلاً (بمعنى أن روحه وقلبه ليسا نورانيّين) وإما أن يكون لها أثر قليل وضعيف.

وأما إذا اجتنب عن الذنوب وكان ورعاً فسوف يكون لعبادته وأعماله الحميدة الحسنة تأثيرات أكبر في نفسه.[٢]

(١) الخصال، باب الواحد، ح: ١٠٤.

(٢) الكلمات المضيئة: ١٣١ - ١٣٣.

ما جاء عنه في فضيلة الإنفاق

عن النبي صلى الله عليه وآله: «ما أنفق مؤمن نفقة هي أحب إلى الله عزوجلّ من قول الحق في الرضا والغضب»[١].

النفقات والمصاريف التي يؤدّيها الإنسان، تارة تكون مادية و أخرى معنوية. فالنفقات والمصاريف المعنوية أفضل وأعلى بمراتب من النفقات المادية، وأثرها كذلك أفضل وأعلى.

وهذه الرواية توجّهنا الى مسألة مهمة وهي: إن المؤمن لا ينفق نفقة في حياته أحب وأقرب لدى الله تعالى من قول الحق سواء كان في حال الرضا أم الغضب.

وذلك لأن قول الحق أحيانا يسبب للإنسان بعض المشكلات والمتاعب التي تستتبع أن يدفع غرامة ثقيلة وخسارة كبيرة مقابلها.

طبعاً قول الحق ليس دائماً مورده القضاء والمحاكمات بل يشمل المسائل الإجتماعية والسياسيّة وآتخاذ القرارات والمواقف، فإن هذه كلها مصاديق لقول الحق، وفي كل هذه الموارد يكون قول الحق أحياناً صعباً وشاقاً.

وكذلك الحال في القضاء والغضب والنقاش والجدال والتحاور مع الآخر، فإنّه من الصعب جداً أن يقول الحق ويتجنب عن قول الباطل. والإلزام والإجبار على قول الحق في هذه الحالة يستلزم كلفة ثقيلة وكبيرة، ولكن قول الحق أحب وأفضل عند الله تعالى من كلّ النفقات والتكليف والمصاريف الأخرى.[٢]

---

(١) الخصال / باب / الإثنين / ح ٨٢.

(٢) الكلمات المضيئة: ١٣٧.

ما جاء عنه في حسن العاقبة وسوؤها

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «غفر الله عزّ وجلّ لرجل كان من قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا قضى، سهلاً إذا اقتضى» [١].

تشمل المغفرة الإلٰهية رجلاً يتصف بهذه الصفات الحسنة وهي:

١ ـ السهولة عندما يبيع الناس فلا يدقق كثيراً ولا يتشدد فيما يدفعون إليه.

٢ ـ السهولة عندما يشتري من الناس فلا يتشدد معهم في خصوصيات السلعة وقيمتها.

٣ ـ السهولة إذا قضى بين الناس فإنه لا يحاسبهم بدقة وشدة.

٤ ـ السهولة إذا قضي منه أي كان القضاء عليه فإنه لا يستصعبه ولا يتشدد فيه.

طبعاً السهولة في القضاء سواء كانت لنفسه أم لغيره ليست بمعنى أنه لا يعمل على طبق القانون والشرع أو أنه يظلمهم بل معناها انه ضمن عمله بالقانون والشرع لا يضيق دائرة القانون عليهم فيما إذا كان بإمكانه أن يعمل بالسعة معهم بأن كانت دائرة القانون تقبل السعة والضيق معاً.

إذن فمفاد الرواية هو أن الإنسان لا ينبغي أن يكون شديداً وحريصاً ودقيقاً في معاملاته ومبادلاته الاجتماعية مع الآخرين سواء كانت معاملات تجارية ونحوها ام كانت قضاءً وحكماً، وبشكل عام على الإنسان إن يكون سهلاً سمحاً لا صعباً شديداً ولكنه في نفس الوقت يحترم القانون ويعمل به ولا يدعه جانباً أو لا يهتم به. فحينئذٍ

---

(١) الخصال/ باب الاربعة / ح٦.

تشمله المغفرة الإلٰهية[١].

وقال رسول الله ﷺ: **«تكلم النار يوم القيامة ثلاثة: أميراً وقارياً وذا ثروة من المال فتقول للأمير: يامن وهب الله له سلطاناً فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حبّ السمسم. وتقول للقاري: يا من تزيّن للناس وبارز الله بالمعاصي فتزدرده.**

وتقول للغني: يا من وهب الله له دنيا كثيرة واسعة فيضاً وسأله الفقير اليسير قرضاً فأبى إلا بخلاً فتزدرده»[٢].

تتكلم نار جهنّم يوم القيامة مع ثلاثة طوائف من الناس (ومن هذا يعلم أن للنار إدراكاً وشعوراً، وهذا الكلام منها بعنوان إتمام الحجة على الناس الذين دخلوا النار وعن السبب الذي أدى بهم الى العذاب). وهم:

١ - **الأمير**، والمراد به الرؤساء والحكام.

٢ - **القاري** والمراد به هنا الشخص المتصدي للأمور الدينية أي العلماء بحسب التعبير الرائج اليوم.

٣ - **الثري**، أي الشخص صاحب المال و الثروة.

وطبعاً المراد من هؤلاء الأصناف الثلاثة هم المجرمون ولا يشمل الحكام والأمراء العادلين.

فتقول النار للأمراء: إن الله أعطاكم الحكومة والسلطة والقدرة فلماذا لم تحكموا وتعملوا بالعدل والإنصاف. ثم تبتلعهم كما يبتلع الطائر حب السمسم.

وتقول للقاري: إنك تزيّنت أمام الناس بلباس الدين وحسّنت مظهرك أمامهم

(١) الكلمات المضيئة: ١٤١.

(٢) الخصال / باب الثلاثة / ح ٨٤.

ولكنك أشتغلت بالمعاصي وعاندت الله وبارزته علانيةً بها.(فإن الذنوب والمعاصي التي يفعلها الإنسان في الخفاء والسر هي ظاهرة وبارزة لله تعالى).

وتقول للغني: لقد وهب الله لك النعم والأموال والفيوضات الكثيرة ولكنك بخلت بها عندما سألك الفقير المحتاج أن تعطيه ولو قرضاً[١].

ما جاء عنه في الفتنة والغرور

قال رسول الله ﷺ: «أشدّ ما يتخوّف على أمّتي ثلاثة: زلّة عالم أو جدال منافق بالقرآن أو دنيا تقطع رقابكم فاتّهموها على أنفسكم»[٢].

يقول رسول الله ﷺ: هناك ثلاثة أمور أتخوّف منها على أمّتي أكثر من غيرها وهي:

١ - **زلّة العالم**، ويحتمل أن يكون المراد من العالم عالم الدين كما يحتمل أن يكون الأعمّ منه ومن غيره من العلماء والخبراء في سائر العلوم والفنون الأخرى.

وعلى أيّ حال فزلّة أرباب العلم وأصحاب الفنون خطيرة على المجتمع.

وليس المراد من الزلة هنا الزلّة العلمية بل المراد الزلّة العملية، التي يمكن أن تنشأ من ضعف العقيدة أو ضعف البصيرة أو من الأهواء النفسانية.

٢ - **جدال المنافق بالقرآن**، والمراد منه الشخص الذي لم يدخل الإيمان إلى قلبه ولكنه ظاهراً يدّعي الإيمان ويتمسّك بالقرآن في احتجاجاته ليحرف أفكار الناس عن الطريق الصحيح.

٣ - حبّ الدنيا والميل نحو المظاهر الدنيوية.

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٤٣.

(٢) الخصال / ج ١ / صفحة: ١٦٣.

ومقصود النبي صلى الله عليه وآله من الخوف من هذه الأمور الثلاثة ليس فقط الإخبار عن ذلك أو إظهار وجهة نظره فيها. وإنّما المقصود من التخوّف هو التحذير والإنذار منها والعلم بها.

ولذلك فعلينا أولاً أن نراقب أنفسنا لئلاّ نقع في الإنحراف والضلال والتزلزل والإفتتان بالدنيا.

وعلينا ثانياً أن لا نكون سبباً لانحراف الآخرين وإضلالهم[1].

ما جاء عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دلّ على خير أو أشار به فهو شريك. ومَنْ أمر بسوء أو دلّ عليه أو أشار به فهو شريك»[2].

الإنسان الذي يأمر بالمعروف والخير أو ينهى عن المنكر والسوء أو يرشد و يدل على عمل الخير وطريقه أو يشير به عندما يُستشار، فهذا شريك في ثواب العمل في جميع هذه الموارد.

والإنسان الذي يأمر بالمنكر والسوء أو يدل ويرشد عليه وعلى طريقه أو يشير به حينما يستشار، فهذا شريك في عمل المعصية وعقابها.

ومن هذا يفهم مقدار أهميّة النظريات التي يطرحها الإنسان أمام الآخرين، فالإنسان العاقل المؤمن يجب عليه أن يعرف بماذا يأمر وعما ينهي وبما يشير ويدل عليه.

ولا ينبغي للإنسان أن يقول أي شيء بحجّة أنه في مقام المشورة ولا إشكال عليه،

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٥٢.

(٢) الخصال /باب الثلاثة ح ١٥٦.

لأن الطرف الآخر إذا عمل بمشورته وكانت أمراً بالسوء والمنكر أو نهيّاً عن الخير والمعروف فسوف يكون شريكاً معه في الوزر والوبال والعقاب.(١)

ما جاء عنه في الخير والشر

عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام قال: قال رسول ﷺ: من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب». (٢).

إن السعادة والشقاء أهم مسألة في حياة الإنسان. ولذلك تجد أن الإنسان المؤمن قلق دائماً ومضطرب الفكر ومشوّش الذهن في أنه داخل في زمرة السعداء أم أنه والعياذ بالله داخل في زمرة الأشقياء.

وفي الآثار الإسلامية ورد الإهتمام بهذا المطلب كثيراً، فقد جاء في بعض الأدعية « اللهم إن كنت عندك في أمّ الكتاب شقياً فاجعلني سعيداً».

ففي هذه الرواية ذكرت عدة علامات وأسباب للشقاء من أجل أن يعرفها الإنسان ويختبر نفسه من خلالها.

نعم هذه الأسباب ليست قهريّة بل تحصل بسؤ اختيار الإنسان. وإذا وجدت في الشخص فلا ييأس ويقنط لأنه من خلال مراقبته لنفسه وأعماله والتدقيق فيها سوف يتمكن من إزالتها ومحوها ويخطو مجدداً في طريق السعادة.

وهذه الأسباب هي:

١ ـ **جمود العين** وعدم التضرع والبكاء في محضر الله تعالى فإنّ البكاء بين يدي الله عزّوجلّ ـ سواء كان ناشئاً من الخوف والخشية مقابل صفات الله الجلالية (كالعظمة

(١) الكلمات المضيئة: ١٥٥.

(٢) الخصال / باب الأربعة / ح ٩٦.

والقهّار) أم كان ناشئاً من المحبة والشكر مقابل صفات الله الجمالية (كاللطيف والحنّان) ـ يذكّر الإنسان بالنعم الإلهية ويذكّر الإنسان بضعفه وحقارته أمام الله تعالى. وهذا الأمر محبوب ومرضي لله. ولذلك يكون عدم البكاء من علامات الشقاء.

٢ ـ **قسوة القلب**، وعدم الرأفة والعطف على الآخرين، كما إذا وقف الإنسان حيادياً غير مبالٍ بالأحداث والمصائب التي يتعرّض لها الآخرون.

٣ ـ **شدة الحرص في طلب الرزق**، بأن يكون ذا طمع وحرص وبخل.

٤ ـ **الإصرار على الذنب**، أي الإلحاح على ارتكاب الذنوب.[1]

ما جاء عنه في حب الشهوات

من مواعظ النّبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ أكل ما يشتهي ولبس ما يشتهي وركب ما يشتهي لم ينظر الله إليه حتى ينزع أو يترك»[2]

يحتمل أن يكون المراد من قوله «وركب ما يشتهي» هو المعنى الحقيقي من كلمة «ركب» أي وسيلة الركوب (كالسيارة والطائرة ونحوها) التي يحبها.

ولكن هناك احتمالاً آخر وهو أن يكون معناها ركب الأمر، أي أنّه يقوم بكل عمل يريده ويحبه.

وعلى أي حال فإنّ الإنسان بارتكابه الأمور المذكورة سوف يسلب منه النظر والعناية الإلهية التي هي رأس كل الخيرات وأساس كل الكمالات الإنسانية.

والعلاج هو ترك هذه الأمور من خلال ترويض الإنسان نفسه اختياراً على عدم

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٦٣.

(٢) تحف العقول، صفحة: ٣٨.

القيام بالأعمال التي منشؤها الهوس والشهوة مع قدرته على فعلها.

إنّ الإنسان الذي لا يقدر على فعل كل ما يشتهيه يجب عليه أن يقدّر هذه النعمة، فإنها لنعمةٌ كبيرة أن لا يكون للإنسان مجال واسع لأهوائه وشهواته، وإن كان هناك ثواب أكبر فيما لو كان قادراً على مجاهدتها[١].

ما جاء عنه في فضيلة شكر النعمة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعمتان مفتون بهما كثير من الناس الفراغ والصحّة»[٢].

هناك نعمتان من النعم الإلهية هما محل ابتلاء وافتتان أكثر الناس، وهما الصحة والفراغ. فأحد وجوه الإبتلاء والإختبار بهاتين النعمتين هو أنّ أكثر الناس يمتلكون هاتين النعمتين ولكنهم لا يعرفون قيمتهما ليشكروا الله عليهما. والذي يعرف للنعمة قدرها وقيمتها هو الذي كانت بيده ثم فقدها.

فالأشخاص الذين لديهم انشغالات مختلفة ومتنوعة يعرفون قيمة وقدر نعمة الفراغ ويدركونها.

فإنّ الإنسان في ذاك الحين يفكّر كثيراً في نفسه وفيما ينفعها وفي سعادته وبالأعمال التي يريد إنجازها.

ونعمة الصحة والسلامة من هذا القبيل أيضاً. فإنّ الإنسان ما لم يبتلِ بالمرض لا يعرف قيمة وقدر السلامة والصحة.

ففي بدن الإنسان أعضاء مختلفة وأجهزة متنوعة، وإذا تعرض أحدها لحادثة ما

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٦٧.

(٢) الخصال، باب الإثنين، ح: ٧.

صارت حياة الإنسان وسعادته صعبة وشاقة.

ووجه آخر للإبتلاء والإختبار بهاتين النعمتين هو أنّ بعض الناس يسيئون الإستفادة منهما، وبدلاً من أن يستفيدوا منهما في طريق الكمال ينتفعون بهما في طريق الفساد. وكما قال الشاعر:

إنّ الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

إذن فعلى الإنسان أن يكون شاكراً لله تعالى على هذه النعم بلسانه وفعله[١].

ما جاء عنه في الغضب والحلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما جمع شيءٌ إلى شيءٍ أفضل من حلمٍ إلى علمٍ»[٢].

اجتماع الحلم والعلم في الإنسان أفضل وأكثر قيمة من كلّ الأمور والأشياء.

والحلم هو التحمّل وسعة الصدر عند ظهور الحوادث المختلفة.

والإنسان الحليم هو الذي لا يفلت من يده عنان اختياره عند غضبه، ولا يقدم على الأعمال غير اللائقة المنافية لشأنه ولا الأعمال القبيحة السيئة.

وكذلك إذا أتته نعمة فإنه لا يخرجه شوقه وفرحه بها عن جادة الإعتدال ولا يخسر نفسه.

وإذا نال منصباً أو مقاماً أو سمةً فلا يفتتن به ولا يبتلى بالتكبّر والعجب.

بل حتّى إذا حصل على مقام عالٍ في العلم والمعرفة (وإن كان العلم في نفسه ذا

---

(١) الكلمات المضيئة: ١٧٠.

(٢) الخصال: باب الواحد، صفحة: ١.

قيمة كبيرة) فإنه لا يصاب بالغرور والعجب بالنفس.

ومن مواعظ النّبي ﷺ: «وقال له رجل أوصني، فقال: لا تغضب ثم أعاد عليه، فقال: لا تغضب، ثمّ قال: ليس الشديد بالصّرعة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(١).

ليس المراد بالغضب الحالة العصبيدات ونحو ذلك (فإنّ بعض الأشخاص يستحي من ا الأمكنة أو الظروف) فإن هكذا حياء يعتبر تصرفاً عن جهل(٢).

ما جاء عنه في السلطة والمسؤولية

من مواعظ النّبي ﷺ: «ستحرصون على الإمارة ثمّ تكون عليكم حسرة وندامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»(٣).

من البديهي أن الحسرة والندامة لا يرتبطان بالمورد الذي يشعر فيه الإنسان بأنّه مكلف بقبول المنصب والمسؤولية ثمّ يؤخذ منه ذلك، وإنّما موردهما ما إذا قَبِل الإنسان منصباً وكان يشعر بالإضافة إلى أنه مكلف بذلك بأنّ شيئاً آخر موجود لديه وراءه.

والجملة الأخيرة في الرواية فيها احتمالان:

أحدهما: أنّه ما دام مشغولاً بالإمارة فالناس يعتبرونه إنساناً صالحاً ولكن عندما تزول عنه الإمارة يصبح بنظرهم إنساناً سيّئاً.

والآخر: أنّه ما دام مشغولاً بالإمارة فهي شيء حسن ولذيذ وطيّب كالأم المرضعة،

(١) تحف العقول، صفحة: ٤٧.

(٢) الكلمات المضيئة: ٢٧.

(٣) تحف العقول، صفحة: ٣٥.

وأما عندما تزول عنه الإمارة تصبح سيئة كالأم التي تفطم ولدها.

وهذه الرواية موعظة لنا فإنّ العلماء في السابق لم يكونوا في معرض تسلّم الرئاسة والحكومة وأما اليوم فهم في معرض ذلك ولذلك عليهم الإنتباه جيّداً[١].

ما جاء عنه في فضيلة صلة الرحم

قال رسول الله ﷺ: « يلزم الوالدين من العقوق لولدهما إذا كان الولد صالحاً ما يلزم الولد لهما»[٢].

العقوق معناه الطّرد والبُعد والإنفصال.

وعقوق الوالدين معناه الولد الذي لا يعتني ولا يهتم بأبويه ولا يراعي الإحترام لهما، بل يقوم بما يوجب الأذى والعذاب لهما.

وهذا العمل من المسلّم به أنّه من الذنوب الكبيرة، وله تبعات وآثار سيّئة ومضرّة جدّاً على الولد في الدنيا والآخرة.

وأمّا عقوق الوالدين للولد فمعناه أنهما لم يرعيا حقّ ولدهما فيما يرتبط بالعطف والحنان والمودّة اللاّزمة، فلم يحفظا ذلك له وحرماه من محبتهما وإحسانهما. فهذا أيضاً له تبعات وآثار سيّئة ومضرة هي نفسها التي كانت في عقوق الولد لهما.

والوجه في ذلك هو أنّ الولد في هذه الحالة يقع في النقصان العاطفي والذي ينتهي إلى ابتلائه بالعقد النفسية وغيرها، ويصبح إنساناً فاسداً ومنحرفاً.

إذن فالوالدان والولد لهما حقوق متبادلة من الطرفين. وهذه المسألة من المسائل

---

(١) الكلمات المضيئة: ٢١٦.

(٢) الخصال/ باب الاثنين/ ح ٧٧.

المهمة في علم النّفس العائلي التي علّمنا الإسلام إياها.

طبعاً هذه المسألة لا تعني أنّ الوالدين يجب أن يعطيا الولد المحبّة الكاملة ولو في غير موضعها، ويمنحاه الحريات الزائدة غير المشروعة أو يقصّرا في تربيته [1].

(١) الكلمات المضيئة: ٢٢٠.

الفهرس

تمهيد

ولادة النبي صلى الله عليه وآله

الحياة الشخصية للنبي الأكرم ﷺ

مكارم أخلاق النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

أولاد النبي صلى الله عليه وآله

نساء النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله

بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

أهداف البعثة الشريفة

الفرق بين العصر الإسلامي والعصر الجاهلي

هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله

النبي صلى الله عليه وآله في المدينة

الأُمة الإسلامية بين عطاء البعثة وطمع الاستكبار

حروب النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

أسلوب الدعوة عند النبي صلى الله عليه وآله

ترسيخ النبي صلى الله عليه وآله للوحدة الإسلامية

التوحيد في المنظور النبوي

تأسيس النبي للحكومة الإسلامية

المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

مواعظ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله